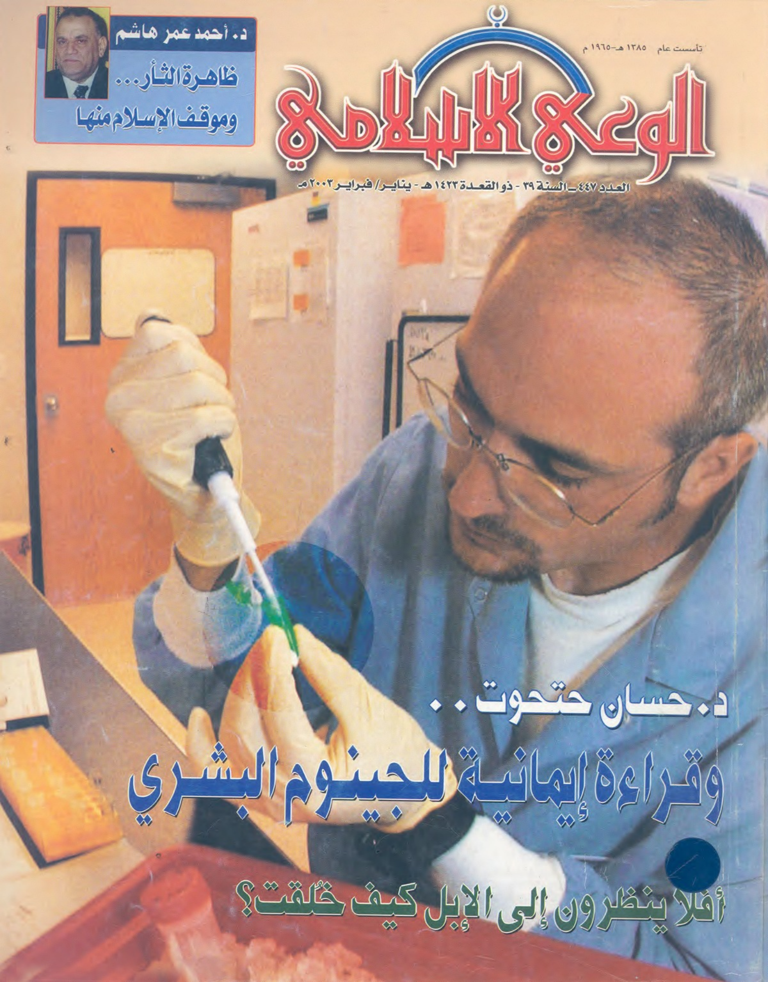
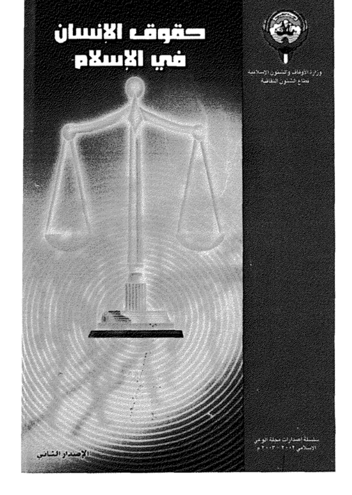

د. أحمد عمر هاشم
ظاهرة الثأر...
وموقف الإسلام منها
تأسست عام ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
العدد ٤٤٧ - السنة ٣٩ - ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير/ فبراير ٢٠٠٣م
د. حسان حتحوت..
وقراءة إيمانية للجينوم البشري
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت؟

## قريباً جداً... الإصدار الثاني لـ الوعي الإسلامي

# حقوق الإنسان في الإسلام




- رؤية إسلامية متأنية لأبرز قضايا العصر.
- معالجة موضوعية لقضية إنسانية تشغل العالم.
- موضوعات مختارة حول قضية محورية كتبها أبرز كتاب المجلة ومنهم:

- الأستاذ أحمد يعقوب باقر.
- الدكتور يوسف القرضاوي.
- الأستاذ علي القاضي.
- الدكتور عبدالعزيز التويجري.
- الدكتور أحمد علي المجذوب.
- الدكتور زكريا البري.
- الأستاذ أنور السيد يعقوب الرفاعي.
- الأستاذ محمد عطية الأبراشي.
- الأستاذ شعبان محمود شعبان.
- الأستاذ محمد السيد عامر.
- الأستاذ أحمد ماجد مومني.
- الأستاذ سعيد كامل معوض.
- الأستاذ أحمد بكر موسى.

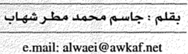

مجلة الوعي الإسلامي - تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت غرة كل شهر عربي



ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت - هاتف: (٩٦٥+) ٨٤٤٠٤٤ - فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤

al-Waei al-Islami - P.O. Box 23667 Safat 13097 Kuwait - Tel. (+965) 844044 Fax: 5348954
e.mail: alwaei@awkaf.net - homepage: www.awkaf.net/alwaei





بقلم : جاسم محمد مطر شهاب

e.mail: alwaei@awkaf.net

# وشهد شاهد من أهله

على الرغم من الحملة الظالمة التي تشنها بعض الأطراف الغربية ضد الإسلام والمسلمين، والتي تحاول جاهدة من خلالها إلصاق التهم والأباطيل بهما، وفي مقدمها تهم التخلف والتطرف والتعصب والإرهاب... نقول على الرغم من كل ذلك: هناك بعض الأصوات المنصفة تظهر بين الحين والآخر فتضع الأمور في نصابها وتعيد الحق إلى أصحابه وتعلن الحقائق واضحة كنور الشمس، ومن هذه الأصوات التصريح الذي أدلى به المستشار الألماني «غيرهارد شرويدر» أمام المجلس النيابي الأوروبي الاتحادي الذي عقد أخيراً في «كوبنهاغن» والذي قال فيه:

«إن المسلمين في أوروبا أصبحوا ينتمون إلى مختلف شرائح المجتمعات الأوروبية ويمثلون شريحة طبيعية بل بدهية للحياة والثقافة الأوروبية اليومية، وإن من يحاول نشر الفتنة وفقاً لشعار الدول الغربية المسيحية ضد الإسلام بتعمد إبعاد المسلمين عن مجتمعاتنا وثقافاتنا إنما يفتعل خطأ كبيراً وخطيراً لا يمكن تجاهله...».

هذا الاعتراف الصريح من زعيم دولة أوروبية عرفت فيما مضى بالتعصب العرقي الآري واحتقار ما دونه من العرقيات، إنما يقدّم للإسلام والمسلمين مكسباً حقيقياً ودعماً لا يمكن تجاهله، لكنه بالمقابل يضع على عاتق الأقليات المسلمة في ديار الغرب مسؤوليات وتكاليف جديدة يجب الأخذ بها وانتهاجها فكراً وأسلوباً وممارسة ومن أبرزها:

- اختيار قيادات واعية مبدعة تمثل الأقليات المسلمة تمثيلاً صحيحاً، وتنقل وجهات نظرها، وتتبنى همومها في حل مشكلاتها أمام السلطات المختصة.

- يجب على الجاليات المسلمة في الغرب أن تكون أدوات وحدة واتفاق لا أدوات تفرق واختلاف، فالمسلم الحق يعلم علم اليقين أن في الوحدة قوة ومنعة وفي التفرق ضعف وهزيمة وأن التعاون على البر والتقوى أمر مطلوب وقاعدة شرعية يجب السعي لتحقيقها مهما كانت الصعاب.

- القيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من خلال معرفة الطرف الآخر عقيدة وفكراً حاضراً ومستقبلاً، وبما لا يتعارض مع القوانين السائدة في تلك البلدان.

- الإسهام الإيجابي الفاعل في حل مشكلات المجتمعات الغربية من خلال ملامسة الواقع وفهم المرحلة فهماً دقيقاً بحيث لا تكون هذه الجاليات المسلمة عبئاً يجب التخلص منه في نظر الأكثرية بل يجب أن تكون ضرورة من ضرورات الحل والإنقاذ لا يمكن الاستغناء عنها.

هذه مجرد إشارات بسيطة أردت إلقاء الضوء عليها من أجل دفع مسيرة العمل الإسلامي في ديار الغرب في الاتجاه الصحيح، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ●




إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

العدد 447 - السنة التاسعة والثلاثون - ذو القعدة 1423 هـ - يناير / فبراير 2003 م

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

المراقب الإداري والمالي
ADM. & FIN. CONTROLLER
خالد عبداللطيف بوقماز
Khaled A. Buqammaz

إدارة التحرير
EDITING DIRECTOR
تمام أحمد الصباغ
Tammam A. Al-Sabbagh

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
Saleh M. Saleh

المراسلات كافة
باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة
13097 - الكويت
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس: (٩٦٥+) ٥٣٤٨٩٥٤
al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX: (+965) 5348954

## كلمة العدد

# مزيداً من المتابعات لقضايا العصر

الإخوة الكُتَّاب والقراء

يحمل إلينا البريد العادي والإلكتروني شهرياً كمًّا هائلاً من المقالات المطوَّلة والقصيرة بقصد النشر على صفحات المجلة، ومن خلال تقويمنا لهذه المقالات نجد أن القسم الأكبر منها لا يصلح للنشر بتاتاً، فهو لا يعدو أن يكون تكراراً إنشائياً لقضايا ومواضيع مطروحة سابقاً.. ومن أجل ذلك قمنا في أعداد سابقة بإعادة نشر ضوابط النشر في المجلة، كما قمنا بنشرها في ثنايا هذا العدد حتى تكونوا على دراية تامة في حال الكتابة، وحتى لا تتهمونا ظلماً بإهمال مقالاتكم.

إن النهوض بالمجلة والارتقاء بها باستمرار لا يتم إلا بمتابعة الأحداث ورصدها في كل المجالات ومن ثمَّ معالجتها والتعليق عليها بأسلوب موضوعي راق، ورصين يعتمد المنهجية ويعمل على إحياء وتعميق المفهوم الصحيح للبحث العلمي والتقني في الإسلام، حتى تتحقق صحوة المسلمين وقيادة الإسلام لسعادة الدنيا والآخرة، وما ذلك على الله بعزيز •






### موضوع الغلاف

الكشف عن الجينوم البشري أحدث ثورة هائلة في مجالات الطب والتي منها العلاج الجيني للخلايا كوسيلة للقضاء على الأمراض المستعصية التي يعاني منها كثير من الناس •



**الإشتراكات**

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية ( او مايعادلها ).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها ).
- للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها ).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

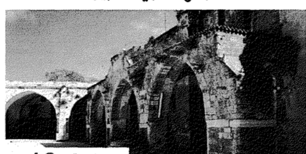
**الأسعار**

• الكويت: ٥٠٠ فلسا • السعودية: ٧ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٧ ريالات • الإمارات: ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
• الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٥٠٠ جنيه • موريتانيا: ٢٠٠ أوقية • تونس: ٢ دينار • الجزائر: ١٠ دنانير
• اليمن: ٧٠ ريال • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سورية: ٥٠ ليرة • المغرب: ١٠ دراهم • ليبيا: دينار واحد
• اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله. • اميركا ودول العالم: ٣ دولارات او مايعادلها.

## في هذا العدد

تحقيق

### الجامع العمري الكبير



صفحة 10

على ثمانية وثلاثين عموداً من الرخام، ووسط مدينة غزة الصامدة، يقع أكبر وأقدم جامع فيها على الرغم من التعديلات المتعددة التي طرأت عليه عبر التاريخ، ماذا يحدثنا التاريخ عن هذا المسجد؟

أحكام

### ظاهرة الثأر

على الرغم من أن الإسلام قضى على الظواهر السلبية التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، إلا أن بعضها عاد للظهور مجدداً مع ابتعاد الناس عن معين القرآن والسنة النبوية المطهرة، ومن هذه الظواهر ظاهرة الثأر، ترى ما موقف الإسلام منها؟

صفحة 24

أقليات إسلامية

### لماذا يقلق الصهاينة من زيادة عدد مسلمي أوروبا؟

الجاليات الإسلامية في ديار الغرب في تعاظم مضطرد لدرجة أنهم باتوا يمارسون أدوارهم في المجتمعات التي يعيشون فيها، وهذا ما أقلق الصهاينة والجماعات اليهودية على السواء ...

صفحة 60

## المحتويات




وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان. الخرطوم - العمارات شارع ٣٧ - ص.ب: ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١). • اليمن. عدن - ص.ب: ٦٤٨ - ت: ٢٥٥٦٩٢ . ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) فاكس: ٢٥٩١٦٣ مؤسسة الأيام للتوزيع • لبنان . طرابلس - ص.ب: ٢١١ - ت: ٧٩٨٢٠٩ (٠٠٩٦١٣) ف: ٤٤١٧٥٣ . ٤٤٠٤٢ ٤٤٤٠٤٢ (٠٠٩٦١٦) - مركز الواحة للفنون الإعلامية • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب: ٣٧٥ . الرمز البريدي: ١١١١٨ - تلفون: ٤٦٣٠١٩١ . ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) فاكس: ٤٦٣٥١٥٢ • البحرين. المنامة - ص.ب: ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) فاكس: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة. دبي - ص.ب: ٦٠٤٩٩ - تلفون: ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) فاكس: ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر. القاهرة - شارع الجلاء. الرمز البريدي: ١١٥١١ - تلفون: ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) فاكس: ٣٣٩١٠٩٦ دار الأهرام • السعودية. الرياض - ص.ب: ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - تلفون: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) فاكس: ٤٨٧١٤٦٠ -: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب. الدار البيضاء - ص.ب: ١٣٦٨٣ ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء تلفون ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) فاكس: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عُمان. مسقط - ص.ب: ٤٧٣ العذيبة. الرمز البريدي ١٣٠ - تلفون: ٥٩٧٤٥٦ . ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) فاكس: ٥٩٣٢٠٠ -: مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر. الدوحة - ص.ب: ٦٣٣ - تلفون: ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) فاكس: ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

## بريد القراء

# رسم الأئمة والعلماء هل هو جائز للأطفال

**تلقت المجلة شكوى استنكار حول قيام مجلة «براعم الإيمان» برسم صور الصحابة والعلماء. ونظراً لأهمية الموضوع ننشر الفتوى التي أصدرتها لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت وأجازت فيها هذه الرسوم مع اجتناب صور: الأنبياء والملائكة والخلفاء الراشدين وزوجات النبي ﷺ وبناته رضي الله عنهم أجمعين، وهذا هو نص الفتوى:**

**فتوى رقم ٢٢٢ع/٢٠٠١**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فقد عرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى في اجتماعها المنعقد صباح يوم السبت ١٨ من شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/١١/٣م / الاستفتاء المقدم من/ ونصه:
نود أن نعرض عليكم مشروع ( قصص الأطفال ) وذلك لمعرفة الحكم الشرعي فيها حيث، إننا نقوم بإنتاج قصص للأطفال ( للأئمة والعلماء ) مثل الإمام البخاري ومسلم، وأئمة الفقه الأربعة، وأبي حامد الغزالي، وابن تيمية، وغيرهم من العلماء، وتكون القصة لتاريخ حياتهم، والمواقف التي مرت عليهم، ولهذا فإننا نحتاج إلى رسم صور تجسد هؤلاء العلماء، والأئمة، وذلك تيسيراً لتعلم الأطفال القراءة، والتعلق بعلماء الأمة، ونود معرفة الحكم الشرعي في هذه الصور، وأخيراً فإن القصص تهدف إلى مخاطبة الأطفال من سن ( ٣ - ٨ ) سنوات.
**وقد أجابت اللجنة بالتالي:**
إن تصوير ورسم الأئمة، والعلماء في الكتب، والمواد التعليمية جائز شرعاً، على أن يلاحظ سلامة المضمون من الناحية الدينية، وأن تكون الصورة مقاربة لحال صاحبها قدر الإمكان، وأن يتجنب تصوير أو رسم الأنبياء والملائكة والخلفاء الراشدين الأربعة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته رضي الله عنهم.
والله تعالى أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فتوى رقم ٢٢٢ ع/٢٠٠١م

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فقد عرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى في اجتماعها المنعقد صباح يوم السبت ١٨ من شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/١١/٣م الاستفتاء المقدم ونصه: نود أن نعرض عليكم مشروع «قصص الأطفال» وذلك لمعرفة الحكم الشرعي فيها، حيث إننا نقوم بإنتاج قصص للأطفال «للأئمة والعلماء» مثل الإمام البخاري ومسلم وأئمة الفقه الأربعة وأبي حامد الغزالي وابن تيمية وغيرهم من العلماء، وتكون القصة لتاريخ حياتهم والمواقف التي مرت عليهم، ولهذا فإننا نحتاج إلى رسم صور تجسد هؤلاء العلماء والأئمة، وذلك تيسيراً لتعلم الأطفال القراءة، والتعلق بعلماء الأمة، ونود معرفة الحكم الشرعي في هذه الصور، وأخيراً فإن القصص تهدف إلى مخاطبة الأطفال من سنة (٣ - ٨) سنوات.

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

إن تصوير ورسم العلماء في الكتب والمواد التعليمية جائز شرعاً، على أن يلاحظ سلامة المضمون من الناحية الدينية، وأن تكون الصورة مقاربة لحال صاحبها قدر الإمكان، وأن يتجنب تصوير أو رسم الأنبياء والملائكة والخلفاء الراشدين الأربعة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته رضي الله عنهم أجمعين ●

# أفلام الكارتون المستوردة!

أسماء غريبة على آذاننا العربية لشخصيات كارتونية صدَّرها الغرب إلينا «مايكل أنجلو، رفائيل، دوناتلو، مازينجر» تحمل قيماً استهلاكية ومفاهيم غريبة وتقدّس العنف والمادية والإجرام، بل في أحيان كثيرة تهاجمنا نحن العرب والمسلمين وتصفنا بالإرهاب والوحشية، وشخصية «فرام» زعيم العصابة العربي في حلقات سلاحف «النينجا» تشهد بذلك.

وتكمن خطورة هذه الرسوم المتحركة في أنها أصلح وسيلة جماهيرية لمخاطبة الطفل - كما تقول الدراسة التي أعدتها كلية التربية النوعية على ٣٠٠ طفل من الذكور والإناث من مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية - هذه النتيجة توضح مدى المسؤولية الملقاة على عاتق القائمين على هذه الأفلام في اختيار ما يتناسب مع مجتمعنا وتقدم قيمنا الإسلامية ●

محمد السيد عامر - مصر

# يا حكام المسلمين شعوبكم معكم

متى ينتفض الرماد؟!
جفّت ينابيع المدادِ
في عصر أرباب الفسادِ
وتقوقعت تحت السراب رؤوسنا دون ارتدادِ
وتصدعت أركاننا وحطامها دوماً ينادي:
يأيها الغضب المعربد في النفوس بلا زناد
حطم جدار اليأس واعبر فوق أكوام القتاد!!
فالضيمُ آض محلقاً في كل رابية وواد
والدم جمرٌ قد ترمد في الجفون وفي الفؤاد
والعاكفون على التخاذل أصبحوا مثل الجراد
يتهافتون على الرغيف وقد نسوا حق الجهاد
«أعجاز نخل» أدمنوا أن يستكينوا للرقاد!!
وفراشهم أبداً يعاني كلّ أنواع القراد
والحق يبحث عن ضمير يرتدي ثوب العناد
في الله لا يخشى المنايا يمتطي ظهر الجواد
ويشق أوصال المُحال فينزوي كيدُ الأعادِ!!
«فالعنكبوتُ» أراه يلهو فوق أشلاء العبادِ

حاتم عبدالمحسن غيث - دقهلية - مصر

# المسلمون ماتوا فإذا ما «تشيشنوا» قبروا

الجماد ينطق، الجبال تتحرك، الرياح تعصف، الحيتان تدفع، الحيوانات تضج، ولكن المسلمين لا ينطقون وفي غيهم يعمهون والدين والدنيا بهما لا يعبأون.

لهم فيما فعل بأجدادهم من التتار الأسوة السيئة، حيث كان الرجل من التتار يحبس أربعين فرداً من المسلمين ثم يقول لهم انتظروني لأحضر سيفي أشبعه فيكم قتلاً، فينتظرون ليذبحوا ذبح الشياه فتسيل الدماء أنهاراً في شوارع بغداد وتختلط بمياه دجلة والفرات.

واليوم يذبح إخوة لنا في الشيشان أرض الإسلام ودياره، ولكن المسلمين لا يعيرون الأمر أي انتباه.

**المسلمون يحسنون للذبيحة ولا يتوارون من الفضيحة.**

**المسلمون يفتون في الصفيحة ولا يعبأون بالشيشان الجريحة.**

**المسلمون على السرر المريحة، وشيشانهم للطغيان طريحة.**

**المسلمون قواهم كسيحة، ويعيشون في حياتهم كالنطيحة.**

يضيق صدري ولا ينطلق لساني لنخوة ضاعت وشهامة فقدت وإنسانية مُحيت.

لا أقول ديناً أو إسلاماً فشتان بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين.

الحسين محمد حميد - مصر

# السعادة الحقيقية

كثير من الناس ينشدون السعادة في المال والمنصب والسلطان، ولو نظروا حولهم لوجدوا أن الكثير من أصحاب هذه الصفات يعانون من حالات البؤس والشقاء، فكم من ثري فقير في صحته، يتمنى أن يذهب هذا المال ويعود سليماً معافى، وكم من صاحب جاه ضعيف أمام رغباته وملذاته.

إن السعادة ينبوع يتفجّر من القلب، وليس غيثاً ينزل من السماء، إن قناعة الرضا لا تسأل عن كنوز الذهب والفضة والألماس والياقوت، ولا تسأل عن فخامة القصور ورغد العيش، فالسعادة حسٌ وشعور يأتينا من داخلنا، من أعماق قلوبنا، إن السعادة الحقيقية التي يشعر بها الإنسان هي الشفاء بعد مرض، وهي الفرح بعد حزن، في صفاء النفوس بعد خلاف، هي في الأمل الذي يملأ نفوسنا بعد اليأس، هي في النجاح بعد الفشل، السعادة هي العنصر الأكثر أهمية في حياة الشعوب وتقدمها.

محمد شفيق سليمان - الدقهلية - مصر

# بما كسبت أيدي الناس

تعيش البشرية اليوم في مادية غارقة ومستنقع آسن، يعلوه الفساد يتربع على ظهره الطمع والجشع والاستعلاء على الضعفاء.

ولو بحثنا عن سبب حال التيه والضياع اللتان نعيشهما اليوم لوجدناهما تتمثلان في بعدنا عن الله، والاجتراء على حرماته في كل صغيرة وكبيرة. وظاهرة الفساد المنتشرة ليست من قبيل العبث أو المصادفة وإنما هي نتيجة لأعمال الناس الشريدة، وفساد عقائدهم، وأنانيتهم، وذلك مصداق ما يقوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم:٤١.

محمد حسانين عبدالرحمن - مصر

# اقتراح

الحقيقة أنا أكتب للكبار «الأدب الإسلامي وتحديداً القصة القصيرة»، ولي تجربة واحدة فقط للصغار، حين كنت طالبة في الجامعة، وذلك في برنامج إذاعي... إلا أني أهتم بأدب الأطفال لأنني مدرِّسة، ولاحظت تجاوب تلامذتي مع كتاباتي... فقررت الإسهام في مجلة «براعم الايمان»، التي حبَّبتها إلى تلامذتي لأنها من بين المجلات الجادة والمميزة للصغار. وأهدي كل الأعداد لمكتبة الفصل.

لي اقتراح، أرجو أن يكون صائباً، ألا وهو تخصيص عدد برمته للانتفاضة الفلسطينية، وفي باب أصدقاء البراعم، نشر صور الشهداء الأطفال، واستطلاع عن الأقصى الشريف، وفلسطين قبل الاحتلال وبعده، ويتناول الإبداع شعراً وقصة ومقالة عن القضية، مع فسح مجال أكبر للأطفال، وبخاصة أطفال فلسطين - ولو في المهجر - وتخصص المسابقة حول فلسطين، وحبذا لو تُمنح الجوائز لأطفال فلسطين أو لجمعيات ومراكز خاصة بهم.

كل هذا لإعداد هذا الجيل وجعله سداً منيعاً في وجه التطبيع بكل أشكاله... لأنه يسمع ويرى في وسائل الإعلام عن قضيته الأولى، ولكنه لا يُوجه إليه خطاب في مستوى إدراكه.

فكل أملي أن تنفرد «البراعم» بهذا الإنجاز، وإن كانت في كل أعدادها تتطرق إلى قضيتنا الأولى «فلسطين»، وما ذلك على المجلة بعسير.

القارئة: نبيلة عزوزي - المغرب

**المحرر: شكراً على مشاعرك تجاه المجلة، وندعو الله تعالى أن يأخذ بأيدينا لتنفيذ اقتراحك الطيب وجزاك الله كل خير**

## تعقيب

جاء في مجلة براعم الإيمان العدد ٣١٥ شعبان ١٤٢٣هـ، أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٢م في الصفحة رقم ٨ عنوان (أسامحك بشرط).




وبعدما قرأت الموضوع، ترجح لديَّ أن أعلِّق عليه للضرورة التعليمية والتربوية بما يلي: كان الكاتب يحكي عن مدرس يلقي درسه على تلاميذه ويتفقد فهمهم وانتباههم بين الحين والآخر، بطرح بعض الأسئلة عليهم. إذ لفت نظره أحد الطلبة «محمود» كأنه رآه غير منتبه للدرس، اقترب منه بهدوء فتحقق من ذلك، حيث رآه منشغلاً بقراءة كتاب لاعلاقة له بالدرس. أمسك بالكتاب، وهنا أحس محمود بالخطأ وصار يحاول الاعتذار ويطلب الصفح، لكن مدرسه كما قال الكاتب نظر إليه نظرة إعجاب، وهنا أقول لماذا نظر إليه نظرة إعجاب، ألأنه كان يقرأ بكتاب لا علاقة له بالدرس؟! هل هذا الطفل يناسبه في هذه الحال نظرة إعجاب، أم نظرة انتقاد؟ على كل ومضى الكاتب يبيِّن لنا أن الطالب ارتاح إلى هذه النظرة وذهب ما اعتراه من قلق وخوف.

التعليق: كان ينبغي على الكاتب ونحن في بداية الدوام الدرسي، ألا يصوغ هذا الموضوع بهذه الطريقة التي تشجع الطلاب على الانشغال عن الدرس والإهمال وقراءة أشياء خلال الدرس لا علاقة لها بالدرس.

أما ثانياً: فإن الكاتب قال: قال الأستاذ: يا أبنائي الأعزاء بينما كنت أقوم بشرح الدرس لكم فوجئت بزميلكم محمود وهو يقرأ في هذا الكتاب وهذا خطأ فمن الواجب على كل منكم الإنصات لشروح الدرس حتى يفهمه.

هنا كان ينبغي على الكاتب أن يقول متابعاً كلام المدرس، لأن الدرس هو المطلوب فهمه وحفظه الآن، وهو الأهم من كل شيء، فالأستاذ يا أبنائي يأتي من بيته محضِّراً درسه ليلقيه على طلابه بأسهل طريقة، وإن هذه الساعة من حق هذا الدرس، ومن حق الطالب لأنه مطالب به وإن شرحي له يساعده على فهمه وحفظه، ومن حقي أنا حيث أني أخاطب كل واحد منكم، أو عبارة من هذا القبيل.

أما ثالثاً: ثم قال المدرس: لقد ارتكب زميلكم محمود خطأ، وأنا على استعداد لأن أسامحه لو حكى لنا جميعاً ما جاء بكتابه الذي شغله عن الاستماع والإنصات، وهنا كان ينبغي على الكاتب أن يقول لقد ارتكب زميلكم محمود خطأ جسيماً.

ويعظم هذا الخطأ ويستنكره بشدة - ثم يقول خالف فيه قانون المدرسة وآداب الدرس، وأهمل بذلك مدرسه الذي يتعب كثيراً ليوصل الفائدة إلى طلابه، والمقرر عليهم، وأنا على استعداد لأن أسامحه إذا أعطاني أمامكم عهداً ألا يعود إلى مثل هذا الخطأ، لأنني أكره ذلك ولا أسمح به لا لمحمود ولا لغيره.

أما رابعاً: فقد ختم الكاتب موضوعه بعد أن انتهى الطالب من حكاية وسرد قصة أم سليم رضي لله عنها، قال: «وهنا نظر الأستاذ مصطفى إلى التلميذ محمود نظرة إعجاب».

وأنا أعجب مرة أخرى لماذا نظر إليه نظر الإعجاب هذه ألأنه أحسن أم لأنه أساء وأخطأ.

ثم قال الكاتب «الآن فقط سامحتك يا محمود لأنك فهمت الكتاب تماماً».

وسؤالي للكاتب - حفظه الله - هل المطلوب من الطالب أن ينشغل عن الدرس بشيء آخر ويحفظ ما يشاء عدا الدروس، ونشكره على ذلك خلال الدرس، هذا أمر عجيب!!.

فما كان للكاتب أن يقول حكاية عن المدرس الآن فقط سامحتك يا محمود... إلخ.

لكن عليه أن يقول: الآن فقط سامحتك يا محمود، ولهذه المرة فحسب، واطلب منك الا تعيدها ثانية، وكذلك أحذِّر زملاءك من مثل هذا الفعل.

وليد الخطيب

## ردود خاصة

● القارئ نورالرحمن إبراهيم - ماليزيا:

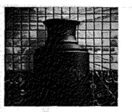
**يمكنكم مراسلة جمعية علماء «ننتافور في سيرلانكا على عنوانها: GENERAL SECRETARY JEMIYATHUL ULEMA NINTAVUR - 14. SRILANKA وجزاكم الله كل خير.**

● السيد أبوعبدالله أحمد خضر - الحديدة - اليمن:

**العمل في مساجد الكويت تابع لقطاع المساجد في الوزراء، لذا يمكنكم مراسلة القطاع لمعرفة الشروط والثبوتات اللازمة للعمل في هذا القطاع وفقكم الله لما فيه الخير.**

● الأخ د.زيد بن محمد الرماني - السعودية:

**مقالاتكم وصلت وقد أخذ بعضها طريقه للنشر - بارك الله فيكم ●**



أنشطة الوزارة

# الأوقاف: لا مزايدة على اهتمام الدولة بكتاب الله

شددت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على أن «المصحف الشريف الذي تتشرف الوزارة بطباعته لا توجد فيه إلا نسبة ضئيلة جداً من الملاحظات، مشيرة إلى أنها تأخذ بعين الحرص والملاحظة سلامة المصحف، لكن يبقى الجهد البشري عرضة للنقص».

جاء ذلك في بيان للوزارة رداً على ما ورد في إحدى الصحف أخيراً عن وجود أخطاء في المصاحف التي قامت الوزارة بالإشراف على طباعتها.

وجاء في البيان:

إن الكويت حرصت كل الحرص على طباعة المصحف الشريف ونشره، ومنذ الستينيات والدولة تقوم بهذا الدور ووزارة الأوقاف أعطت الاهتمام نفسه، حيث قامت بطباعة المصحف الشريف أكثر من ست طبعات، كما أنها تشرف على حلقات تحفيظ القرآن الكريم في جميع مناطق الكويت، فلا مزايدة على حرص الدولة والوزارة على كتاب الله عز وجل طباعة ونشراً وتشجيعاً، وأعدت لذلك جميع مستلزمات تحقيق



● أحمد باقر ●

هذا الهدف من إجراءات فنية ومالية.

وفي كل طبعة من طبعات المصحف الشريف تشكل الوزارة لجنة من العلماء والمختصين تقوم بمتابعة إجراءات الطباعة في جميع مراحلها واعتماد كل نسخة من القرآن الكريم على مر هذه السنوات كلها.

وفي الطبعة الأخيرة للقرآن الكريم الذي قامت الوزارة بطباعته قبل أكثر من عام ونصف العام تم أخذ جميع الإجراءات اللازمة لسلامة المصحف الشريف وقدسيته فشكّلت اللجان المختصة لمتابعة ذلك من أول يوم تشرّفت فيه الوزارة بالطباعة والإشراف على ذلك.

فقد كلفت الوزارة طباعة المصحف الطبعة الأولى منه منذ سنتين ونصف السنة واستمرت الطباعة عاماً كاملاً بدأت الوزارة خلاله بمراجعة واعتماد البروفات ومتابعة الطباعة والتدقيق والمراجعة على مدار ٢٤ ساعة.

وقامت المؤسسة الطابعة له بتقديم جميع التسهيلات والإمكانات بما فيها من أجهزة ومواد وفنيين لتحقيق هذا الغرض وبما يتناسب مع قدسية هذا العمل وخصوصيته.

وتم تشكيل لجان مراجعة وتدقيق قامت بمراجعة جميع النسخ بعد الطباعة وتوريدها لمخازن الوزارة، كما قامت الوزارة بتوزيع المصحف الشريف من هذه الطبعة في النصف الأخير من العام ٢٠٠١م، حيث تم تكليف العاملين في قطاع المساجد من أئمة ومؤذنين بمراجعة مصاحف هذه الطبعة الواردة قبل وضعها في المسجد، وقد ورد إلينا خلال هذه الفترة حتى الآن عن طريق العاملين بالمساجد «٨» نسخ وجد بها أخطاء في ترتيب الملازم أو سقوط بعضها، حيث إن هذا الخطأ طبيعي في مجال الطباعة، لأن هناك جهداً بشرياً وآخر آلياً، علماً بأنه لا يوجد في هذه المصاحف التي وردت إلى الوزارة وغيرها أي أخطاء في النص القرآني، حيث إن الوزارة طبعت ١٠٠ ألف نسخة تم توزيع ٦٠ ألف نسخة منها.

إن المصحف الذي تتشرف الوزارة بطباعته لا توجد فيه إلا نسبة ضئيلة جداً من هذه الملاحظات، والوزارة تأخذ بعين الحرص والملاحظة سلامة المصحف، لكن يبقى الجهد البشري عرضة للنقص. وستقوم الوزارة بأخذ النسخ التي بها أخطاء وتصححه وتعيدها إلى المساجد لتكون صالحة للاستعمال، كما تهيب الوزارة بالمصلين في حال وجد أي ملاحظة في أي مصحف تسليمه إلى الوزارة لاتخاذ اللازم ●

# وزارة الأوقاف تعيد تشكيل هيئة الفتوى

أصدر وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية «أحمد باقر» قراراً وزارياً بإعادة تشكيل هيئة الفتوى. وتضم هيئة الفتوى، حسب ما جاء في القرار الوزاري، كلاً من:

حسن مناع - رئيساً، ود.خالد المذكور - نائباً للرئيس، والشيخ مشعل الصباح - مقرراً، وعيسى العبيدلي - نائباً للمقرر، وحسن الشاذلي، وعبدالقادر محمد، وأحمد الكردي، وعجيل النشمي، ومحمد الشريف، وعيسى شقرة، ومحمد مولاي، ومحمد الطبطبائي أعضاء.

وبيّن باقر في القرار الإداري أن هيئة الفتوى تتفرع إلى لجنتين، الأولى للأمور العامة والثانية للأحوال الشخصية. وأوضح أن آلية عمل هيئة الفتوى ولجانها بعد إعادة تشكيلها وهي «اجتماع لجنتي الأحوال الشخصية والأمور العامة في بداية كل أسبوع، بالإضافة إلى اجتماع هيئة الفتوى عند الحاجة، وذلك بدعوة من مقررها رئيس قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الشيخ مشعل الصباح.

وأعطى «الوزير باقر» الحق لرئيس قطاع الإفتاء تشكيل لجان خاصة من أعضاء الهيئة أو من غيرهم لدراسة بعض الموضوعات والأمور المستعجلة لإبداء الرأي فيها من الناحية الشرعية، وتعتمد نتائج هذه الدراسات من قبل رئيس القطاع ما لم تكن لها صفة الفتوى الشرعية فتعتمد من الهيئة أو اللجان المختصة بموضوع الفتوى.

وأضاف «الوزير باقر» تعتبر اجتماعات الهيئة أو أي من لجانها صحيحة مشيراً إلى أن الفتوى «لا تكون ذات صفة رسمية إلا بعد اعتمادها من رئيس قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية» ●



## قوات الاحتلال الصهيونية أعاقت عملية ترميمه

# الجامع العمري الكبير
# أكبر وأقدم جامع في مدينة غزة هاشم

بقلم: ميرفت عوف. فلسطين: مكتب فلسطين للصحافة

يعتبر الجامع العمري الكبير من الجوامع العظيمة في فلسطين، وهو أكبر وأقدم جامع في مدينة غزة على الإطلاق، يتميز بضخامة بنائه و قيمته الأثرية الكبيرة، كما أنه جميل الشكل والهندسة، تقام فيه الصلوات الخمس، ويدرس فيه المدرسون، وبجانبه مكتبة عامرة منذ القدم وما زالت حتى الآن.

يقع هذا الجامع في وسط مدينة غزة في حي الدرج، يشغل الجامع مسطحاً مساحته نحو ٤١٠٠ متر مربع، ويبلغ مسطح الفناء نحو ١١٩٠ متراً مربعاً، وقد وصفه الشيخ عثمان الطباع فقال: «الجامع العمري الكبير الكائن في وسط مدينة غزة بالقرب من سوقها هو أعظم الجوامع وأقدمها وأحسنها، وفيه بيت كبير قائم على ثمانية وثلاثين عموداً من الرخام واسطوانات متينة البناء وفي وسطه قباب مرتفعة على أعمدة فوق عمود من الجانبين، من الباب الشرقي على الباب الغربي، وهو الكنيسة التي أنشأها أسقف غزة «برفيريوس» على نفقة الملكة (أفذوكسيا) وقلَّ أن يوجد لها نظير في بلاد الشام ولذلك يقصدها السياح من كل حدب وصوب، ولم يكن لها غير الباب الغربي والطاقات المرتفعة، ولما فتحت غزة أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعلت هذه الكنيسة جامعاً ثم زيد فيها صف خيم من الجهة القبلية وجعل فيه محراب ومنبر وجعل موضع الناقوس منارة ثم فتح للبيت المذكور الباب الشمالي المعروف بباب التينة كما فُتحت نافذتان شماليتان وكذلك فتح الباب القبلي.

## سبب التسمية

سمي بالجامع العمري نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبالكبير لأنه أكبر جامع في غزة.

رُمم هذا الجامع مرات عديدة من قبل الملوك والوزراء والمصلحين كما تشهد بذلك الكتابات المنقوشة على أبوابه وجدرانه، وقد أنشأ له السلطان «لاجين» سلطان المماليك باباً ومئذنة سنة ٦٩٧هـ ـ ١٢٨١/م. ووسعه الناصر محمد، كما عمر كذلك رمم في العهد العثماني وقد أصاب الجامع خراباً كبيراً في الحرب العالمية الأولى فتهدم القسم الأعظم منه وسقطت مئذنته، وقد جدد المجلس الإسلامي الأعلى عمارته سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م تجديداً شاملاً وأعاد بناءه بشكل فاق شكله السابق.

ووصفه العلامة عبد الله مخلص في أثناء زيارته لـ«غزة» فقال: (هذا مسجد واسع الجنبات مرتفع الأركان،ووضعه يدل على أنه قديم البناء، ويظهر من «الأرقام» التاريخية الملصقة بأعلى أبوابه، مثل باب القيسارية والباب الشرقي وباب الغرفة أن السلطان «الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه زيادة سنة (٧٣٠هـ ١٣٢٩ ـ ١٣٣٠ م) وأن الملك المنصور لاجين أنشأ الباب الشرقي والمئذنة في سنة (٦٩٠هـ ـ ١٢٩١م) وأنه لما سقط المسجد المعلق قام بإنشاء الأمير «سيف الدين بلبان المستعربي» بإنشاء ذلك المسجد مكانه من مال الوقف.

## الكتابات المنقوشة على أبوابه وجدرانه

يؤرخ الشيخ الطباع الغزي صاحب كتاب «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة» لهذا الجامع و لنقوشه فيقول: «بقي هذا المسجد على حاله الأصلية إلى القرن السابع من الهجرة وفي آخره هدم الجدار الشرقي منه وفتح فيه الباب الشرقي المقابل للباب الغربي الأصلي وبنيت المنارة العظيمة التي فوقه ومنقوش على الباب المذكور: (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والمئذنة المباركة مولانا وسيدنا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين «أبو الفتح لاجين المنصوري» رضا أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونشر في الخافقين بالنصر ألويته وأعلامه وأعز أنصاره وأعوانه ووزراءه وحكامه وحكم في منحر المشركين سهامه وسنانه وحسامه وأوزعه شكر ما أنعم عليه وأحسن في الدنيا والآخرة إليه، وتولى عمارتها سفر السلحدار العلائي المنصوري بنظره في أيام ولايته وكان الفراغ منهما في شهر شعبان سنة ٦٩٧ «سبع وتسعين وستمئة» غفر الله له ولجميع المسلمين.

ومكتوب على بلاطة بنصف المئذنة: «(بكتوت الأعسر) ـ ولعله الأغبر ـ اسم المعلم الباني أو (بكتوت الأزرق) صاحب إمارة غزة في أيام (لاجين) والأمير «بكتمور ساقي الملك الناصر» و(لاجين) المذكور كان نائباً في غزة في مدة الملك الذي قبله وهو (كتبغا المنصوري) وأقام في الملك سنتين ثم قتل في القلعة سنة ٦٩٨، ثم

**رمم الجامع العمري مرات عديدة من قبل الملوك والوزراء والمصلحين**

فتح الباب الشمالي المعروف بباب التينة مع النافذتين اللتين في الجدار الشمالي في أيام (الملك المنصور حسام الدنيا و الدين «لاجين» المنصوري) أدام الله أيامه فتح هذا شباك النور المبارك في ولاية العبد الفقير إلى ربه سفر «السلحدار العلائي» في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٧ أثابه الله وغفر له ولجميع المسلمين كما هو منقوش عليه وعلى الشباك الثاني بعد البسملة وآية (إنما يعمر مساجد الله) أنشأ هذا الباب والمحراب في أيام مولانا السلطان «الملك الناصر» خلد الله ملكه وأنشأه العبد الفقير إلى الله تعالى «إبراهيم بن محمد الحاجب» عفا الله عنه وأدامه بالعز آمين سنة ٦٩٩، ثم هدم الجدار القبلي وزيد في بيت الجامع الصف القبلي وجعل فيه المحراب والمنبر واتخذ فيه الباب المقابل لباب الرباط وهو معروف بخان الزيت في وسط سوق القيسارية، ومنقوش عليه بعد البسملة آية (إنما يعمر مساجد الله) أمر بإنشاء هذه الزيادة المباركة بالجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا الملك «المنصور قلاوون» خلد الله ملكه بإشارة المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الأجلي المرابطي الثاغري المؤيدي الناصري المنصوري السيفي مولانا ملك الأمراء «تنكز الناصري» كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة أعز الله أنصاره وكان الفراغ في شهر المحرم سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمئة، وغلط في كتاب دائرة الآثار الفلسطينية حيث قال إنها مؤرخة في سنة ٧٠٧ كما غلط في قوله: إن الباب الغربي من أظرف الأمثلة للهندسة الإيطالية القوطية التي يرجع عهدها للقرن الثاني عشر حيث لم يثبت خرابه وتجديده في عهد الصليبين الذين خربوا البلاد بغزواتهم الشديدة وحملاتهم المتكررة ثم زيد في ساحته وفنائه حتى انتهى إلى الشارع من الجهة الشرقية والشمالية والغربية وأنشأ فيها إيوانات كبيرة ببناء ضخم ورأيت بلاطة بإحدى أسطوانات الجهة الشمالية منقوش عليها: «عمر هذه الأفنا والمنارة بالجامع المعمور بغزة في أيام مولانا السلطان ابن السلطان الملك العادل ابن الملك المنصور «قلاوون» خلد الله سلطانه بإدارة العبد الفقير إلى الله تعالى «سنجر الجاولي» نائب السلطنة بمدينة غزة وُشِمَ بشهر شعبان سنة ٧٢٠ وبنى بصحنه صهريجًا كبيراً لتجميع ماء الشتاء للشرب والوضوء عند الحاجة وصهريج آخر بمجراه يمر الماء فيها إليه عند امتلاء الأول وميضأة عند باب البيت الشرقي متصلة بالمارستان الآتي ذكره وماؤها في بئر الساقية المقابلة له من الجهة القبلية وبنى في صدر الإيوانات الشرقية ونقل أنه كان فوق المحراب كتابة مذكور فيها اسم «موسى باشا» من أمراء آل «رضوان» ومؤرخة في شهر رجب سنة ١٠٧٤ فيكون ممن أسهم في عمارة الجامع المذكور بتصليح وتجديد ما دمر منه ثم أنشأت فيه إيوانات صغيرة تعرف بإيوانات العشي واشتهر أن بانيها عشي كان لحسن باشا من آل رضوان في القرن الحادي عشر ثم تجددت في أوائل القرن الثالث عشر، ومنقوش على الإسطوانة الوسطى منها: «جدد هذه المنارة وشم بها شعاره ورمم هذا الضريح وأتى بهذا الحوض البهيج ابتغاء مرضاة السلام أمير الأمراء الكرام (درويش حسن باشا) متصرف غزة بلغه الله الأماني عام ثلاثة ومئتين وألف». ومنقوش على البلاطة

التي فوقها: «نظام أتم عن درويش حسن باشا الصدور يجاهد في الله يرجو الرخاء محاميا عنه يروم الأجور سيعطيه مولاه ما يرتجي ويفتح إليه جميع الثغور درويش باشا أمير العلا أدام إلهي إليه السرور أقام المنارة لندائه أضاءت حماه صلاة البكور إليه وأرخ حكم بدا (ألا إلى الله تصير الأمور)».

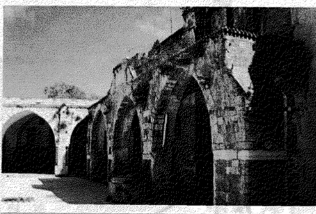
## تجديدات أجريت على المسجد العمري

يقول عبد اللطيف أبو هاشم مدير دائرة التوثيق والمخطوطات والآثار بوزارة الأوقاف والشئون الدينية في فلسطين إنه في أواخر القرن الثاني عشر تولى النظارة على أوقاف هذا الجامع السيد محمد كمال الدين البكري المتوفى بغزة سنة ١١٩٦ فأجرى فيه عمارات كثيرة ففتح من وسط إيواناته الشمالية الباب الكبير ونقض باب جامع ومدرسة السلطان قايتباي لخرابه ووضعه كما كان للجامع الكبير بتاريخه وقوسه ومصاطبه وكذلك نقض محرابه ومنبره ودكة القراء والمؤذنين ووضعها كما كانت في صدر الايوانات الشرقية وكذلك واجهة الغرفتين الصغيرتين اللتين كانتا هناك وكانت إحداهما مقرا للخطيب والثانية للمدرس العلامة الشيخ عبد المجيد البورنو بعد من تقدمه وأقام بالايوانات الشمالية غرفة كبيرة كانت مقراً لمفتي الشافعية وشيخ العلماء بعصره العلامة الشيخ محمد نجيب النخال ثم من بعده كبار العلماء، ويضيف أبو هاشم أنه جددها الشيخ العلامة سليم شعشاعة رئيس العلماء والأوقاف والمعارف، وأنشأ أيضا غرفة كبيرة كانت مقرا للعلامة الشيخ حسين العلمي، والشيخ خليل العلمي وصارت في المدة الأخيرة دائرة للأوقاف حيث تولى نظارتها زيادة عن ثلاثين سنة، وأنشأ أيضا غرفة كبيرة كانت مقراً للشيخ فرج سبع، ثم لمفتي الحنفية الشيخ داود وتيدة ثم لشيخنا العلامة الشيخ عبد اللطيف الخزندار واتخذ الغرفة الكبيرة التي بداخل الإيوانات الغربية مقراً له ولتلاميذه وكان يقيم بهم الحضرة كل ليلة بها محراب صغير وهي على حالها إلى الآن، وأشار أبو هاشم إلى أنه قسمت إلى غرفتين كما كان فيه غرفة صغيرة بالجهة الغربية للعلامة الشيخ محمد سكيك وأمامها ساحة بها نخلة ولذلك عرفت بأوضة النخلة، وكان بتلك الساحة باب صغير تدخل منه النساء للصلاة فيما خصص لهن في البيت ثم ترك ذلك وجدد الباب المذكور ثم خربت في الحرب العامة فجددتها وذلك حسب ما جاء في كتاب إتحاف الأعزة في تاريخ غزة كما ذكر الكتاب أنه أدخلت فيها دكاكين كانت في الجهة الغربية واتخذتها مكتبة.

نقل السيد كمال الدين بلاط جامع الجاولي وغيره ووضعه في صحن الجامع الكبير وكان معموراً بالعلماء والطلاب وغرفة مملوءة خزانتها بالكتب النفيسة مخطوطة ومطبوعة وقد صارت مدرسة دينية علمية يؤمها الطلاب من النواحي والقرى البعيدة، وصارت معمورة بالعلم والعلماء بعد أن كانت جامعاً مهجوراً حتى صار يعبر عنه بالجامع القديم لازدهار تلك الجوامع والمدارس التي حدثت ولم يطل أمرها حتى درست لاندراس الشارع الذي كانت فيه وعاد إليه مجده وتجددت معالمه وشعائره وكثرت أوقافه وتنافس الناس في إرصاد العقارات والمستغلات له حتى صار بوقفه كثير من الحوانيت والدور والأراضي، ومنها حمام السوق والساقية القريبة منه وهي التي كان يؤخذ من بئرها الماء لعمارة هذا المعهد ثم أجرى الماء منه إلى خزان الجامع عند تحويل المتوضأ والمطهرة إلى الجهة الغربية في عهد البكري ومنها خان الكتان ومكتوب على بابه: (هذا الخان وقف المرحوم مصطفى باشا وقف في ذي الحجة سنة ٩٦٢، وكان واليا بدمشق وما يلحق بها ومنها ساقية حسين وكثير من حوانيت السوق الذي تجدد بجواره، ثم تولى نظارته (الكنج أحمد) في أواخر القرن الثالث عشر فأنشأ فيه الباب الغربي أمام الباب القديم وجدد بناء المنبر والمحراب في بيت الصلاة كما جدد قصارته وقام أحسن قيام بإصلاح ما دمر منه، ثم في الحرب العالمية حصل له ما حصل من الخراب داخلا وخارجا حتى هدمت منارته الشامخة المتقنة بقنابل الإنكليز من البر والبحر وصارت بحال يرثى لها، وكانت جبخانة (ذخائر) تركية بداخله فانفجرت، فزادته خرابا ولكن لمتانة بنائه بقيت جدرانه واسطواناته على حالها وكان يظن أنه لا يمكن إعادته لحاله التي كان عليها

**المخطوطات في حال يرثى لها وهي مهددة بالفناء إذا لم نتداركها بالصيانة**





# نشأة مكتبة الجامع العمري ترجع إلى الظاهر بيبرس الذي كان محبا لغزة



وبتكرار الطلب والإلحاح في تجديده وصرف الأنظار إلى عمارته جد المجلس الإسلامي بهمة رجاله العاملين حتى أعيد قسم من الايوانات الشرقية وأزيلت آثار الايوانات الشمالية وأعيدت المنارة كما كانت في سنة ١٣٤٢ هـ، ثم بذلت الجهد في الإلحاح وطلب بناء عمارته فبني الجدار الشمالي على طوله بعد نقضه كما بني الجدار الشرقي، ثم واصل المجلس الإسلامي السعي في تعزيل البيت وتجديده، فعين لجنة تعمير كنت منها فطلبت لجنة من البنائين والمهندسين المسلمين، فأرسل محمد أفندي كمال المهندس والحاج عيسى الطوري البناء وبعد الكشف تقرر تعزيله وإرسال معلمين من القدس مع بعض المعلمين من غزة وجرت المباشرة بتعزيل الردم والأنقاض والأتربة واستحضرت الحجارة وشيدوغيرها وتم ذلك في ١٩ رجب سنة ١٣٤٥هـ ثم تمت عمارته وإصلاح أعمدته وتجديد محرابه ومنبره وتبليط أرضه وقصارته في أواخر شهر شعبان سنة ١٣٤٩هـ وفتح باب ثان في الجدار الشمالي بعد باب التينة المعروف، وبلغ مقدار ما صرف في عمارته اثنا عشر ألف جنيه، وكان يظن أنها تأخذ عشرات الآلاف من الجنيهات وأكثر من عشر سنين فتم البناء في خمسة أشهر، ثم جرى إتمام عمارته بقصارته وتبليطه وتصليح عمده:

لله جامعنا السني المعمور
يبدو برونقه البهيج سرور
هو مسجد الله العتيق بغزة
السعي في أحيائه مبرور

## نفائس مخطوطات مكتبة جامع العمري:

يقول أبو هاشم أن نشأة هذه المكتبة ترجع إلى «الظاهر بيبرس البندقداري» الذي كان محباً لغزة، وشديد العطف على أهلها، وهو الذي أقام بها المنشآت من مساجد وزوايا ومستشفيات وبيمارستانات ومكتبات، فكانت هذه المكتبة «مكتبة العمري» «تحتوي على نيف وعشرين ألف كتاب في مختلف العلوم والفنون، وكانت تسمى في السابق «مكتبة الظاهر بيبرس».

وأضاف أبو هاشم أنه في هذه المكتبة يوجد قسط وافر من كتب علماء أهل غزة ووقفياتهم التي كانوا يوقفونها، فنجد في بداية كل مخطوط أومطبوع العبارة التالية: «ورد لمكتبة الجامع العمري الكبير من فلان على ألا يباع أو يبدل حسب شروط الموقف،وقال أبو هاشم نجد في هذه المكتبة بعض النوادر مثل ديوان ابن زقاعة الغزي الصوفي، وكتب الخطيب التمرتاشي الغزي، وكتب الشيخ الطباع، وكتب الشيخ سكيك، وكتب الشوا وكتب الشيخ بسيسو وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين كانوا مناراً يهتدى بهم، ولم يخل كتاب من كتب المكتبة - سواء أكان مخطوطاً أو مطبوعاً - إلا وللشيخ الطباع عليه بصمات، حيث كان يقوم بكتابة كل ما يتعلق ببيانات الكتاب من: تاريخ وورود، واسم المورد أو المتبرع أو الموقف، وقد عمل سجلاً للمكتبة بحيث حصر جميع مقتنياتها،ويبقى الفضل الأكبر في إحياء وتجديد المكتبة للشيخ الطباع».

ويوضح أبو هاشم انه يعود تاريخ نسخ أقدم مخطوط إلى سنة ٩٢٠هـ، وعنوانه «شرح الغوامض في علم الفرائض»، وهو مؤلف من ٧٥ ورقة ومن تأليف «بدر الدين محمد بن أحمد الماريديني»، المتوفى سنة ٨٦٧هـ، وناسخه هو أحمد بن محمد العسلي المالكي الأزهري، وقد ورد لمكتبة الجامع العمري الكبير إهداءً من مكتبة الشيخ علي أبو المواهب الدجاني مفتي مدينة يافا سابقاً قبل العام ١٩٤٨، بوساطة حفيده السيد يوسف الدجاني. وكما هو مصدر أغلب مخطوطات الجامع العمري فقد وردت بطريق الوقف والإهداء والتبرع.

## حال المخطوطات

ويوضح أبو هاشم إن المخطوطات في الجامع العمري في حال يرثى لها، فأغلب المخطوطات قد ضربتها الأرضة وأصابتها الرطوبة، وبعض منها تعفن وتآكل بسبب عوامل الجو، والزمن والإهمال وعدم الصيانة، وهذا ما يهدد هذه الكنوز بالفناء ويحول دون الاستفادة منها، ولهذا بادر قسم التوثيق والمخطوطات والمكتبات في وزارة الأوقاف الإسلامية بالعمل الجاد لخدمة هذا التراث الزاخر وحفظه، وقامت الوزارة بعمل دليل مفصّل عن تلك المخطوطات يتحدث عن كل مخطوط على حدة من حيث الأهمية العلمية والتاريخية ونسخه في مكتبات العالم وطبعاته وكل المعلومات التي تتعلق بالمخطوط وأكد أبو هاشم أن هذا الدليل سيطبع في القريب العاجل ليكون مرشدا للباحثين عن المخطوطات الإسلامية في فلسطين.

ويشير أبو هاشم إلى أن وزارة الأوقاف الفلسطينية قررت العام ٢٠٠٠م الاستعانة بخبراء وفنيين في ترميم الآثار لترميم الجامع العمري الكبير ومع بداية تنفيذ هذا القرار اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة ومارست قوات الاحتلال إجراءاتها التعسفية لمنع الخبراء من الوصول لمدينة غزة ومباشرة عملهم في ترميم الجامع وظل الوضع على ما هو عليه لحين تمكن البروفسور د.صالح لمعي - الخبير المصري في ترميم الآثار من القدوم إلى غزة ومعاينة المسجد،وبعد معاينة الجامع من قبل الخبير لمعي تم وضع دراسة علمية وعملية لترميمه وقد بدأ فعلا بتنفيذ تعليمات البروفسيور الذي غادر غزة وسيتولى عملية إعطاء تعليمات الترميم من جمهورية مصر العربية ●





# القانون الروماني والشريعة الإسلامية



بقلم: سالم البهنساوي

ترجع نشأة القانون الروماني إلى تأسيس روما العام ٧٥٤ قبل الميلاد، وقد تطور مع تطور الدولة مروراً بقانون الألواح الاثنى عشر العام ٤٥١ق.م، وبمرحلة النضج العام ٢٨٤ بعد الميلاد، ثم مرحلة انتشار المسيحية والاعتراف بها كدين رسمي للدولة في عهد «ثيود وسبانوس» خلال الفترة من ٢٧٩ إلى ٣٩٥م.(١)

ويعتبر هذا القانون مصدراً لكثير من القوانين الحديثة كالقانون الفرنسي والقوانين التي أخذت عنه والقانون الألماني والقوانين التي أخذت عنه، ونظراً لأن القرآن الكريم قد نزل على النبي صلى الله عليه وسلم العام ٦١٠م في القرن السابع الميلادي، فقد كتب بعض المستشرقين أن الشريعة الإسلامية قد أخذت أحكامها المدنية من القانون الروماني.

وهذا يصدر من بعض المستشرقين، إما للجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، أو لتبعية هؤلاء لخصوم الشريعة الإسلامية.

أما أن يصدر عن بعض المسلمين من أساتذة القانون المدني في بعض الجامعات العربية، فهذا هو الغزو الفكري الذي تخطى الحدود ووصل إلى أساتذة الجامعات، بل والمتخصصين منهم في القانون المدني.

ولسنا ندري كيف غاب عن هؤلاء أنه توجد فوارق جوهرية بين القانون الروماني في آخر ما وصل إليه بعد تطوره، وبين الشريعة الإسلامية، وكيف جهل هؤلاء مؤتمرات القانون المقارن التي أشادت بالشريعة، وقررت أنها ليست مستمدة من غيرها، وليست امتداداً للقانون الروماني.

ولمحو هذه الأمية أسجل هنا شهادة بعض هذه المؤتمرات كما أسجل أهم الفوارق بين الشريعة والقانون الروماني، ثم سبب التوافق بين بعض أحكام الشريعة هنا والقانون.

## أولاً: شهادة أهل الاختصاص

لقد عُقد مؤتمر في «لاهاي» العام ١٩٣٢م للقانون المقارن وكان في المؤتمر كبار فقهاء القانون في ألمانيا وإنجلترا وفرنسا، وانتهوا إلى أن الشريعة الإسلامية إحدى الشرائع الأساسية المستقلة والتي سادت العالم ومازالت تسوده.

وفي المؤتمر الثاني في ذات المدينة العام ١٩٣٧م أصدر القرارات التالية بشأن الشريعة الإسلامية بناء على البحوث المقدمة للمؤتمر ومنها بحث للأستاذ عبدالرحمن حسن عن علاقة القانون الروماني بالشريعة الإسلامية، والقرارات هي:

أ - اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر

التشريع العام.

ب - اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطوير.

جـ - تسجيل البحث واعتباره مرجعاً فقهياً.

د - استعمال اللغة العربية في المؤتمر في الدورات المقبلة.

في ٢ يوليو العام ١٩٥١م خصصت كلية الحقوق بجامعة «السربون» باريس، أسبوعاً لدراسة الفقه الإسلامي برئاسة الأستاذ Millot أستاذ التشريع الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة «باريس»، وقد اختتم نقيب المحامين في باريس أعمال المؤتمر بكلمة قال فيها: «لا أرى كيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الإسلامية، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة، وبين ما سمعته في هذا المؤتمر، مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الإسلامية من عمق وأصالة ودقة وكثرة تفريع، وصلاحيتها لمقابلة جميع المشكلات، وانتهى الأسبوع بإصدار القرارات التالية:

أ - مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة قانونية تشريعية لا يماري فيها.

ب - اختلاف المذاهب يحتوي ثورة تشريعية هي مناط الإعجاب، ومنها يستجيب الفقه الإسلامي لجميع مطالب الحياة.

## ثانياً: أهم الفوارق بين الشريعة والقانون الروماني

لا يجهل أحد من الباحثين أن القانون الروماني قد مرَّ بمراحل كثيرة حتى اكتمل في عهد الأمبراطور «جوستنيان» فإذا عقدنا مقارنة بين آخر ما توصل إليه القانون وبين الشريعة الإسلامية، لوجدنا فوارق شاسعة تحول دون القول بسطو واضعي الشريعة على القانون الروماني، وأخذهم أحكامه ونسبتها إلى الشريعة، ذلك فيما لو كان الباحث خصماً للشريعة ولا يؤمن بأنها من عند الله تعالى.

أما المسلم فيعلم ويؤمن بأن الشريعة الإسلامية أنزل الله أحكامها على نبيه كاملة غير منقوصة أي لم تتطور خلال القرون والأزمان كما كان الشأن في القانون الروماني وجميع القوانين البشرية.

وفيما يلي أهم مساوىء القانون الروماني والتي يعلم القاصي والداني أنها من آخر التعديلات التي توصل إليها القانون الروماني خلال مراحله وقد أبطلها الإسلام.

١ - يأخذ القانون الروماني بنظام التبني وهو أن ينسب شخص إلى غير أبيه وهذا قد حرمته الشريعة

**المسلم يعلم ويؤمن بأن الشريعة الإسلامية أنزل الله أحكامها على نبيه كاملة غير منقوصة أي لم تتطور خلال القرون والأزمان**

الإسلامية كما هو معلوم للجميع قال تعالى: (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) الأحزاب:٤.

٢ - يأخذ القانون الروماني بنظام الموت المدني وهو نظام خاص بالأشخاص الأحياء الذي يختارون أن يصبحوا رهباناً فتنتهي شخصيتهم القانونية ويقطعون روابطهم العائلية، وقد حرَّم الله ذلك بقوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها)، والقانون الروماني قد طبق هذا النظام على من يهرب من الخدمة العسكرية وعلى المدين إذا عجز عن سداد الدين وأصبح رقيقاً فالشخص في القانون الروماني يموت مدنياً في الحالات التالية:

أ - إذا فقد حريته وأصبح عبداً.

ب - إذا هرب من الخدمة العسكرية.

جـ - إذا فقد صفته العائلية(٢).

ولا يجهل أي باحث أن الإسلام يحرِّم ما يسمَّى بالموت المدني ويحرِّم الاسترقاق حسب المفصل في آخر الفصل الثالث.

٣ - نقل الملكية في القانون الروماني لا يكون بالعقد، بل لابد من إجراءات رسمية لنقل الملكية سواء في العقار أو المنقول.

وقد أخذت القوانين الحديثة هذا عن القانون الروماني في نوع واحد من المنقولات وهو ملكية السيارات في جميع العقارات فاشترطت الرسمية.

والمعلوم أن الشريعة الإسلامية لا تشترط أي إجراء رسمي لنقل الملكية في المنقول والعقار على السواء.

٤ - سبق أن أوجزت في الصفحات السابقة شريعة الإسلام بالنسبة للمرأة عامة والمرأة المتزوجة بصفة خاصة وحسبنا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما النساء شقائق الرجال» وقول الله تعالى عن الحقوق بين الزوجين: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) البقرة ٢٢٨، وهي القوامة التي تسير عليها جميع الأمم، والمرأة بصفة عامة في هذا القانون عديمة الأهلية كالأطفال والمجانين.(٣)

والزواج الأصل فيه أن تكون المرأة تحت سيادة زوجها له عليها حق البيع وليس لها أي حق.

ولما تطور هذا القانون أباح بنظام الزواج بدون سيادة وفيه لا توجد سيادة للزوج بل لرب الأسرة مع البيع بعد المرة الثالثة، حيث كان يُباح لرب الأسرة شراء من باعة من أفراد أسرته ثم بيعه مرة أخرى إلى ما لا نهاية فأصبح هذا البيع ثلاث مرات فقط، وتخضع الزوجة وزوجها معاً لسلطة رب الأسرة.(٤)

٥ ـ لا يجهل المنصف من غير المسلمين أن الإسلام قد أقر الصحيح من المعاملات وألغى الظالم والفاسد منها فلم يأخذ بالعرف السائد والقوانين السابقة كما هي بل أخضعها لنظام الله الذي لا يأتيه النقص ولا الخلل.

أ ـ فعلى سبيل المثال كانت المرأة قبل الإسلام لا تملك حرية الزواج بل ذلك لولي أمرها فحرم الله ذلك وجعل للمرأة الحرية الكاملة في ذلك.

ب ـ وكانت المرأة لا ترث فحرم الله ذلك وقدَّر لها الحق في الميراث.

جـ ـ وكان لا تملك التصرف في أموالها إلا بإذن من أبيها أو زوجها فحرم الإسلام ذلك وجعل لها الحق في التملك والهبة والبيع والشراء دون إذن من أبٍ أو زوج.

د ـ وكان في العالم قبل الإسلام أنواع كثيرة من البيوع الظالمة فألغاها لأنها تعتمد على الحظ وفي ذلك جهالة للمبيع وتغرير بالبائع واشترط الإسلام لصحة البيوع الرضا بعد المعاينة وفرض مهلة للخيار بين الطرفين، وعلى سبيل المثال مما ألغاه الإسلام من البيوع ما يلي:

١ ـ بيع الحصاة: وهو أن يقول أحد المتايعين للآخر، إرم الحصاة، فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بكذا.

٢ ـ بيع الملامسة: وهو انعقاد البيع بلمس المبيع دون النظر إليه، وفيه يقول البائع للمشتري: إذا لمست المبيع وجب البيع.

٣ ـ بيع المنابذة: وهو أن يلقي أحد المتابعين إلى الآخر متاعاً ويلقي إليه الآخر مثله، ويجعلا هذا النبذ أو الإلقاء موجباً للبيع قاطعاً للخيار.

٤ ـ بيع النجش ـ وهو أن يتفق صاحب السلعة مع رجل على أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها. ولكن ليسمعه رجل آخر فيزيد بزيادته، والغاية في ذلك تصريف السلعة وغش المشتري.

٥ ـ بيع ما هو في بطون الحوامل من الحيوان كالإبل والغنم.

٦ ـ بيع النسيئة وهو أن يؤجل البائع الثمن مع زيادة فيه.

## ثالثاً: مدى التوافق بين الشريعة والقانون الروماني

إنه رغم الفوارق الرئيسة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني.

يوجد توافق بين أحكام في هذا القانون بعد تطوره ومثلها في الشريعة الإسلامية، كمبدأ المساواة أمام القانون، وهذا جعل بعض المستشرقين يظنون أن الشريعة الإسلامية قد أخذت عن القانون الروماني لأنه سابق عليها.

وهذا مفهوم ضيق وخاطئ للشريعة الإسلامية، فهي لم تبدأ بنزول القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي، فبدأت مع إرسال الله الرسل للناس منذ آدم وحتى نزل القرآن الكريم على خاتم النبيين قال تعالى: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً) آل عمران:٦٧.

كما أنزل الله رسالة الإسلام على نبيه إبراهيم أنزل ذلك على باقي الأنبياء والرسل فعن رسالة نبيه عيسى قال تعالى: (وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنَّا وأشهد بأننا مسلمون) المائدة:١١١، لهذا فالإسلام سابق على القانون الروماني وغيره.

فما كان في شريعة موسى وعيسى من الأحكام التي اقتبسها الرومان وأدخلوها في القانون الروماني خلال فترات تطوره وتنقيحه.

هذا هو السبب في التوافق بين بعض الأحكام وبين الشريعة الإسلامية في صورتها الخاتمة.

أما أن القانون الروماني قد استمد أحكاماً من المسيحية والتي تتمثل في التوراة والإنجيل معاً.

فهذا تم بعد انتهاء عصر اضطهاد الرومان للمسيحية والمسيحيين لأنه في أواخر القرن الرابع الميلادي أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للبلاد الرومانية وحرم الإمبراطور «ثيودور» إقامة شعائر الوثنية، بل إن الإمبراطور «قسطنطين» التي تنسب إليه مدينة القسطنطينية، أنشأ محاكم كنسية من رجال الدين المسيحي وكانت تفصل في القضايا المدنية حتى قال الفقيه «برايس» إن القانون الكنسي لم يكن إلا مظهراً من مظاهر القانون الروماني.

والقانون الكنسي هو قواعد القانون الروماني بعد تهذيبها لتتفق مع التوراة والإنجيل.(٦)

**القانون الكنسي هو قواعد القانون الروماني بعد تهذيبها لتتفق مع التوراة والإنجيل**

### الهوامش:

١ ـ التفاعل القانوني في حوض البحر الأبيض المتوسط منذ خمسة آلاف سنة ـ للمحامي الدكتور خضر الحموي ـ ص ١٨٧، ١٨٨، بيروت ١٩٩٦م.

٢ ـ تاريخ القانون ـ عباس العبودي ـ ص١٤٧ ـ ط بغداد ـ سنة ١٩٩٦م.

٣ ـ الوجيز في النظريات والأنظمة السياسية للدكتور عبدالحميد متولي ـ ص ١٨.

٤ ـ مبادئ القانون الروماني ـ د. محمد بدر، والدكتور عبدالمنعم البدراوي ـ ص١٩٧.

٥ ـ تاريخ القانون ـ عباس العبودي ـ ص١٠٨، بغداد سنة ١٩٩٦م.

٦ ـ تاريخ القانون ـ عباس العبودي ص ١٠٨ بغداد سنة ١٩٩٦م.

# ضوابط النشر

حرصاً من إدارة المجلة على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

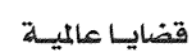
## • ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهله للكتابة.
- أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

## • ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.
- ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.






# هل العولمة خطر على الإسلام وقيمه الحضارية؟

بقلم: عيسى أحمد العبيدلي




إنّ العولمة مصطلح حديث يُراد به إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب، وبين الأوطان، وبين الثقافات، أو بمعنى آخر هي العمل على التضاؤل السريع في المسافات الفاصلة بين المجتمعات الإنسانية... والعولمة ترجمة لكلمة (MONODIALISATION) الفرنسية وتعني جعل الشيء على مستوى عالمي... والتي هي ترجمة لكلمة (GLOBALIZATION) الإنكليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأميركية، وهي تفيد تعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل الكل، ومن هنا فإن الدعوة إلى العولمة إنما يُراد بها الدعوة إلى تبني نموذج معين أو نمط من الأنماط في بلد ما وتعميمه على الجميع «أي على العالم كله».

## واقع العولمة اليوم

والعولمة في واقعها اليوم تعني فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من القوى العظمى على العالم الثالث، وبخاصة العالم الإسلامي... فالعولمة في أجلى صورها اليوم تعني «تغريب العالم»، فهي عهد جديد من الهيمنة والاستعمار تحت مظلة عنوان لطيف اسمه «العولمة» تمارس من خلالها الدول العظمى الضغط على الدول الفقيرة والضعيفة لقبول سياسات الغرب الاقتصادية وتبنّي ثقافة الغرب الخاصة التي تقوم على المادية والنفعية والحرية والإباحية، وإجبارها بشتى الوسائل على فتح أبوابها على مصاريعها ـ بدعوى العولمة ـ في مجالات التجارة والاقتصاد، والتصدير والاستيراد، أو مجالات الثقافة والإعلام ـ غير مكترثة بخصوصيات تلك الدول ـ مستخدمة في ذلك المنظمات العالمية، وأجهزة الأمم المتحدة، والمؤتمرات العالمية التي تعقدها، ولا شك أن ذلك سيكون في المنظور القريب على الأقل لحساب القوى الكبرى، والدول التي تملك ناصية العلم والإعلام الجبار والتكنولوجيا العالمية والمتطورة... وسيصب ذلك في النهاية لصالح الأقوياء ضد الضعفاء، ولكسب الأغنياء ضد الفقراء، ولمصلحة الشمال الغني ضد الجنوب الفقير.

## مؤتمرات العولمة

ولقد دأب دعاة العولمة ـ في سبيل عولمة القوانين والأنظمة ـ إلى عقد سلسلة من المؤتمرات الدولية وإلى طرح المشاريع التي لا تراعي في كثير من موادها تعاليم الأديان السماوية والشرائع الإلهية، وبخاصة الرسالة الخاتمة «شريعة الإسلام»، ويهدفون من وراء ذلك إلى إخراج ميثاق دولي تقره الدول والمنظمات والهيئات المشاركة في المؤتمر أو أغلبها ليتم التحاكم إليه مستقبلاً، وتقويم مواقف الدول عليه... وقد تجلى ذلك في «مؤتمر السكان» الذي عقد بالقاهرة في صيف العام ١٩٩٤م، والذي أريد فيه أن تمرر وثيقة تبيح الإجهاض بإطلاق، وتجيز الأسرة الوحيدة الجنس «الزواج المثلي أي زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء»، وإطلاق العنان للأولاد في السلوك الجنسي، والاعتراف بالإنجاب خارج إطار الزواج الشرعي، إلى غير ذلك من الأمور التي تخالف الأديان السماوية كلها، كما تخالف ما تعارفت عليه مجتمعاتنا، وغدا جزءاً من كينونته الروحية والحضارية، ومن هنا وجدنا الأزهر الشريف في مصر، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، وجمهورية إيران الإسلامية، والجماعات الإسلامية المختلفة، يقف معها الفاتيكان ورجال الكنيسة جنباً إلى جنب لمقاومة هذا التوجه المدمر، إذ شعر الجميع أنهم أمام خطر يهدد قيم الإيمان بالله تعالى ورسالاته، والأخلاق التي بعث الله بها رسله عليهم السلام، كما تجلت هذه العولمة في «مؤتمر المرأة» في بكين سنة ١٩٩٥م، وكان هذا امتداداً لمؤتمر القاهرة وتأكيداً لمنطلقاته، وتكميلاً لتوجهاته.

## رابطة العالم الإسلامي والعولمة

لذا يتوجب على الغيورين على الإسلام، وبخاصة العلماء والمفكرين والمثقفين الحضور والوجود في مثل هذه المؤتمرات والمنتديات، لشرح الخصوصية الدينية والثقافية والبنية الاجتماعية للأمة الإسلامية، وهو الموقف الوسط الذي ينبغي أن يسلكه المسلمون تجاه العولمة لا الاستسلام لها، واتباع سننها دون تحفظ كما هو ديدن الحداثيين والتقدميين، ولا التقوقع والانعزال عنها ورفضها جملة وتفصيلاً كما هو ديدن بعض المتزمتين، بل لا يقتصر الأمر على ذلك، وإنما يتعداه إلى المبادرة إلى عقد المؤتمرات لتوضيح سمو تعاليم الإسلام والدور المشرق الذي لعبه عندما تحاكم الناس إليه، وإسهامه في

**يجب حضور المؤتمرات الدولية لشرح الخصوصية الدينية للأمة الإسلامية**

مجال الرقي والتقدم الحضاري الإنساني، كما يتحتم على المسلمين أيضاً التداعي إلى التنسيق بين مواقفهم وتوحيد كلمتهم أمام الدول والمنظمات غير الإسلامية... ومن المبادرات الرائدة في هذا الصدد ما قامت به رابطة العالم الإسلامي حينما دعت المنظمات والهيئات الإسلامية - التي ستشارك في مؤتمر قمة الأرض للتنمية المستدامة «قمة جوهانسبرغ ٢٠٠٢م» المنعقدة في الفترة من ١٧ - ١٤٢٣/٦/٢٦هـ والتي توافق الفترة من ٨/٢٦ - ٢٠٠٢/٩/٤م - إلى اجتماع تمهيدي بمكة المكرمة بتاريخ ١٤٢٣/٥/١٧هـ الموافق ٢٠٠٢/٧/٢٨م، وذلك للتنسيق في المشاركة في المؤتمر، وقد أصدرت عدداً من القرارات والتوصيات بعد أن تدارست المشروع الذي ستعرضه اللجنة العالمية للتنمية المستدامة المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة لمناقشته، وإقرار مواده في المؤتمر المذكور. وإن من أهم القرارات التي دعت إليها تلك المنظمات والهيئات القرار رقم (٢) حيث جاء فيه التأكيد على ما يلي:

١ - تأييد المواد التي تدعو إلى عمل الخير، مما تضمنته الوثيقة المقدمة للمناقشة من هيئة الأمم المتحدة، مثل معالجة الفقر، وحماية البيئة، وتحقيق الأمن والسلم في العالم.

٢ - رفض كل مادة لا تتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أو تتعارض مع التشريع الإلهي الذي نزلت به الرسالات، وبعثت به الرسل - عليهم السلام - وخاتمة ذلك رسالة الإسلام، التي بُعِثَ بها محمد، صلى الله عليه وسلم، لجميع الناس: (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف:١٥٨، وهي رسالة رحمة للبشرية جمعاء: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧.

٣ - إن مؤتمرات العولمة تتضمن في مشروعاتها مواد مخالفة للخصوصيات الدينية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات البشرية، ولابد من تعاون المشاركين في المؤتمر لتعديل كل مادة تلغي هذه الخصوصيات، ولا سيما الدينية منها.

## عالمية وشمولية الحضارة الإسلامية

إن معظم الحضارات الإنسانية التي عرفتها البشرية قامت على أسس فكرية ونفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها، لذا لم تستطع حضاراتهم أن تعطي الصورة المُثلى للحضارة الإنسانية الراقية، فكانت الأسس الفكرية لبعض الحضارات قائمة على تمجيد العقل، وبعضها قائم على تمجيد القوة وبسط السلطان، وبعضها قائم على تمجيد القوى الروحية وقهر مطالب الجسد وكبت غرائزه، وأما الحضارة الحديثة التي بدأت في أوروبا وامتدت إلى كثير من بلدان العالم، فأسسها قائمة على تمجيد العلوم المادية، والاستفادة من جميع الطاقات الكونية الظاهرة والخفية لخدمة الجسد، ومنحه وافر الرفاهية والمتعة واللذة، واختصار الزمن له، وتقريب المسافات، وتخفيف الجهد عنه، ودفع الآلام الجسدية، وقائمة أيضاً على الرغبة ببسط السلطان على الشعوب، واستغلال خيراتها، وإعداد القوة الكفيلة بتحقيق ذلك.



ولقد أثمرت هذه الحضارة الحديثة التي بدأت منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لإنسان هذه القرون، مجموعة كبيرة جداً من العلوم المادية المتطورة المتقدمة، ومجموعة ضخمة من المبتكرات والمخترعات في مختلف النواحي المادية، السلمية والحربية، ومجموعة ضخمة من النظم والتشريعات الوضعية، التي أسهمت في تنظيم علاقات الناس أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً ودولاً، كما أثمرت له ذخائر كبيرة جداً من القوى الحربية الدفاعية والهجومية، وبالرغم من ذلك، فقد أهملت الحضارة الحديثة جوانب مهمة من حياة الإنسان الروحية والخلقية والسلوكية، واستهانت بالجوانب الفكرية العليا، المتصلة بمنشأ الإنسان ومعاده، والغاية من وجوده، ولعل تقدمها الباهر في وسائل الرفاهية وأعتدة القوة سبباً من أسباب دمارها المذهل إن عاجلاً أو آجلاً.

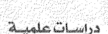
أما الحضارة الإسلامية فهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها، من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية، الفردية والاجتماعية، ومن جميع المجالات العلمية والعملية، لذلك فهي جديرة بأن تمنح الأمم التي تلتزم بها وتسير في منهجها سيراً قويماً، الصورة المثلى للحضارة الإنسانية الراقية، لأنها حضارة قائمة على الالتزام بالحق ونبذ الباطل... وحب الخير للآخرين وتقديرهم.. وعلى العالمية والشمولية.. وعلى العدل ونبذ الظلم... وعلى المساواة وعدم التفرقة... وعلى مراعاة الفطرة البشرية واحترام خصوصيات الشعوب، فالإسلام رسم للناس المنهاج القويم الذي يكفل لهم سبقاً عظيماً في ميادين الحضارة، حيث أنزل الله تعالى لهم الشرائع والأحكام الكفيلة بأن تقيم لهم مجتمعاً إنسانياً فاضلاً، إذا هم التزموا بتطبيقها، وترك لهم مجالاً واسعاً للاستزادة من النظم الحضارية التي أذن لهم بأن يتابعوا تطويرها وتحسينها بحسب ما تقتضيه مصالح معاشهم ورفاهيتهم، والأخذ بأسباب التقدم والرقي الحضاريين.

## المستقبل لهذا الدين

وهنا لا ينبغي أن يغيب عن البال أن أعداء الحضارة الإسلامية - سواء من خارج الأمة الإسلامية أو من بعض أبنائها - يقفون لها بالمرصاد، ويسعون جاهدين لمنعها من أن تسير في منهجها الإنساني القويم، لذلك فهي في صراع مستمر مع عوامل الهدم والشر والإفساد في الأرض، الأمر الذي يعوق تقدمها، ويعرقل سبيلها باستمرار، ومما يبشّرنا بأن عالمية الإسلام ستكون بديلاً عن عولمة القوى الاستعمارية الحديثة، وأن المستقبل لهذا الدين قول الله عز وجل: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الصف:٩. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى - أي جمع وضم - لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» رواه مسلم وأبو داود وغيرهم، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر» رواه أحمد ●

**الحضارات الإنسانية قامت على أسس فكرية ونفسية غير شاملة لحاجات الحياة**







# أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

إعداد مهندس زراعي: محمود سلامة الهايشة - اختصاصي انتاج حيواني - جامعة المنصورة



منذ القدم، وحتى اليوم، مازال ينظر للإبل باعتبارها حيوانات صحارى، تعتمد في غذائها على ما تلتقطه من المراعي الطبيعية، والتي يتوقف وجودها وجودتها على وفرة المطر من عدمه. ورغم كل ذلك، تعايشت وتأقلمت على هذه الحياة الصعبة، والتي تعتبر ظروفا مهلكة لأي حيوان زراعي آخر، بالإضافة إلى أنها تفوقت على بعض الأنواع من الماشية في إنتاجها السنوي من الألبان، وبعض المنتجات الحيوانية الأخرى.

وبالرغم من أن نحو ٦٢٪ من إجمالي الإبل في العالم يقع في أقطارنا العربية، إلا أنه وللأسف الشديد، أغلب الدراسات والأبحاث والمصادر العلمية المتعلقة بهذه الحيوانات، مصدرها أجنبي!!. وفي السنوات الأخيرة، بدأت صحوة علمية من قبل الباحثين العرب للاهتمام بهذا الحيوان، وعلى الرغم من أنها تأخرت كثيراً، لكن كان لابد منها، للحفاظ على هذا النوع من الانقراض، باعتباره مصدراً مهماً للحوم والألبان في أقطار كثيرة، ومازالت تستخدم حتى الآن في العمل الزراعي والنقل والترحال والأغراض العسكرية وحراسة الحدود بين الدول.

قال الله تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت) (الغاشية: ١٧) وتأمل في بديع خلق الإبل وكيف سواها الله عز وجل وهيأها لأداء الوظيفة التي خلقها لها، لقد أعطى الله الإبل الصورة الخلقية التي تلائم عيشته وأسفاره الطويلة في الصحراء،

فلهذا خُلق الجمل برقبة طويلة تُعلي رأسه وتنأى بعينيه عن غبار الرمال، كما مُنح شفة مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادي دون أن تؤذيه، وأعطى سناماً يختزن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يوماً في الصحاري القاحلة، ولم تنته رجله بحافر يغوص في الرمال كحوافر الخيل والبغال والحمير بل انتهت بخف يقدر به على اجتياز الرمال دون أن يسوخ فيها، ولهذا سموه سفينة الصحراء. لم يحظ أي نوع من الأنعام بهذه الإشارة القرآنية المتدبرة التي توجه نظر الإنسان إلى خلق الإبل وتفردها بمزايا خاصة يجب أن يتفكر فيها الإنسان ويتعلم منها ويستفيد بها، فهي تؤدي دوراً اقتصادياً واجتماعياً مهماً ضمن النظم الرعوية والزراعية في المناطق الجافة وشبة الجافة في الكثير من الدول الأفريقية والآسيوية. ويعتمد عليها البدو اعتماداً يكاد يكون كلياً في معظم ضرورات حياتهم. فهي مورد للرزق ومصدر للغذاء والكساء ووسيلة النقل والتنقل لسكان هذه المناطق. كما أنها مصدر فخر واعتزاز وتعبير عن الوضع الاجتماعي. وحديثاً دخلت الإبل ميادين رياضة السباق، واهتمت بعض الدول العربية بسباق الهجن لإبراز التراث الشعبي ومنع اندثاره، إضافة إلى إظهار أهمية هذا الحيوان وتوجهها للاهتمام به.



## ما لا نعرفه عن الإبل

الجمل حيوان وديع سهل الإنقياد، صبور عند المرض، يستحسن المعاملة الطيبة ويستجيب للمداعبة، لكنه يستوحش إذا أهمل وفي هذه الحال يجب الحذر منه. والإبل سريعة الغضب متقلبة المزاج وعند استثارتها تخرج أصواتاً تشبه الزمجرة وقد تعض أحياناً.

ومن السلوكيات التي تتمتع بها الإبل أنها نادراً ما تلجأ لعملية الانتقام في حالة سوء معاملتها أو ظلمها، وإذا ما نوى الجمل على الانتقام فإنه يخطط ويرتب لذلك جيداً. فهو يهاجم الشخص إذا كان غافلاً وأعزلاً من السلاح، ويتخذ الجمل كل أسلحته من عض وضرب الأرجل وقد يقذف بالشخص إذا كان راكباً على ظهره ويرميه على الأرض ويبرك عليه ولذلك قيل «أحقد من جمل».

ومن عجائب هذا الحيوان أنه ذكي فهو يستطيع أن يعرف الأماكن التي شرب منها ولو مرة واحدة وكذلك يعرف الطرق التي يسلكها ولو للمرة الأولى حتى إن الرعاة إذا لم يعرفوا الطريق وضلوا في الصحاري المهلكة، فإنهم يتركون إبلهم تسير لوحدها دون أن يرغموها على الذهاب إلى جهة معينة فتدلهم إلى مضاربهم. كما أن الإبل تستطيع معرفة الأماكن التي ستهطل الأمطار عليها من رائحة الرطوبة فتتجه إليها. ومن ذكاء الجمل أنه يعرف مكان ولادته بكل دقة حتى لو مرت سنين طويلة وهو يحب موطن ولادته ويحن إليه دائماً. فسبحان من ألهمه ذلك. وسبحان من قال: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت).

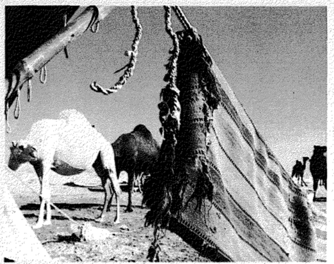
## العلاج بألبان وأبوال الإبل

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ نَاسًا اجْتَوَوْا فِي الْمَدِينَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَلْحَقُوا بِرَاعِيهِ يَعْنِي الإبل فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَلَحِقُوا بِرَاعِيهِ فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَسَاقُوا الإبلَ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ فَجِيءَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ». رواه البخاري.

قال القزاز اجتووا أي لم يوافقهم طعامها وقال ابن العربي داء يأخذ من الوباء وفي رواية أخرى استوخموا قال وهو بمعناه وقال غيره داء يصيب الجوف وفي رواية أبي عوانة عن أنس في هذه القصة فعظمت بطونهم.

وفي الأثر عن الشافعي رضي الله عنه أورده السيوطي في المنهج السوي والمنهل الروي يقول: ثلاثة أشياء دواء للداء الذي لا دواء له، والذي أعيا الأطباء أن يداووه: العنب، ولبن اللقاح، وقصب السكر، ولولا قصب السكر ما أقمتُ بمصر.

يذكر صاحب كتاب طريق الهداية في درء مخاطر الجن والشياطين أنه أخبر عن نفر من البادية عالجوا أربعة أشخاص مصابين بسرطان الدم وقد أتوا ببعضهم من لندن مباشرة بعد ما يأسوا من علاجهم وفقدوا الأمل بالشفاء وحكم على بعضهم بنهاية الموت لأنه مصاب بسرطان الدم، ولكن عناية الله وقدرته فوق تصور البشر وفوق كل شيء، فجاءوا بهؤلاء النفر إلى بعض رعاة الإبل وخصصوا لهم مكاناً في خيام وأحموهم من الطعام مدة أربعين يوماً ثم كان طعامهم وعلاجهم حليب الإبل مع شيء من بولها وبخاصة الناقة البكر لأنها أنفع وأسرع للعلاج وحليبها أقوى وخصوصاً من رعت من الحمض وغيره من النباتات البرية وقد شفوا تماماً وأصبح أحدهم كأنه في قمة الشباب وذلك فضل الله أ.هـ. قلت وقد ذكر لي الكثير عن قصص مشابهة لمرضى عجز الطب عن علاجهم من السرطان وبتوفيق من الله تعالى تم شفاؤهم بهذا العلاج عند أهل البادية.



وتوجد ظاهرة مدهشة في حليب النوق، حيث لوحظ أن نسبة الماء في تركيب حليبها في حال توافر ماء الشرب هي ٨٦٪، وفي حال ندرة الماء تصبح ٩١٪، أي أن النوق تفرز ماءً أكثر لوليدها في أثناء شح المياه وبالتالي توفر له السوائل اللازمة تحت ظروف الجفاف.

وبول الإبل يسميه أهل البادية «الوَزَر»، وطريقة استخدامه بأن يؤخذ مقدار فنجان قهوة أي ما يعادل نحو ثلاثة ملاعق طعام من بول الناقة ويفضل أن تكون بكراً وترعى في البر ثم يخلط مع كأس من حليب الناقة ويشرب على الريق.

وفي مقالة في جريدة الاتحاد العدد ٩٥١٥ بتاريخ ٧/٢٤/٢٠٠١ تتناول دراسة الدكتور محمد مراد الإبل في مجال الطب والصحة حيث يشير إلى أنه في الماضي البعيد استخدم العرب حليب الإبل في معالجة الكثير من الأمراض ومنها أوجاع البطن وبخاصة المعدة والأمعاء ومرض الاستسقاء وأمراض الكبد وبخاصة اليرقان وتليف الكبد وأمراض الربو وضيق التنفس ومرض السكري، واستخدمته بعض القبائل لمعالجة الضعف الجنسي إضافة إلى أن حليب الإبل يساعد على تنمية العظام عند الأطفال ويقوي عضلة القلب بالذات، ولذلك تصبح قامة الرجل طويلة ومنكبه عريض وجسمه قوي إذا شرب كميات كبيرة من حليب النوق في صغره.

واستخدمت أبوال الإبل وبخاصة بول الناقة البكر كمادة مطهرة لغسل الجروح والقروح ولنمو الشعر وتقويته وتكاثره ومنع تساقطه، وكذلك لمعالجة مرض القرع والقشرة، ويقال: إن في دماء الإبل يكمن شفاء الإنسان من بعض الأمراض الخبيثة و قيل إن حليب الإبل يحمي اللثة ويقوي الأسنان نظرا لاحتوائه على كمية كبيرة من فيتامين «ج» ويساعد على ترميم خلايا الجسم لأن نوعية البروتين فيه تساعد على تنشيط خلايا الجسم المختلفة، وبصورة عامة يحافظ حليب الإبل على الصحة العامة للإنسان.

وتشير النتائج الأولية للبحوث التي أجراها بعض الخبراء والعلماء أن تركيب الأحماض الأمينية في حليب الإبل تشبه في تركيبها هرمون الأنسولين، وأن نسبة الدهن في لحوم الإبل قليلة وتتراوح بين ١,٢ في المئة و ٢,٨ في المئة، وتتميز دهون لحم الإبل بأنها فقيرة بالأحماض الأمينية المشبعة، ولهذا فإن من مزايا لحوم الإبل أنها تقلل من الإصابة بأمراض القلب عند الإنسان.

وفي مقالة أخرى أظنها من صحيفة الزمان أن باحثا علميا توصل إلى أن بول الإبل يشفي من طائفة من أمراض الجهاز الهضمي

**الإبل تؤدي دورا اقتصاديا مهما ضمن النظم الرعوية والزراعية في المناطق الجافة**

# ألبان الإبل هي الأفضل من حيث ثرائها بمكونات الغذاء

وعلى رأسها التهاب الكبد، والباحث اسمه «محمد أوهاج». يقول «أوهاج» في البحث: «إن التحاليل المختبرية تدل على أن بول الإبل يحتوي على تركيز عالٍ من البوتاسيوم والبولينا والبروتينات الزلالية و الأزمولارتي وكميات قليلة من حامض اليوريك والصوديوم والكرياتين وأوضح أن ما دعاه تقصي خصائص البول البعيري العلاجية هو أنه رأى أفراد قبيلة يشربون ذلك البول حينما يصابون باضطرابات هضمية واستعان ببعض الأطباء لدراسة البول الإبلي فأتوا بمجموعة من المرضى وسقوهم من ذلك البول مدة شهرين وكانت النتيجة أن معظمهم تخلصوا من الأمراض التي كانوا يعانون منها يعني ثبت علمياً أن بول الجمال مفيد إذا شربته على الريق كما توصل «أوهاج» إلى أن بول الجمال يمنع تساقط الشعر. لا أعلم من أين حصل عليها، ألا أن مقطعها الثاني من موقع لقط المرجان.

في دراسة علمية نشرت في القاهرة، أكدت مجموعة من العلماء في قسم علوم الأغذية بكلية الزراعة «جامعة الفاتح لليبيا»، أن ألبان الإبل هي الأفضل من حيث ثرائها بمكونات الغذاء، ومن حيث سلامتها تماماً. ركز العلماء في البداية في أبحاثهم على لبن الناقة، والمقارنة بين خواصه الحيوية وألبان الأبقار، بعد كارثة أمراض جنون البقر التي تتجدد بين فترة وأخرى، وفي أكثر من بلد أوروبي وغيرها من الأمراض التي يمكن أن تصيب الأغنام كذلك. بينما لم يسمع أحد إصابة إنسان بأي أمراض جراء تناوله ألبان النوق.

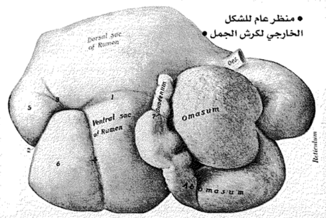
وفي هذه الدراسة العلمية والمعملية التي شارك فيها مجموعة من أساتذة كلية زراعة «جامعة الفاتح» في ليبيا، أثبت العلماء أن حليب الإبل يحتوي على كمية فائقة من فيتامين «ج» بما يعادل ثلاثة أمثال مثيله من ألبان الأبقار، في حين تصل نسبة «الكازين» إلى ٧٠٪ من البروتين في ألبان الإبل، الأمر الذي يجعله سهل الهضم والامتصاص مقارنة بحليب الأبقار والذي تصل النسبة فيه إلى ٨٠٪. وكشفت الدراسة أن نسبة الدهون في حليب النوق هي أقل منها في حليب الأبقار. كما أنها حبيبات أقل حجماً يسهل امتصاصها وهضمها. فضلاً عن ذلك فإن ألبان النوق تحتوي على مواد تقاوم السموم والبكتريا، ونسبة كبيرة من الأجسام المناعية المقاومة للأمراض، وبخاصة للمولودين حديثاً. ويمكن وصف حليب الإبل لمرضى الربو، والسكري، والدرن، والتهاب الكبد الوبائي، وقرح الجهاز الهضمي، والسرطان.

لكن الدراسة العلمية كشفت عن مفاجأة أكبر، وهي احتواء ألبان الإبل على نسبة عالية من المياه تتراوح بين ٨٤٪ و٩١٪ وهي نسبة غير موجودة في أي نوع من الألبان الأخرى. وقد تجلت قدرة الله تعالى في دور هرمون (البرولاكتين) في عملية دفع المياه في ضرع الناقة لتزيد كمية المياه في اللبن، ولوحظ أن هذه العملية تتم عند الإبل وقت اشتداد الحر حيث يحتاج فيها مولودها الرضيع لهذه الكمية من الماء. وكذلك الإنسان العابر معها الصحراء يحتاج إلى كميات متزايدة من المياه ليطفيء ظمأه. والتجارب العلمية الليبية أثبتت أيضاً أن حليب النوق يحتفظ بجودته وقوامه مدة ١٢ يوماً في درجة حرارة (أم) في حين أن حليب الأبقار يحتفظ بخواصه مدة لا تزيد على يومين في درجة الحرارة عينها، وينصح أصحاب الدراسة بتناول كوب من لبن الإبل قبل النوم مع ملعقة من عسل النحل للتمتع بنوم هادئ وصحة جيدة. وصدق الله العظيم اذ يقول (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت). وفي حياة الحيوان الكبرى يقول المؤلف: وبول الإبل ينفع من ورم الكبد.

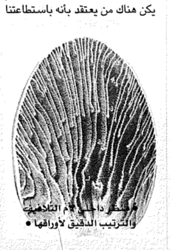
## هل لك بجرعة من لبن الإبل؟

استُخدمت الإبل على مدى آلاف السنين كوسيلة لتنقل الإنسان ونقل بضائعه. غير أن النظر إليها على أنها مجرد «سفن الصحراء» هو انتقاص من قدرها الحقيقي. فالإبل عنصر لا غنى عنه في حياة سكان المناطق القاحلة لأسباب كثيرة تتخطى ذلك. فمن وبرها تُنسج البُسط، والخيام، والملابس؛ ومن جلودها تُصنع القِرَب؛ ويُحرق بعرها كوقود؛ إلى جانب أنها مصدر ممتاز للحوم والألبان في بقاع يصعب فيها إنتاج الغذاء. وفي حين أن لبن الإبل يستخدم بالفعل للاستهلاك البشري، إلا أنه قلّما يُستعمل في صنع الأجبان. ومن بين أسباب ذلك صعوبة تخثر هذا النوع من اللبن مقارنة بألبان المواشي الأخرى. وقد أصدرت المنظمة الآن مطبوعاً لمساعدة الناس على التغلّب على مشكلة التخثر هذه. والمبدأ الأساسي في صناعة الجبن هو ترويب اللبن ليشكل الخثارة والمصل. وتساعد الطرق الحديثة لصنع الأجبان عملية التخثر بإضافة الخُمْرة، وهي زريعة بكتيرية تنتج حامض اللكتيك، والمِنفحة، وهي مادة مستخلصة من العجول وتحتوي على أنزيمات الترويب. وتكفل هذه الأنزيمات التعجيل بوتيرة فصل لسوائل عن الجوامد. ويقول «جان كلود لامبرت»، خبير الألبان: «إن صناعة الجبن من لبن الأبقار أو الماعز عملية سهلة. فكل جوانب هذه العملية معروف من الناحية التكنولوجية». غير أن لبن الإبل مسألة مغايرة لأن المنفحة التقليدية تعجز عن ترويبه. ويضيف «لامبرت» قوله: «قبل ست سنوات لم يكن هناك من يعتقد بأنه باستطاعتنا


• الشبكية وزوائدها التي تشبه قرص شمع النحل •



• منظر عام للشكل الخارجي لكرش الجمل •


• منظر داخلي لأم التلافيف والترتيب الدقيق لأوراقها •

تحويل لبن الإبل إلى جبن». وسعياً وراء حل مشكلات التخثر المتعلقة بلبن الإبل فقد كلّفت المنظمة البروفسور «جـ.ب. راميه»، في المعهد العالي الوطني الفرنسي للزراعة والصناعات الغذائية، بدراسة الأمر. وبعد بحوث واختبارات في كل من المملكة العربية السعودية وتونس تمكّن البرفسور «راميه» من اكتشاف طريقة لترويب اللبن بإضافة الكالسيوم، والفوسفات، ومنفحة نباتية».

ونشرت نتائج هذه البحوث في كتيب يحمل عنوان «تكنولوجيا صناعة الجبن من لبن الإبل»، ظهر أخيراً باللغة الإنكليزية. ويصف الكتيب تركيب لبن الإبل، ويقارنه بالألبان الأخرى، ويشرح طريقة ترويبه لصناعة الجبن. كما أن هذا الكتيب، صادر ضمن سلسلة الوثائق التقنية لقسم الإنتاج الحيواني وصحة الحيوان في المنظمة، ومتوافر بالفرنسية أيضا.

ويقول «لامبرت»: «إن هذه هي ثورة عظيمة. فنصف كميات لبن الإبل التي ينتجها البدو الرحّل تضيع هباء لأن الكثير من المجتمعات تكتفي باستهلاك اللبن الطازج فقط. وصناعة الجبن هي طريقة من طرق حفظ اللبن، مما يوفر فرصة للاتجار به».

التغلّب على العقبات العملية وبعد حل الكثير من مصاعب التجهيز، كانت الخطوة التالية هي التعرّف إلى مدى نجاح إنتاج أجبان الإبل على الصعيد العملي. وفي العام ١٩٩٤م بدأت المنظمة بمساعدة شركة ألبان موريتانية على إنتاج جبن الإبل. ووفر البرنامج، المستند إلى خبرات البروفسور «راميه»، المساعدة التقنية وقدم إعانات لشراء الآلات اللازمة. وأنتجت الشركة المذكورة نوعين من أجبان الإبل إضافة إلى منتجاتها المعتادة من ألبان الأبقار، والماعز، والإبل.

ورغم أن الكثير من المشكلات التقنية سوّيت على ما يبدو فقد برزت عقبات كثيرة. وتقول «نانسي عبد الرحمن»، صاحبة الشركة، «إن الموريتانيين لم يكونوا معتادين على تناول الجبن إضافة إلى أن أسعاره كانت مرتفعة. وبما أن الغاية من صناعة الجبن هي امتصاص فائض اللبن الموسمي غير المستهلك على أي حال، فقد سعينا إلى تصدير ما ننتجه من أجبان».

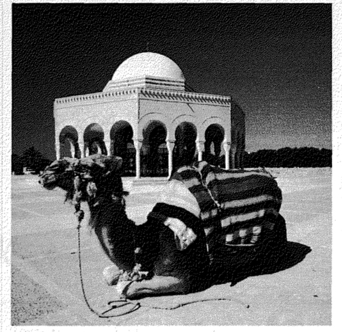
وكانت المشكلة هي أن الاختبارات المعتادة لدى بسترة اللبن المطبقة على ألبان الأنواع الأخرى من الماشية عجزت عن أن تقاس بدقة مستويات بسترة لبن الإبل.

ومن ثم فإن هذا اللبن لم يكن مشمولاً بمعظم لوائح الألبان القائمة، ولا سيما في البلدان التي لا تمتلك قطعاناً من الإبل. وأدى ذلك إلى الحد بشدة من الأسواق المتاحة، وتوقفت شركة الألبان الموريتانية عن إنتاج جبن الإبل العام ١٩٩٥م. غير أن «نانسي عبد الرحمن» ليست من النوع الذي يقبل بالاستسلام. وهكذا فإن شركتها التي تنتج ١٣٠٠٠ لتراً من ألبان الإبل، والأبقار، والماعز يومياً وتوفر الرزق لنحو ٨٠٠ أسرة بدوية، استأنفت أخيراً إنتاج جبن الإبل. ورغم أن الأسواق ليست واسعة بعد، فإنها بدأت ببيع كميات صغيرة من جبن الإبل في العاصمة الموريتانية نواكشوط.

وتقول «نانسي عبد الرحمن»، «إننا ننتج نوعاً واحداً من الجبن. إن عملية الصنع عسيرة، والغلة متدنية للغاية، وليس لدينا سوق في الواقع». وتضيف «نانسي»: «إن هذا الجبن جيد حقا». ولجبن الإبل ميزات أخرى أيضاً. إذ يتسم بوفرة الفيتامينات، وقلة الكوليسترول، وانخفاض اللكتوز مما يجعله مناسباً لأولئك المصابين بالحساسية من منتجات الألبان الأخرى.

وثمة دلائل مشجعة أخرى. إذ تباع الآن مادة متاحة باسم «كاميفلوك»، وهي منتج يضم عوامل تخثير لبن الإبل، في مغلفات صغيرة سهلة الاستخدام في كل من مالي، الإمارات العربية المتحدة. ويرى الخبير «لامبرت» أن هناك فرصاً عظيمة للجمع بين «الكاميفلوك» ووحدات صناعة الجبن النقالة ذات التكاليف الزهيدة التي تعمل المنظمة على ترويجها في الوقت الراهن. ويقول «لامبرت»: «لقد ادخلنا هذه الأجهزة في النيجر أخيراً لتصنيع منتجات ألبان الأبقار. وهذه الأجهزة زهيدة الثمن، إذ يصل سعر كل منها إلى نحو ٥٠ دولاراً فقط، كما كان بمقدور النساء المحليات البدء بالإنتاج بعد دورة تدريبية على صناعة الأجبان استمرت يومين فقط».

ويمكن لهذين الابتكارين، عند تضافرهما، أن يشكّلا نعمة على الجماعات البدوية في المناطق القاحلة. ويؤكد «لامبرت» أن «هذه التكنولوجيا واعدة للغاية بالنسبة للكثير من البلدان التي تضم مجموعات بدوية واسعة، فهي تمتلك قدرة هائلة على زيادة مستويات دخلها». ويشير خبير المنظمة إلى أن المطبوع سيتاح، كما هو منتظر، باللغة العربية في أوائل العام المقبل، مما يوفر فرصة أكبر لنشر هذه المعرفة في صفوف تلك المجموعات السكانية التي يمكن أن يعود عليها بأعظم النفع ●



## المراجع:


١ - القرآن الكريم.
٢ - الإبل في الوطن العربي (١٩٨٠). أكساد. دمشق.
٣ - السيد أحمد جهاد (١٩٩٥). الإبل العربية إنتاج وتراث. الشركة العربية للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. القاهرة
٤ - عبد الله زايد، غسان غادة، عاشور شريحة (١٩٩١). الإبل في الوطن العربي. دار الكتب الوطنية. ليبيا. ط الأولى
٥ - عدنان أحمد حميدان. الإبل بالمنطقة العربية. دارالراتب الجامعية. بيروت. لبنان.
٦ - عدنان صالح الجنابي، زهير الجليلي (١٩٩٠). الإبل صفاتها وفسلجتها. المكتبة الوطنية ببغداد. الطبعةالأولى.
٧ - فلاح العاني، صباح العباسي، عبد الجبار الربيعي (١٩٩٠). الإبل تربيتها وأمراضها. مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. بغداد.
٨ - كامل عبد العليم (١٩٩١). الإنتاج الحيواني. مكتبةالمعارف الحديثة. مصر. الطبعة الأولى.
٩ - محمد رفعت المحامي (١٩٩٤). الهجين صاروخ الصحراء. دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر. الطبعة الأولى.
١٠ - محمد عبد الله الصائغ (١٩٨٤). الإبل العربية. مؤسسةالكويت للتقدم العلمي. ط الثانية.





قضايا اجتماعية

# ظاهرة الثأر... وموقف الإسلام منها



بقلم: أ.د.أحمد عمر هاشم. رئيس جامعة الأزهر

إن ظاهرة الثأر من أبشع الجرائم وأشنعها، ومن أسوأ الظواهر وأخطرها، إذا تفشّت في مجتمع أو انتشرت في بيئة أوردت أهلها موارد الهلاك، إنها تفتح أبواب الشر، وتحوّل حياة الناس إلى صراعات لا تنتهي إلا بترميل النساء، ويُتم الأبناء، والقضاء على الروابط الإنسانية، وتحويل الحياة إلى سلسلة من الاغتيالات على مذابح الأضغان العائلية، فيظهر في كل يوم دم من هنا ودم من هناك.

وظاهرة الثأر من العادات السيئة، ومن بقايا الجاهلية التي كانت منتشرة في الناس قبل الإسلام، فلما أشرق الإسلام بتعاليمه السمحة، قضى على هذه الظاهرة وشرع القصاص، حيث يطبق بالعدل، ويقوم به ولي الأمر، وليس آحاد الناس حتى لا تكون الحياة فوضى.

وما جرى في صعيد مصر من قتل لعدد كبير يُقدَّر باثنين وعشرين شخصاً شيء خطير، وشر مستطير، يندى له الجبين، لأنه يحدث في عصر وصلت فيه الثقافة المستنيرة، والحضارة الإسلامية قمتها، وحدث في أحد بلاد مصر بلد الأزهر الشريف والحضارة العريقة.

ومن ذلك كان من واجب كل قطاعات المجتمع وهيئاته، الدينية منها والأمنية، والعلمية، والثقافية، والإعلامية، وغيرها، أن تؤدي الدور المنوط بها لمناهضة هذه الظاهرة، حتى لا تتكرر، فإن الإسلام قد طوى - رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - صفحة هذه الظاهرة حين أعلن في حجة الوداع، وفي حُشود المسلمين، وضع دم الثأر، وإنهاء هذه الظاهرة إلى غير رجعة، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع.

كما أعلن - يومها أيضاً - حرمة الدماء والأموال والأعراض حين قال صلى الله عليه وسلم: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلَّغت اللهم فاشهد».

وقرّر القرآن الكريم مشروعية القصاص، وليس الثأر، وجعله بيد الحاكم أو وليّ الأمر ليس بيد أفراد المجتمع، صيانة للحرمات، وحَقْناً للدماء، وتطبيقاً للعدالة، ونشر للاستقرار والأمن بين ربوع الأمة.

قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحرُّ بالحرِّ، والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى فمن عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فاتباعٌ بالمعروفِ وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيفٌ مِنْ ربِّكُم ورحمةٌ فَمن اعتدى بعدَ ذلكَ فَلَهُ عَذَابٌ أليمٌ. ولكم في القصاص حياةٌ يا أُولي الألبابِ لعلَّكُم تتقون) البقرة:١٧٨ - ١٧٩.

وكان في الجاهلية حيَّان من العرب اقتتلوا قبل الإسلام بقليل، فكان بينهم قتل وجراحات، حتى قتلوا العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدة والأموال، فحلفوا ألا يرضوا حتى يقتل بالعبد منّا الحر منهم، والمرأة منّا الرجل منهم، فنزل فيه: (الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى).

ومذهب الجمهور والأئمة الأربعة، أن الجماعة يقتلون بالواحد، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غلام قتله سبعة، فقتلهم، وقال: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم».

وحُكِيَ عن الإمام أحمد رواية أن الجماعة لا يُقتلون بالواحد، ولا يقتل بالنفس إلا نفس واحدة.

وقد شرع القصاص لحكمة دقيقة وعظيمة وهي حياة النفوس، لأن القاتل حين يعلم أنه لو قُتل سيقتل قصاصاً منه ينكفُّ عن القتل، وينزجر فيكون في كفّه حياة لمن كان

سيقتله، وحياة لنفسه التي كانت ستقتل قصاصاً منه.

ولقد عقّب القرآن الكريم على أول جريمة قتل حدثت في الدنيا حين قتل أحد ابني آدم أخاه، ببيان حرية النفس الإنسانية وأن العدوان على نفس بغير حق عدوان على الإنسانية جمعاء، وأن الحفاظ على حياتها حفاظ على حياة الإنسانية، حيث قال الله تعالى: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) المائدة:٣٢.

ولابد من التعرف إلى أسباب ظاهرة الثأر، لإنهائها ومنعها وعدم تكرارها:

- فمن أسباب هذه الظاهرة: «ضعف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه»، ولا شك أن ضعف الإيمان يكون بسبب ضعف الأعمال الصالحة وقلتها، وأن قوة الإيمان وزيادته تكون بزيادة الطاعات والقرب من الله سبحانه وتعالى، لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بزيادة الأعمال الصالحة وينقص بنقصها.

فحيث وجد الإيمان، وجدت قِيَمُه ومبادئه، وأخلاقه التي يتحلَّى بها المؤمنون، حيث يصبح بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتواصَوْن بالحق وبالصبر، ويتحلَّون بالخلق الفاضل والصفح والتسامح والعفو والمحبة.

- ومن أسباب ظاهرة «الثأر»: رواسب الحقد والضغائن وحب التشفِّي والانتقام من الآخر، والتباغض والتقاطع والتدابر، وقد نهى الإسلام عن هذه الرذائل التي تشعل نار البغضاء والانتقام، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه البخاري ومسلم.

إن الشحناء التي تندلع في نفوس بعض الناس هي التي تؤجّج نار الثأر عند بعض الناس، ولذا كان الوعيد الشديد لأهل الشحناء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا» رواه مسلم، ومعنى «أنظروا» أمهلوا.

- ومن أسباب «ظاهرة الثأر»: التَّحريش بين النفوس، والإفساد وتغيير القلوب عندما يستجيب أصحابها لوساوس الشيطان عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» رواه مسلم، والتحريش: هو الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم.

وقد تبدأ ظاهرة الثأر في بعض قطاعات الحياة، وبعض دوائر الأعمال بين أفراد الناس ومن يتقلّدون بعض الأعمال فلا ينسى بعضهم حقده على الآخرين، فيبدو منه ما يُعرف عند البعض بتصفية الحسابات، فإن كان أخوه قد أساء إليه في شيء يسير يكيل له الصاع صاعين، ويثأر للماضي، ويسلك سبيل التشفِّي والظلم والعدوان.

## ظاهرة الثأر تتلون في كل بيئة أو موقع حسب أحوال الناس

وتتشكل ظاهرة الثأر وتتلوّن في كل بيئة أو موقع حسب أحوال الناس وعقولهم ونشأتهم، وما طُبعوا عليه من الخلال والصفات.

- ومن أسباب ظاهرة «الثأر» العصبية البغيضة، وهذه العصبية التي تظهر الآن، في بعض البلدان، هي من نوع العصبية القديمة التي كانت تتفجر بين الأوس والخزرج، إنها من بقايا الجاهلية ومن رواسب الماضي السحيق.

لقد كان بين الأوس والخزرج حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة، وثارات وإحن، وضغائن وفتن، فكان بينهم قتال شديد، ووقائع كثيرة، حتى جاء الإسلام، فدخلوا فيه، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً.

وبعد أن أصلح الإسلام شأنهم وأصبحوا متحدين متعاونين، مرَّ رجل من اليهود بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الألفة والتعاون والوفاق، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكّرهم ما كان من حروبهم يوم بُعاث وتلك الحروب، ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوسهم وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرَّة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاهم فجعل يسكّنهم، ويقول: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!»، وتلا عليهم هذه الآية: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيِّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران: ١٠٣، فعندما تلا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية ندموا على ما كان منهم، وتصالحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح.

لقد صفَّى الإسلام نفوس المسلمين من الثأر منها تماماً، حتى في حروبهم مع أعدائهم، وجه الإسلام إلى العدل والصبر والتسامح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة رضي الله عنه حين استشهد، وقد مُثِّلَ به، فقال: «لأمثِّلنَّ بسبعين منهم مكانك»، فنزل جبريل، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف، بخواتيم سورة النحل: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل ١٢٥ ـ ١٢٦.

«فكفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك عمَّا أراد» رواه الحاكم والبيهقي في الدلائل والبزّار.

## واجب الدعاة والمفكرين والكتاب والمسؤولين الدعوة لتغية حبوب الثأر

إنني أدعو الذين تحدثهم أنفسهم الأمَّارة بالسوء إلى البعد عن ظاهرة الثأر، أدعوهم إلى أن يتوبوا إلى الله تعالى حتى لا يموتوا على شعبة من شعب النفاق وضعف الإيمان لأن ظاهرة الثأر تخرج صاحبها من حظيرة الإيمان، وتلعب برأسه وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمّارة بالسوء... ولننظر إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الحسنة ما انتقم لنفسه قط، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تُنْتَهك حرمة الله فينتقم لله تعالى» رواه البخاري ومسلم.

كما أدعو الدعاة والمفكرين والكتاب والمسؤولين وجميع أهل العلم والخير والإصلاح أن يقوموا بدورهم في تصفية جيوب هذه الظاهرة، وأن تنهض الأسرة بواجبها ورسالتها، وبدلَ أن تورِّث أبناءها ظاهرة الثأر التي فيها مقت الله وغضبه، تورِّث الأبناء مكارم الأخلاق وكظم الغيظ والعفو والتعاون على البر والتقوى، وعلى جميع قطاعات المجتمع تنقية المجتمع من شوائب الشر والرذائل، فإن وقاية المجتمع من الظواهر السلبية من أهم أسباب الأمن والاستقرار، وعلى الإعلام بكل وسائله أن يؤدي أشرف دور إيجابي في الدعوة إلى الله وإلى الحق، والله الهادي إلى سواء السبيل ●





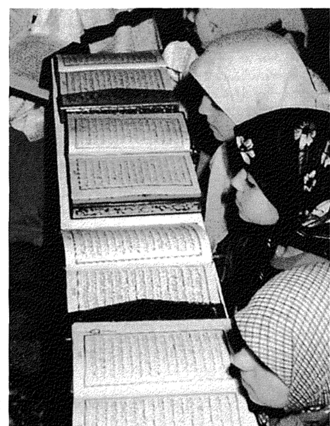

# محاذير حول المقدمات الاستشراقية لترجمات معاني القرآن الكريم

د. حسن عزوزي - رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - فاس

يعتبر تقويم ترجمات معاني القرآن الكريم الذائعة الصيت والواسعة الانتشار مع التنبيه على مضامينها ومحتوياتها من أفضل السبل وأجدى الطرق الكفيلة بتحسين صورة الإسلام وبيان حقائق القرآن ومعانيه الصحيحة، ولما كانت ترجمة المستشرق الفرنسي «جاك بيرك» (١٩١٠ - ١٩٩٥م) لمعاني القرآن الكريم من أبرز المحاولات المعاصرة التي لقيت صدى واسعاً وتغطية إعلامية هائلة جعلتها تتربع على كرسي الصدارة في الاستشراق الفرنسي، فإن العمل على تقويمها وإبداء ملاحظات عليها يتطلب قبل كل شيء قراءة وفحص المقدمة التي تصاحب الترجمة.

وللإشارة، فإن جُلَّ المستشرقين قد دأبوا على أن يقدموا لترجماتهم القرآنية بحديث مطول يعتبر مدخلاً أساسياً إلى الترجمة، وهذه المقدمات - في معظمها - لا علاقة لها بترجمة معاني القرآن الكريم، فلا يتناول فيها أصحابها الصعوبات التي اعترضتهم في أثناء الترجمة ولا مشكلات نقل بعض المفردات القرآنية إلى اللغة الفرنسية، ولا أي شيء من هذا القبيل، فالمقدمة غالباً ما تكون مصاغة في شكل استعراض شامل لبدايات الإسلام والرسالة المحمدية ومضمون القرآن الكريم وتاريخ جمعه، لكن على الوجه الذي يرضيهم ويرضي زملاءهم من تحامل وتزييف وقلب للحقائق، وذلك بعد أن ساءهم أن يجدوا في القرآن الذي أقدموا على ترجمته الدعوة إلى التوحيد الخالص والتنزيه التام، وكمال المُثل والقيم وسمو الأخلاق وغير ذلك.

ولما كانت الترجمة القرآنية موجهة بالأساس إلى القارئ الغربي، فقد كان لتلك المقدمات والمداخل أثر كبير



في جعل الغربيين لا يقدمون على قراءة معاني القرآن مترجمة إلا بعد أن تشحن عقولهم بجهاز من المقولات الكاذبة والحقائق المزيفة والتحذيرات المنبهة إلى كون القرآن الكريم ليس كتاباً سماوياً أو أنه عبارة عن اقتباسات متكررة من الإنجيل والتوراة، وغير ذلك مما يمليه عليهم الهوى. وتتفاوت تلك المقدمات حجماً ومضموناً.

وقد تفرد المقدمة أحياناً في كتاب مستقل نظراً لوفرة المادة المقررة فيها كما هو الحال بالنسبة لكتاب «رجيس بلاشير» B lachere «مدخل إلى القرآن الكريم» الذي يعتبر مقدمة لترجمته القرآنية.

أما بالنسبة لترجمة «جاك بيرك» لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية التي أصدرها العام ١٩٩٠م، فقد اشتهرت أكثر من غيرها لأسباب وعوامل معينة دفعتنا إلى اختيارها من أجل إبداء التنبيه والتحذير من المضامين والأفكار التي تشتمل عليها مقدمتها وهي مقدمة طويلة وضعها «جاك بيرك» في آخر الترجمة Poste face وأبقى على تمهيد مقتضب في خمس صفحات في أول الترجمة تحدث فيه عن الظروف التي تم فيها إعداد محاولته، وقد دفعته لباقته المعهودة فيه إلى أن يستهل هذا التمهيد بقوله: «القرآن لا يمهد له».

إن مقدمة ترجمة «بيرك» التي بقدر ما تعتبر زائدة ولا علاقة لها بصميم ترجمة معاني القرآن الكريم تعتبر ذات تأثير خطير على أفكار كل من أقدم على قراءة الترجمة مصحوبة بهذه المقدمة، وبخاصة بالنسبة للغربيين.

وإذا كان «جاك بيرك» قد خالف

## المزج بين أسلوب القدح والمدح في مقدمة الترجمة لا تعبر عن منهج جديد

طريقة كثير من تراجمة القرآن من المستشرقين في وضع مقدمات ضافية ومسهبة تتضمن عرض تاريخ موجز للإسلام وحضارته وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومراحل جمع القرآن وترتيب سوره وغير ذلك - كما سبق بيانه - فإن مترجمنا قد حاول أن يخفي أفكاره وراء مُسوح العبارات اللغوية المعقَّدة والتحذلقات البلاغية الملتوية التي طبعها بكثير من الشاعرية حيناً ومن التعقيد أحياناً أخرى، وهي الأفكار التي لا يكاد يفطن لخطورتها ومدى أثرها السلبي إلا من أحسن قراءة ما بين السطور وتمعَّن جيداً في ما تحمله عباراته وتعبيراته من إشارات وتلميحات خفية، إن الذي يظهر بوضوح أن «بيرك» قد كان لبقاً إن لم نقل متحايلاً عندما مزج بين أسلوب الطعن واللمز وأسلوب الإعجاب ببعض القضايا القرآنية، وفي عملية المزج هاته ما لا يخفى من التمويه على القارئ من جهة وإرضاء أصدقائه وقرائه من المسلمين من جهة أخرى.

ولعل ما يؤكد لنا هذا الأمر وقوع كثير من مثقفينا المنبهرين بترجمة الرجل في هذا الذي نُنَبِّه إليه، فعلى سبيل المثال سأله مراسل مجلة «القاهرة» عن سر التواضع في اختيار عنوان الترجمة الذي هو «محاولة لترجمة معاني القرآن» فأجاب «بيرك» بقوله: «هذا التواضع يرجع بالدرجة الأولى إلى صعوبة العمل، فالقرآن الكريم يجمع بين التعقيد الشديد والبساطة المتناهية ما يجعل الترجمة شبه مستحيلة دون إضافة التفسيرات التي توضح بعض المعاني، وهذه التفسيرات قد تؤثر بدورها على القيمة الجمالية للعمل، لذلك لاقيت صعوبة شديدة في محاولة توصيل المعنى دون إضافات قد تؤثر على عظمة وجمال الآيات القرآنية»(١).

إن عملية المزج بين أسلوب القدح وأسلوب المدح في مقدمة الترجمة لا تعبِّر عن منهج جديد يطلع به علينا بيرك وإنما عرف بذلك في كثير من مراحل حياته العلمية والفكرية، إذ لا يخفى أن «بيرك» يحسن الظهور بمظهر المستشرق ذي الوجهين(٢) الذي كلما حاضر بالبلاد العربية أو أجري معه حوار عربي إلا وراح يتشدق بكل أوصاف الانبهار بأسلوب القرآن ومضامينه، أما إذا خاطب جمهور الفرنسيين فإنه لا يتوانى في القدح في مضامين القرآن والتأكيد على أنه يحتوي على أمور غير معقولة ومتجاوزة... لقد أراد «جاك بيرك» أن يحافظ على علاقاته الوطيدة مع كثير من مثقفي الدول العربية والإسلامية مع الاحتفاظ في الوقت عينه بشخصية المستشرق الملتزم بأفكاره ومبادئه المقتنع بمواقفه تجاه الإسلام والقرآن الكريم على وجه الخصوص.

إذاً، فالواضح أن فحص ترجمة معاني القرآن الكريم التي قام بها «جاك بيرك» لا يمكن أن تتم بمعزل عن دراسة عامة للمقدمة التي ألحقها بعمله، لأنها أولاً تعبير جلي عن كثير من معالم تفكير الرجل وموقفه تجاه القرآن الكريم. كما أنها تبرز - من جهة ثانية - للقارئ منهج المترجم في التعامل مع الألفاظ والمصطلحات القرآنية ذات الحمولة الدينية والعقدية الأكثر حساسية بالنسبة للمترجم غير المسلم. ما هي إذاً أبرز المحاور الأساسية والنقاط التي تعرض لها «جاك بيرك» في مقدمته؟

إن المتمعن مَلياً فيما تكاد تُخفيه عبارات «بيرك» المتحذلقة والمعقَّدة من إشارات وتلميحات غير بريئة يتبين له بجلاء نهجه أسلوب التشكيك في موثوقية القرآن الكريم ومصدره ومصداقية الوحي المحمدي، فابتداء من الصفحات الأولى من المقدمة يعقد المترجم مبحثاً لقضية ترتيب الآيات والسور وهي القضية التي لا يمكن لأي مستشرق يبحث في القرآن وعلومه إلا أن يتعرَّض لها بما يثير التساؤلات الغريبة ويفرز الإشكالات المثيرة. يقول وهو يخاطب القارئ: «إن ترتيب السور في المصحف لا يتوافق مع الترتيب الزمني للتنزيل أو النزول، والأكثر من ذلك أننا نجد في إطار السورة الواحدة آيات نزلت في أوقات متباعدة، ولا ترى العقيدة ولا علوم الإسلام أي حرج في ذلك، بل إن التنافر بين ترتيب النزول وترتيب الجمع يتعاظم أحياناً ليصل إلى حد التناقض كما في سورة الأنفال، وسورة التوبة أو الفاتحة»(٣).

وبعدما قدم نماذج على ما يزعمه متناقضاً ومتنافراً في السور العشرين الأولى من المصحف، لا يجد «بيرك» ما يختم به وهو يهدف زرع روح الشك والتشكيك في ذهن القارئ إلا أن يقول: «إن المؤمن لا يتساءل - بطبيعة الحال - عن هذه التناقضات والتفاوتات الشكلية، لكنه بالمقابل - يلاحظ كما نفعله بأن كثيراً من التنزيلات المكية قد تجمعت في آخر المصحف لكي تندغم في لغز...» والغريب في الأمر أن «جاك بيرك» الذي طالما تشدق بكونه استأنس بمعظم التفاسير القرآنية القديمة والحديثة، لم ينتبه إلى علم مستقل بذاته يسمّى «علم المناسبات» وهو يختص بإبراز وجوه المناسبة وبين السور فيما بينها وكذلك بين الآيات في إطار السورة الواحدة، حيث اهتم كثير من العلماء والمفسرين بترابط الآيات وتناسقها وكيف أن الآية القرآنية تأخذ بأعناق الآيات السابقة واللاحقة بصورة تجعلها منسجمة بعضها مع بعض ومتلائمة وغير متنافرة أو متناقضة كما يزعم «بيرك»، وقد أشار الإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦) في تفسيره، وقد رجع إليه «بيرك» كثيراً في تعليقاته إلى كثير من مناسبات السور والآيات حتى عُدَّ من أبرز المفسرِّين اعتناء واهتماماً بذكر تلك اللطائف والمناسبات.

إن مثل هذه الشبه التي أوردها «بيرك» والتي تعتبر قديمة قدم الاستشراق نفسه تسعى بوضوح إلى التأكيد على أن القرآن إنتاج بشري وليس إلهياً، وبالتالي فإن ترتيب سوره وآياته يخضع لاعتبارات تفاعل واضعه، وهو الشخصية المحمدية، مع الأحداث والوقائع التي كانت تتأثر بها تلك الشخصية.

ويبدو سعي «بيرك» الحثيث إلى نسج خيوط التشكيك والتشويش على القارئ الغربي بوضوح وجلاء عندما يقول: «إن العرض القرآني للقضايا ينتقل من دون تمهيد من موضوع لآخر ليعود إلى الأول أو إلى قضايا أخرى، وهذا الأمر الذي تُضَخِم منه الترجمات الغربية يخلق نوعاً من الاختلاف والتنوع يحسبه القارئ الأعجمي من قبيل المتناقض»(٥) ومن أجل تبرير وتسويغ ما يسعى إلى تأكيده يحاول بيرك أن يدعم نظريته الهادفة إلى اكتشاف الخلل والتناقض في القرآن الكريم بسوق المؤثرات والعوامل الظرفية والبيئية والاجتماعية التي من شأنها أن تكون قد أسهمت في ذلك، ولا شك أن مجرد الحديث عن وجود مثل هذه المؤثرات والظروف المزعومة كفيل بأن يخلق لدى القارئ الغربي إحساساً وشعوراً كبيرين بأن هذا القرآن من إنتاج بشري أثرت فيه - بشكل طبيعي - عوامل عدة ●

### الهوامش:

١ - مجلة القاهرة، عدد أغسطس ١٩٩٣ ص ١٥.

٢ - أنظر مقالتي «المستشرق ذو الوجهين» في جريدة العالم الإسلامي التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٦٩٠.

٣ - Jacques Berque: Le Coran p 714 - 715

٤ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، طبعة عيسى البابي الحابي (١/٣٦٠).

٥ - Le Coran p 723.

٦ - نفسه ص ٧٣٤.

٧ - نفسه ص ٧٦٤.

٨ - السنهوري: أصول القانون ص ١١٣.




دعـوة

# الرسالة العلمية والثقافية للمسجد

بقلم: مطلق راشد القراوي . الوكيل المساعد لشؤون المساجد . الكويت



المسجد منطلق العلوم بكل أنواعها... بدأ في صدر الدولة الإسلامية منذ إنشائه كمعهد يمد الأمة بجيل تلو جيل، ويخرِّج العلماء والمفكرين الذين أثروا في الثقافة الإسلامية بكم هائل من العلوم الدينية والدنيوية... فهو نواة المدرسة التي تعلم فيها المسلمون علوم الدنيا والدين، وقد أرسى المصطفى، صلى الله عليه وسلم، قواعد مدرسة المسجد، حيث بدأ يعلِّم أصحابه القرآن وعلوم الدين داخل المسجد فأصبح سنَّة من سننه، صلى الله عليه وسلم، وتبعه أصحابه رضوان الله عليهم فيما بعد، فقاموا بمهمة التعليم في زواياه، وكان منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عباس، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين... وسلك مسلكهم من التابعين سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، ومجاهد، وابن جبير وغيرهم كثير، حيث كانت مجالسهم العلمية تعقد في المساجد طوال العام، ولكل منهم حلقة دائمة... وقد استمر هذا الحال قروناً متتابعة كان المسجد خلالها هو المحضن العلمي والثقافي لأبناء المسلمين. تخرج فيه الأئمة الأربعة، وعلماء الأمة... كما درس فيه المتخصصون في الطب والفلك والكيمياء وغيرها من العلوم.

لقد ظلت المساجد تؤدي دورها العلمي حتى أصبحت جامعات تعلِّم صنوف العلوم والمعرفة... «فجامعة القرويين بفاس» هي أساساً مسجد بنته امرأة صالحة تدعى أم البنين «فاطمة الفهرية» سنة ٢٤٥هـ الموافق ٨٥٩م، «وجامعة الأزهر» بالقاهرة هي جامع الأزهر الذي بناه «جوهر الصقلي» سنة ٣٥٨هـ الموافق ١٩٧٠م، «وجامعة الزيتونة بتونس هي في الأصل «جامع الزيتونة»... هذا وقد أحصى «المقدسي» ـ يرحمه الله ـ في المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء مئة وعشرة مجالس للعلم.

يضع المسجد في المجتمع الإسلامي، الأسس والمبادئ العامة للتآليف بين الثقافات المختلفة، كما يغرس في نفوس المسلمين وفي عقولهم أساساً موحداً من الثقافة الإسلامية، وقاعدة من وحدة الفكر القائمة على مصدر واحد هو الكتاب والسنَّة في أمور العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب.

إن أساس الوحدة في الإسلام هي تلك المفاهيم والقيم التي تجمع قلوب المسلمين في كل مكان... والتي قامت على أساس العقيدة الإسلامية الموسومة بالسماحة والوسطية والعدل... والتي تتجلى أبعادها... بالاعتقاد الصافي بالله وحده جلَّ وعلا... الذي سبقت رحمته غضبه... والتصديق الكامل بالمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه... لا نفرق بين أحد منهم، والإيمان بما أنزل الله من كتاب ينظِّم شؤون الحياة الدنيا والآخرة... وبسماحة تتميز بالعدل والإنصاف تحكم علاقة المسلم مع مخالفيه ومؤيديه... وتنطلق من جواهر إيمانه بالله فتضفي عليه الرحمة فيكون رحيماً ودوداً لكل كبد رطبة... ألقى الله محبته في قلوب مخلوقاته... وأخلاقنا هي كل ما يرفع النفس ويسمو بالحياة... كما أن محرماتنا هي كل ما يفسد الجسم والنفس والحياة... واللذات وزينة الحياة وزهرتها هي عندنا طاعات، إذا قصدنا بها التقرب إلى الله تعالى، واستحللناها بكلمته وإذنه... والعلم عندنا تعبد، لأنه يترجم المعرفة والخبرة بما ينفع الناس ويمكِّن الدين.

من أجل هذا كله، كان لزاماً أن يقدم المسجد، في نطاق الرسالة العلمية والثقافية، التركيز على تأصيل المفاهيم الشرعية والمعارف الإسلامية على أساس ما ورد في القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة والاجتهاد الشرعي، ومهما تختلف الآراء والاجتهادات حول مسائل الفكر الإسلامي في أمور التشريع، فإن هذا الاختلاف لا ينأى بالمسلمين عن التزام الحد الأدنى من وحدة الفكر... ولا يمكن أن يكون سبباً إلى الفرقة مادام ملتزماً المنهج العلمي السليم.

إن أهمية الجانب العلمي والثقافي تكمن في ارتباطه بالجانب السلوكي والوجداني الذي ينجلي في تعامل بعضنا مع بعض، فكان لزاماً أن يكون للمسجد دور رئيس في توطيد هذا الجانب والارتقاء بالعلم والمعرفة بما ينفع الإسلام والمسلمين ●



أحكـــام

## من أجل تفعيل دور الوقف في حياتنا المعاصرة

# الوقف النقدي

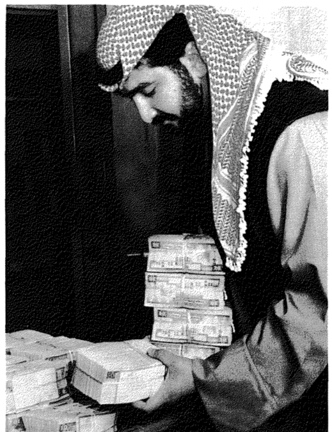
إعداد: د.شوقي أحمد دنيا. رئيس قسم الاقتصاد. كلية التجارة. جامعة الأزهر

أولاً: يمكن القول: إن الوقف النقدي يمتلك الكثير من المقـومـات التي تؤهله للقـيـام بدور بارز في تحـقـيق رسـالـة الوقف الخـيـرية الإنمائية على الوجه المرضي، ومن ثمَّ فـإن الاهتـمـام بهـذا النوع من الوقف وبذل الجـهـد لبلورته وتطويره، يعـد مـدخـلاً أسـاسـياً لتـفـعـيل دور الوقف في حـيـاتنا المعاصرة، وفيما يلي نعرض لأهم محاور هذا الموضوع.

١ ـ مـفـهـوم الوقف النقـدي: المقـصـود بذلك وقف النقـود بكل مـفرداتهـا وأنواعـهـا. وهكذا فـإن الوقف النقدي هو الوقف الذي يكون الموقوف فيه مالاً نقدياً.

٢ ـ الفقه والوقف النقدي: بالتتبع المتـروي لمواقف فـقـهـاء المذاهب الإسلامية من هذه المسألة وجدنا ما يلي:

١ ـ ليس هناك مذهب فقهي أجمع علماؤه على عدم جواز وقف النقود، بل في كل المذاهب وجدنا من يقول بجـواز ذلك، مع تفاوت بين المذاهب في هذا، ويتـقـدم المذاهب كلهـا في القول بالجواز المذهب المالكي، فما من كـتـاب من كـتـبـه المعـتـمـدة والشهيرة إلا ونجد فيه النص على جواز وقف النقود(١). يليه في ذلك المذهب الحنفي حـيث ذهب العـديد من أئمته والشهيرين من علمائه إلى جـواز ذلك، بل إن أحـد علمـائه الشـهيرين قد ألف رسالة في جواز وقف النقـود(٢)، والموقف نفـسـه تقـريبـاً نجـده فـي المذهب الحنبلي، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية قد رجَّح القـول بجـواز ذلك(٣). وربما كـان المذهب الشـافـعـي هو أقل



المذاهب في القـول بجـواز وقف النقـود(٤). وفيـمـا أطلعت عليه من الفقه الشيعي لم أجد نصاً صريحاً يتـعـلق بوقف النقـــود والحكم الشرعي له، ولكن هناك نص يفـيد عند التـحـقـيق جـواز ذلك، فـيـقـول الإمـام المرتضى: «ويشـتـرط في الموقوف صحة الانتفاع به مع بقاء عينه»(٥).

وسوف يتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن هذا الشرط متحقق في الوقف النقدي، ومـا تجدر الإشارة إليـه أن وقف النقـود كـان أمـراً شائعاً في المجتمع الإسلامي في كثـير من دوله، لدرجـة أن العلمـاء كـثـيـراً مـا تناولوه لا من منطلق جـوازه أو عـدم جـوازه، وإنمـا من منطلق زكاة النقود الموقوفة، وكأن قضية الجواز مفروغ منها.

٢ ـ أجـد تعليـلاً صـريحـاً للقـول بعـدم جـواز وقف النقـود وكل مـا استشففته من مواقفهم هو أن الذي حـدث في عـصـر النبـوة والخـلافـة الراشدة كان وقفاً للأصول الثابتة من أراض وعـقـارات ولم يحـدث وقف للنقـــود. ثـم إن سنة الوقف ومقتضاه هي حبس الأصل تسبيل الثـمـرة، ولا يتـأتى ذلك في وقف النقـود، لأنه لا يسـتـفـاد بهـا فـائدة صحيحة شرعاً إلا بإهلاك عينها،

ويمكن الرد على ذلك بأنه بفرض اقتصار العمل في صدر الإسلام على وقف الأصول الثابتة، فإن ذلك لا ينهض بمفرده ليكون دليلاً على منع ما عداه، والصحيح أن العمل لم يقتصر على ذلك، وإن كان هو الغالب وإلا فهناك وقف خالد رضي الله عنه لأدرعته وعتاده وهي أموال منقولة، وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الحديث المتفق عليه، والنقد نوع من الأموال المنقولة، ونحن نسلِّم بأن سنَّة الوقف ومقتضاه حبس الأصل وتسبيل الثمرة، لكنا لا نسلِّم بأن ذلك لا يتأتى في وقف النقود. إن النقود مثلية، ومثل الشيء كهو، ولا تتعين بالتعيين، وبدلها يقوم مقامها تماماً. ومع التسليم بأن الاستفادة الصحيحة شرعاً تتطلب تقليبها فإن ذلك لا يقتضي أبداً إهلاك عينها وذهابها بالكلية فهي باقية بشكل دائم.(٦)

وكأن القائلين بعدم جواز وقفها نظروا إلى شخص يقف بعض نقوده على شخص ما أو جهة ما فيقوم بدفع هذه النقود إلى هذاالشخص أو تلك الجهة وتنتهي القصة. والحق أن عملاً مثل ذلك لا يعد وقفاً وإنما هو مجرد صدقة عادية، إذاً أين هو الأصل القائم؟! وأين هي الثمرة المسبلة؟! ولكن ذلك ليس المقصود لدى من قال بوقف النقود، وإنما مقصودهم اعتبار النقد أصلاً قائماً يستغل أو ينتفع به مع بقائه. كما سيتضح في الفقرات التالية، وما الفرق عندئذ بين وقف النقود لاستثمارها وتوزيع عائدها على الموقوف عليه، وبين وقف نخلة لتوجيه ثمرتها ومنافعها لجهة ما، ومعروف أن النخلة تهرم وتنتهي ولذلك قالوا لابد من شراء فسائل وغرسها حتى يظل النخل قائماً مستمراً(٧).

والتساؤل هو: هل النخل القائم على مر الزمن هو عين النخل الموقوف؟ فَلِمَ يجوز هذا ويمنع؟ مع أن النقود أوغل في المثلية من الأشجار ذات الجنس الواحد. ثم إن وقف النقود لا يخرم مبدأ التأبيد في الوقف فهي باستثمارها وتنميتها تظل قائمة موجودة عبر الزمن ربما بدرجة أكبر من دوام الأراضي والعقارات، والعبرة بالإدارة وليس بنوعية المال الموقوف، وسوء الإدارة يزيل الجميع لا فرق بين مال ومال. وهكذا فنحن نرى ما سبق أن رآه فقهاء المسلمين الذين قالوا بجواز وقف النقود. وخصوصاً أن لهذا النوع من الوقف مزايا ومقومات قد لا يتوافر الكثير منها في الوقف العيني، كما سنرى في الفقرة التالية:

٣ ـ من عوامل إضفاء أهمية متزايدة للوقف النقدي في عالمنا المعاصر:

بدءاً يجدر التنبيه إلى أن دعوتنا للاهتمام الكبير بالوقف النقدي، لما نتوخاه فيه من مقومات وإمكانات، لا تعني بأي حال التهوين والتقليل من شأن الوقف العيني، كمن ذهب إلى أنه لا يخدم عملية التنمية الاقتصادية القائمة الآن(٨). والصحيح أن الوقف الشرعي بمختلف أنواعه يخدم عملية التنمية. غاية الأمر أن طبيعة هذه الخدمة ونوعيتها ومقدارها تختلف من وقف لوقف، طبقاً للظروف والملابسات المحيطة بكل حالة. وكل ما نهدف إليه في هذه الفقرة هو التنويه بهذا النوع «المنسي» من الوقف والالتفات الجاد إليه، لا على أنه بديل للوقف العيني وإنما لأنه معضد بل مشارك رئيسي له. ولا سيما أنه يتسم بهذه السمات:

١ ـ أنه متاح للناس بدرجة أكبر من غيره، فجماهير الناس تمتلك ثروات أو دخولاً نقدية بغض النظر عن قلتها وكثرتها، بينما الكثير منهم لا يمتلك أراضي أو عقارات.

٢ ـ أنه أكثر قابلية من غيره لقيام الوقف المشترك أو الوقف الجماعي، وهو اليوم أكثر ملاءمة من الوقف الفردي، كما أنه أكثر أهمية منه لعظم ما يوفره من موارد وأموال وقفية تُمكِّن من إقامة المشروعات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة.

٣ ـ إن إمكاناته من حيث تنوع وتعدد طرق وأساليب ومجالات استثماره وتزايد عائده متسعة.

٤ ـ إن أغراضه ومجالاته متنوعة ومتعددة لا يحد منها شيء، ولا تقف دونها عقبات.

٥ ـ إنه أكثر تماشياً وملاءمة مع ما يشيع اليوم في عالم التمويل من مبدأ «ديموقراطية التمويل».

٦ ـ إن تأثيره التنموي قد يكون أقوى من غيره من حيث إسهاماته في الأنشطة الإنتاجية المختلفة في مرحلة استثماره، لأنه يدخل ممولاً ومستثمراً في كل تلك الأنشطة.

هذه بعض الاعتبارات التي تجعل للاهتمام بالوقف النقدي وجاهته وأهميته.

## ٤ ـ إنشاء وتكوين الوقف النقدي

الوقف النقدي قد يكون وقفاً فردياً بمعنى أن يقوم فرد أو جهة ما بمفرده بعملية الوقف مستقلاً عن مشاركة الآخرين في المال الموقوف، وهذا لا يتأتى عادة إلا عند توافر المقدرة المالية العالية من جهة، وكون الموقوف عليه معيناً محدوداً أو جهة عامة صغيرة متفرعة من جهة أخرى. وبالتالي فإن هذا النوع من الوقف النقدي على أهميته، فرص اتساعه وانتشاره محدود(٩). وقد يكون وقفاً جماعياً أو مشتركاً كأن تقوم جماعة محدودة أو غير محدودة بالاشتراك بصورة من الصور في تكوين ما يمكن أن نطلق عليه صندوقاً وقفياً. وقد تقوم مؤسسة ما بتكوين هذا الصندوق من خلال ما يتوفر لديها من وقوفات فردية، مثلما يحدث في بعض المصارف التي تتلقى وقوفات فردية من كثير من الأفراد، فتقوم بضم المتجانس منها مع بعضه بعضاً وتكون صندوقاً، تمهيداً لاستثماره واستغلاله بما يولد عائداً يوجه للجهة الموقوف عليها أو للجهات المتعددة الخيرية، إن لم يكن هناك نص صريح من الواقف بتحديد جهة ما.

وقد يتم تكوين هذا الصندوق أو هذا الوعاء من خلال صكوك وقفية محددة القيمة تطرح بنظام ما على جمهور الناس لمن يرغب في شرائها. وقد يقوم بطرح هذه الصكوك جماعة من الواقفين أو جمعية خيرية أو مؤسسة مصرفية

**أغراض الوقف ومجالاته متنوعة ومتعددة لا يحد فيها شيء ولا تقف دونها عقبات**

أو جهة حكومية، في إطار ضوابط محددة مشروعة ديناً ونظاماً.

٥ ـ استثمار الوقف النقدي

يقصد باستثمار الشيء «توظيفه واستغلاله ليدر ثمرة أو عائداً»، كاستغلال المساكن بتأجيرها والأراضي بتأجيرها أو مزارعتها مثلاً، ومعروف أن النقود لا تدر عائداً لوحدها وبقاءها جامدة ساكنة يفقدها أهميتها، وإنما لابد من تحريكها وتقليبها وتحويلها إلى أشكال أخرى من الثروة ثم إعادتها مرة ثانية هي أو عائدها إلى نقود، وهكذا، فيمكن أن يشترى بها سلعاً ثم تباع بربح، ويمكن أن يشترى بها أصولاً تستغل في إدرار العائد كشراء أراض أو مساكن أومصانع أو أسهم... إلخ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن النقود كي يصح وقفها لابد من استغلالها استغلالاً يتم مع عدم زوالها وهلاكها، وهذا يتطلب في معظم الأحوال القيام باستثمارها ومن ثمَّ تبقى وتوزع الثمرة أو العائد أو الدخل المترتب على استثمارها.

وقبل أن نعلِّق على صور وأساليب استثمار الوقف النقدي نود أن نشير إلى صورة من الصور التي ذكرها الفقهاء حيال وقف النقود، قال الفقهاء: يمكن أن توقف النقود بغرض الإقراض، وصوروا ذلك بقيام شخص بوقف مقدار من المال النقدي لإقراض المحتاجين، فيأخذ المحتاج القرض يسدُّ به حاجته ويعيده بعد ذلك لناظر الوقف(١٠)، وقد يُقال هنا أين هو الأصل المحبوس، وأين هي الثمرة؟

والجواب: إن الأصل هو النقود الموقوفة، وهي قائمة وباقية ومحبوسة على هذا الغرض، أما الثمرة فهي تلك المنفعة التي تحققها هذه النقود لمن يقترضها، فمن البدهي أن هناك نفعاً ما للمقترض وإلا ما كان هناك وجه للاقتراض، ومعنى ذلك قيام صندوق وقفي للإقراض الحسن، وهو أمر مهم قد لا يقوم غيره مقامه(١١)، وقد يُقال هنا: أين استثمار النقود؟ والجواب أنه لا استثمار هنا. وهل كل وقف يولد ثمرة أو غلة منفصلة؟. قال العلماء: إن هناك وقفاً مغلاً ووقفاً غير مغل(١٢). ومثَّلوا للأول بالدار الموقوفة للأجرة، وللثاني بالدار الموقوفة للسكنى. والأولى بالتساؤل هنا قضية القروض التي قد لا تسدد وقضية نفقة الناظر على الوقف، فالواضح أنه دون أن تعالج هاتان المسألتان علاجاً جيداً فإن أموال الوقف سرعان ما تزول وموارد الصندوق سرعان ما تنضب وتجف، وهذا مناقض لمقصود وسنَّة الوقف، كما أنه مناقض لغرض الواقف من دوام وقفه ليدوم انتفاع الموقوف عليه ومن ثمَّ يدوم الثواب. ومع أخذ التحوطات الكافية من ضمانات ورهون وكفالات فقد ينظر في مشروعية دفع المقترض التكاليف الفعلية لاقتراضه في ضوء ضوابط محددة تحديداً شافياً. ونرى أن المخرج الأقوى في ذلك هو قيام الناظر على الوقف باستثمار نسبة معينة من أموال الوقف، يحسن أن تكون بعلم الواقف، يوجه عائدها أساساً لنفقات الناظر، ولتكوين مخصصات للديون المعدومة، وما قد يتبقى «يرسمل» أي يضاف إلى أموال الصندوق المرصودة للإقراض، وقد نص الفقهاء على جواز بيع بعض مال الوقف للإنفاق منه على الجزء الباقي كما نصُّوا على جواز استغلال الجزء للإنفاق منه على الجزء الثاني(١٣). وما ذلك إلا لأنه السبيل الوحيد لبقاء الوقف منتفعاً به، ولعل هنا مجالاً للنظر الفقهي حول القيام باستثمار وتنمية أموال الصندوق الوقفي للإقراض. قياساً على جواز استثمار فائض الغلة واستثمار دار السكنى لتوفير ما تُصان به، وقد يكون القصد من وقف النقود إنفاق عائدها على الجهة الموقوف عليها، وهذا يتطلب بالضرورة استثمارها أولاً ثم إنفاق العائد، أو بالأحرى جزء منه على الموقوف عليه، وقد نصَّ الفقهاء القدامى على ذلك أيضاً(١٤). وهنا نقف أمام الكثير من صيغ وأساليب الاستثمار التي يمكن استخدامها، طالما أن الواقف لم يحدد صراحة صيغة أو أسلوباً معيناً فيلتزم به، شرط أن يكون الأجدى اقتصاداً والأنفع لمقصود وغرض الوقف وهو انتفاع الموقوف عليهم، وطالما أن ذلك متفق والأحكام الشرعية. وإلا أعرض الناظر عن ذلك، واتخذ من الصيغ والأساليب ما يتواءم وهذه المتطلبات. وأمام الإدارة الوقفية في ذلك الكثير والكثير من هذه الصيغ والأدوات، التي قد تطورت اليوم من خلال تطبيق المصارف الإسلامية عدم التعامل بالربا، مثل الاستثمارات المباشرة، والتأجير، والمضاربة، والمشاركة، والسلم، وبيع المرابحة، والاستصناع، وشراء الأوراق المالية، وتكوين المحافظ والصناديق الاستثمارية والمشاركة فيها، فالأموال الوقفية شأنها شأن أي أموال يُراد استثمارها، وأمامها الكثير من الأبواب، شرط الالتزام الشرعي، حتى لو نص الواقف على غير ذلك، وشرط الدراسة الجادة لجدوى العمل الاستثماري بما يوفر له أكبر

## تأثير الوقف التنموي أقوى من غيره لأن إسهاماته الخيرية متعددة



قدر من الحماية من جهة، وأكبر عائد ممكن من جهة أخرى، فمال الوقف كمال اليتيم ومال بيت المال، يبذل في استثمارها من الجهد والعناية أكبر مما يبذل في غيرها. ومن المفضل ألا يغفل المستثمر كل الإغفال عن المصلحة العامة، جرياً وراء المصلحة الاقتصادية الخاصة بالوقف، فالوقف في الأول والأخير عمل خيري، ومن ثمّ ينبغي أن يكون ذلك المعنى حاضراً في كل خطوات ومراحل العملية الوقفية، على ألا يحمل ذلك غبناً لحقوق الموقوف عليهم، والتي هي المقصود النهائي من عملية الوقف(١٥). والصورة تتضح ملامحها بالمثال التالي: هناك وقف نقدي على مركز طبي أو مدرسة أو جامعة... إلخ، وأمامنا مشروعان لاستثمار هذه النقود، وبالتالي توجيه عائدها إلى تلك الجهات. المشروع الأول للإسكان الشعبي، والمشروع الثاني للإسكان المتوسط أوالعالي، الأول يدر عائداً اقتصادياً أقل مما يدره الثاني، بينما يفيد الأول فئات فقيرة تشتد حاجتها للسكن، فإلى أين توجه الإدارة الوقفية أموال الوقف؟ في ظلال الوقف، الإجابة ليست سهلة

## الوقف النقدي لا يثير متاعب في إدارته ويمكن أن يقوم بها الواقف لوحده

لأن التوجه للمشروع الأول يحقق نفعاً اجتماعياً لا يحققه التوجه للمشروع الثاني، لكنه في الوقت نفسه يضيع على الموقوف عليهم عوائد يوفرها لهم المشروع الثاني.

وقد يكون من الميسّر للتوجه الصحيح التمييز الدقيق بين الموقوف والموقوف عليه، وبين عملية استثمار الوقف وعملية توزيع عوائد الاستثمار، كذلك الوعي الصحيح بأن مراعاة الموقوف عليهم، وبخاصة إذا كانوا فئات محتاجة أو جهات عامة هي في حد ذاتها مصلحة اجتماعية، وقد يساعد ذلك أيضاً قيام الدولة بوضع أوليات للمشروعات التي تُقام، وأيضاً قيام صندوق الوقف بتنويع مجالات الاستثمار بما يوفر التوليفة المثلى التي تحقق ما يمكن تحقيقه من منافع ومصالح عامة وخاصة معاً.

٦ ـ الجانب الإداري والتنظيمي في الوقف النقدي

إن إدارة وتنظيم الوقف النقدي الفردي قد لا تثير متاعب تذكر، وفي هذه الحال يمكن أن يقوم بها الواقف نفسه، ويمكن أن يعهد بذلك إلى جهة استثمارية خبيرة، باتفاق واضح معها، على أن يقوم بمتابعتها بنفسه أو من خلال جهة أخرى يفوضها في ذلك، أما الوقف النقدي الجماعي، ونظراً لما يتطلبه من صكوك وصناديق وجهة مالية جيدة تقوم على استثماره إما بنفسها أو من خلال جهات أخرى فإنه يتطلب توافر إطار إداري كفء، ولعل من أهم ما يُثار هنا كيفية قيام الواقفين بالمتابعة الجادة بما يضمن لهم حسن استثمار أموالهم وحسن توزيع عوائدها. وقد يقومون بأنفسهم من خلال جمعية مثلاً بتكوين الصندوق الوقفي ويتولى بعض منهم إدارة هذا الصندوق والتعامل مع الجهات الاستثمارية المختلفة، ويشكل باقي الواقفين ما يمكن أن يمثل جمعية عمومية، وقد يلجأون في ذلك إلى جهة مالية وسيطة تمارس بالإنابة عنهم إدارة هذا الصندوق وتوظيف موارده على طريق الوكالة بأجر أوالمضاربة أو الإجارة... إلخ.

ومن المهم في تلك الحال وجود تنظيم يكفل نوعاً من الرقابة والمتابعة للواقفين

وذلك بالمشاركة في إدارة الصندوق، أو على الأقل في الجمعية العمومية لهذه الجهة الوسيطة. وعلى أي حال فإن الفكر الإداري لا يعجز عن تقديم آلية جيدة لتحقيق هذا المطلب، وبخاصة في ظل الانتشار الواسع اليوم للمؤسسات والأساليب المالية المطروحة عملياً، ومن المهم أن يكون للدولة من خلال تشريعاتها وقوانينها دور واضح في ذلك.

٧ ـ مجالات صناديق الوقف النقدي

سبق أن أشرنا إلى أن العالم الإسلامي المعاصر يواجه مشكلات حادة في توافر متطلبات الحياة الكريمة لفئات كثيرة من سكانه من علاج إلى تعليم إلى إسكان وعمل وغير ذلك، وقلنا إن توافر تلك المرافق يحتاج إلى أموال طائلة، ليس بمقدور الدولة اليوم تأمينها، وليس ذلك من الاهتمامات الأساسية للقطاع الخاص المستوعب المجال الاقتصادي، وإذاً لا يبقى إلا العمل التطوعي الذي يقوم على أكتاف القطاع المدني وقد يسهم فيه القطاع الاقتصادي.

والأمر في حاجة إلى تحفيز الأفراد والمؤسسات للقيام بتمويل هذه المرافق الضرورية اقتصادياً واجتماعياً، وليس هناك أقوى من الحافز الديني للقيام بهذا البذل المالي دون مقابل مادي مباشر. وقد وفّر الإسلام هذا الحافز كأحسن ما يكون التوفير من خلال تشريعاته للصدقات والنفقات الخيرية وللوقف، والمطلوب إثارة هذا الحافز أولاً، وتقديم توعية جيدة عامة وشاملة تخاطب الجميع الخطاب الملائم لكل مخاطب وتوضح كل جوانب وأبعاد العملية الوقفية بدءاً من أهميتها الدينية وصولاً إلى أهميتها الاقتصادية والاجتماعية ثم تبيّن تبياناً لصيغها وأساليبها ومجالاتها الحيوية التي تخدم المصلحة العامة ومن ثمّ تحقق الثواب الجزيل لمن يسهم في ذلك ثانياً، وتقدم الدولة

من التشريعات والقوانين والتنظيمات ما يطمئن الأفراد على صحة وسلامة أوقافهم وانصرافها لتأدية أغراضها في ظل حماية كاملة من العبث والعدوان ثالثاً، من المهم قيام المؤسسات الأهلية وبعض المؤسسات المالية وكذلك بعض الجهات الحكومية بإنشاء وتكوين صناديق وقفية تخدم المجتمع وتعمل على حل مشكلاته، مثل مشكلة العلاج، ومشكلة التعليم والبحث العلمي، ومشكلة الإسكان، ومشكلة البطالة... إلخ(١٦). وتدعو الأفراد والمؤسسات إلى الوقف فيها، وبذلك تترشد أغراض الواقفين، وتتجه بالفعل ناحية الأوجه الخيرية الحقيقية، بدلاً من التوجه ناحية أغراض ومقاصد رديئة تافهة لا أثر لها في الدين والدنيا، وقد حكم ابن تيمية - يرحمه الله - على وقف مثل هذا بالبطلان «الفتاوى» وهو حكم صحيح شرعاً واقتصاداً.

## خاتمة

هذه الورقة تناولت الوقف النقدي كموضوع أساسي وتناولته كتوطئة وتمهيد لبعض المسائل ذات العلاقة الوثيقة، ومقصودها النهائي تفعيل دور الوقف في حياتنا الحاضرة. فتعرضت لواقع مؤسسة الوقف، واصفة ومفسرة، ثم تناولت مدى اشتداد الحاجة المعاصرة إلى دور فاعل للوقف، وكان هذا كله في القسم الأول من الورقة، وفي القسم الثاني منها كان تناول «الوقف النقدي» فقامت بتعريفه، ثم بتوضيح الموقف الفقهي منه، ثم بتبيان ما لهذا النوع من الوقف من مزايا وإمكانات تجعل له أهمية متزايدة في عالمنا المعاصر، ثم بالإشارة إلى كيفية إنشائه وتكوينه، ثم بعرض بعض الصور والأساليب الاستثمارية له، وأخيراً بالإشارة إلى ما يتطلبه من نواح إدارية وتنظيمية.

وخلصت من ذلك كله إلى نتائج يمكن الإشارة إلى كلياتها فيما يلي:

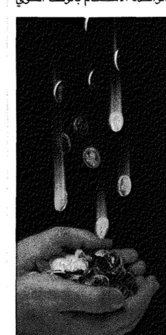
أولاً: منذ فترة ليست بالقصيرة والوقف في العالم الإسلامي بصفة عامة يمر بمرحلة تدهور واضمحلال، أو بعبارة أخرى يمر بأزمة، وإن كان في أيامنا الحاضرة يشهد جهوداً طيبة لنموه وازدهاره.

## شيوع مفاهيم وتصورات ليست من فقه الوقف ضيقت الواسع وعسرت اليسير

ثانياً: من العوامل الأساسية وراء ظاهرة ضعف الوقف الراهن لما هنالك من ضبابية فقهية حول الكثير من أحكامه وقضاياه، تبلورت في شيوع مفاهيم وتصورات ليست من فقه الوقف في شيء، فضيَّقت الواسع، وعسَّرت المتيسر، وجمَّدت المرن، ومن أهم الحقائق الفقهية التي يجب إبرازها بشكل جيد حيال الوقف، أن الفقه الإسلامي اتخذ منهج المرونة الكبيرة حياله، وكثيراً ما ظهرت فيه هذه العبارة الفذة التي قلَّما تظهر بهذا الشكل في أبواب الفقه الأخرى «ما جرى التعامل به فوقفه جائز». ومن ثمَّ فنحن في حاجة ماسة اليوم إلى إبراز فقه الوقف وإخراجه في شكل جديد.

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في العالم الإسلامي المعاصر تحتم علينا الالتفات الجاد إلى الوقف والعمل على تطويره، وتوظيف كل منتجات العلم والتكنولوجيا للارتقاء به حتى يؤدي رسالته المهمة في مواجهة هذا الواقع القاسي.

رابعاً: من جوانب تطوير الوقف الواعدة الاهتمام بالوقف القوي



النقدي لما له من مزايا ولما يمتلكه من قدرات وإمكانات، وقد اتضح أنه محل جواز الفقه في مختلف المذاهب حتى ولو من بعض فقهائها، كما اتضح أنه كان معمولاً به ومتعارفاً عليه في الكثير من الدول الإسلامية في مختلف العصور، وهو وقف ملائم تماماً لعصرنا الحاضر.

ولكنه يحتاج إلى توضيح شاف لأبعاده ومتطلباته الإدارية والمالية، ومما يسهِّل من تحقيق ذلك ما هنالك من صيغ وأساليب مالية إسلامية يجري العمل بها من خلال المؤسسات المالية الإسلامية يمكن استخدامها في عمليات الوقف النقدي.

وفي ضوء ذلك نقترح أن يصدر المجمع الموقر قراره بجواز الوقف النقدي بشكليه الفردي والجماعي، وأن ينظر بعين اليسر والمرونة في تطبيق الصيغ والأساليب المالية الإسلامية عليه عملاً بقول الإمام القرافي - يرحمه الله - عن الوقف «هو من أحسن القرب، وينبغي أن تخف شروطه»(١٧). وأن توصى الحكومات بضرورة إعادة النظر في قوانينها وأنظمتها بما يحفِّز الأفراد على الإقبال عليه.

* بحث قُدِّم إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته الـ(١٣) في الكويت ●

## الهوامش:

١ - الدسوقي، ٧٧/٤.
٢ - الإمام أبوالسعود، رسالة أبي السعود في جواز وقف النقود، تحقيق صغير أحمد، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ.
٣ - مجموع الفتاوى: ٢٣٤/٣١ وما بعدها.
٤ - الماوردي، الحاوي الكبير، ٣٧٩/٩.
٥ - عيون الأزهار، ص ٣٥٩.
٦ - وقد نصَّ العديد من الفقهاء على هذه المعاني، ابن عابدين، ٣٦٤/٤، الدسوقي، ٧٧/٤.
٧ - هلال الرأي، أحكام الوقف، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٣٥، ص٢٠.
٨ - محمد بوجلال، نحو صياغة مؤسسية للدور التنموي للوقف: الوقف النامي، مجلة دراسات اقتصادية إسلامية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، المجلد ٥، العدد ١، رجب ١٤١٨هـ.
٩ - رغم وجوده كما في وقف الدكتور شوقي الفنجري على طلبة العلم وعلى خدمة الدعوة والفقه الإسلامي، وكما في وقف صالح كامل على مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر وغيرهما.
١٠ - الدسوقي، ٧٧/٤.
١١ - د.راشد العليوي، الصيغ الحديثة لاستثمار الوقف وأثرها في دعم الاقتصاد، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، شوال ١٤٢٠هـ.
١٢ - سحنون، المدونة، ١٠٠/٦.
١٣ - وقد قالوا إن العبد المحبس على خدمة شخص نفقته على المحبس عليه «الذخيرة ٣٤١/٦» وهنا النقود محبوسة لخدمة المدينين فكل ما يلزم لبقائها تكون عليهم، انظر الكمال لابن الهمام، فتح القدير، ٤٣٤/٥، ابن تيمية، الفتاوى ٢١٢/٣١، الدسوقي، حاشية الدسوقي ٩٠/٤.
١٤ - الماوردي، الحاوي الكبير، ٣٧٩/٩، ابن تيمية، الفتاوى، ٢٣٤/٣١ وما بعدها، الكمال لابن الهمام، مرجع سابق ٤٣٢/٥.
١٥ - سليمان الطفيل، الوقف كمصدر اقتصادي لتنمية المجتمعات الإسلامية، ندوة «مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية» مكة المكرمة، شوال ١٤٢٠هـ.
١٦ - الأمانة العامة للأوقاف، الكويت «الصناديق الوقفية - النظام العام ولائحته التنفيذية» مطابع الخط، ١٤١٧هـ.
١٧ - الذخيرة ٣٢٢/٦ ●





# المعالجة الجينية للخلايا الإنشائية من وجهة نظر شرعية

بقلم: أ.د.عبدالفتاح محمود إدريس. أستاذ الفقه والأصول بكلية التربية، جامعة الإمارات

أحدث الكشف عن الجينوم البشري، ثورة هائلة في مجالات الطب المختلفة، والتي منها العلاج الجيني، وينصب هذا النوع من العلاج على الخلايا، سواء في ذلك الخلايا الجسدية أو الإنشائية، ولما كانت معالجة الخلايا الإنشائية من الخطورة بمكان، لأن أثرها لا يقتصر على المريض، وإنما يمتد إلى الأجيال المقبلة من ذريته، ومن ثم رأيت أن أعرض لها بالبحث، لأبيِّن موقف الشريعة الإسلامية من العلاج.

ويقصد بالخلايا الإنشائية، «الخلايا الجنسية»: التي هي الحيوانات المنوية، والبويضات، والخلايا التي تكونها عند الذكر والأنثى، وهي المبايض والخصى.

وعلاج هذه الخلايا جينياً - إذا كانت حاملة لجينات ممرضة أو مشوَّهة - قد يكون بنقل جينات سليمة إليها من الآخرين، سواء على سبيل الاستبدال أو الإضافة، وقد يكون بإصلاح الجين المرض دون إضافة أو استبدال، وإن كان الغالب في العلاج الجيني إضافة نسخة سليمة من الجين، إلى الخلية المحتوية على الجين المرض أو المشوّه، وعند إتمام هذا النقل تتغير المعلومات الوراثية في الخلية، عندما يبدأ الجين المنقول إليها في التعبير عن نفسه.

وتمثل هذه الخلايا التراث الجيني للأجيال المتعاقبة، فعلاجها جينياً لا يؤثر على المادة الوراثية للإنسان المعالج فقط، وإنما يمتد تأثيرها إلى المخزون الوراثي لذريته أبداً.

وفي هذا الصدد يقول د.عبدالحافظ حلمي: «إن البويضة المخصبة تنتج من ذريتها بلايين الخلايا، التي تأخذ في التمايز والتشكل حتى تصنع الجسم بمختلف أنسجته وأعضائه، ومن ثمَّ تسمَّى الخلايا الجسمية، ولكن يبقى منها على الدوام ومنذ البداية أصل إنشائي لا يشكل ولا يبدل، وهو الذي سوف يصنع الأمشاج للجيل التالي، ومن ثم تسمى هذه الخلايا بالخلايا الإنشائية، وفي حياة الفرد يطرأ على جسده ما يطرأ من مرض أو تشوه ثم بلى وفناء، ولكن بعضاً قليلاً من خلاياه يدلف إلى مسار الخلود في ذريته، دون أن ينال منه شيء مما يطرأ على خلاياه الجسدية، وهذا الحاجز بين النوعين من الخلايا يسمى حاجز «فايزمان»، نسبة إلى العالم الألماني الذي اعتنى بإبراز هذه الفكرة في القرن التاسع عشر، وهكذا يظل حاجز «فايزمان» منيعاً في الطبيعة المألوفة، فلا يرتد من الخلايا الجسمية إلى الخلايا الإنشائية شيء يمكن أن يورث للخلف»(١).

ويقول د.محمد الطيبي: «يتمثل العلاج الجيني للخلايا الجسدية، في إدخال حمض نووي ريبي ناقص أكسجين في هذا النوع من الخلايا، ولن يستطيع الجين المضاف الانتشار في ذرية المريض، على العكس من ذلك يؤثر العلاج الجيني في الخلايا الإنشائية على الإنسان في الأطوار الأولى من تطوره كجنين، بهدف القضاء على خلل وراثي في الشخص المستقبل وفي ذريته»(٢).

وقد منع علماء البيولوجيا علاج الخلايا الإنشائية جينياً، وذلك للعواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب عليه، بما يشبه إجماعاً منهم على ذلك:

أ - يقول د.عبدالعزيز البيومي: «يجب التأكيد على أنه يمكن السماح بالعلاج الجيني في الخلايا الجسدية، ويجب المنع التام من التلاعب بالأمشاج «يقصد التدخل في الخلايا الإنشائية»، لما لها من عواقب كثيرة، سواء من الناحية الوراثية أو الأخلاقية، إذ العلاج الجيني في الخلية الجسدية يؤثر فقط على الفرد المصاب ويعالجه، في حين يؤثر العلاج الجيني للخلايا الإنشائية على الأجيال المتعاقبة»(٣).

ب - تقول د. ثورية بنعزو: «تقتصر التجارب السريرية الراهنة على علاج الخلايا الجسمية، والذي يقوم على إدخال إحدى الجينات في الخلايا الجسمية لطفل صغير أو لشاب، وهكذا لا تتعرض الخلايا الإنشائية للتغيير، مما يحول دون انتقال هذا الجين إلى الذرية، وهذا ما يجعل أنجال الشخص الذي استفاد من العلاج دائماً عرضة لهذا المرض، أما العلاج الجيني الإنشائي فلم يطبق على الإنسان، إذ تم رفضه من طرف اللجان الأخلاقية، إلا أن فريقاً من الباحثين ينظر حالياً في إمكانية تطبيقه في علاج الأمراض الوراثية المستعصية»(٤).

ج - يقول د. محمد الطيبي: «تسهم الخلية الإنشائية في التراث الجيني للأجيال المتتابعة، وعلاج الجين عن طريق الخلية الإنشائية لا يؤثر فقط على المادة الوراثية الشخصية، بل على المخزون الوراثي لذريته أيضاً، ومن ثم على مجموع الصفات الوراثية للبشرية جمعاء، وتعتبر أغلبية من العلماء أنه لا يجوز أخلاقياً القيام بأي محاولات في هذا النوع من العلاج، على أن مجموعة أخرى تعتقد أن العلاج الجيني في الخلية الإنشائية هو الطريقة الوحيدة للقضاء على الأمراض الوراثية الكثيرة، التي يعاني منها ملايين البشر في العالم بأسره»(٥).

والعلاج الجيني للخلايا الإنشائية، قد يكون بإدخال جين سليم من شخص آخر، فيترتب عليه تأثر هذه الخلية بالجين المنتقل إليها، والذي «يشفر لصفات وراثية»، هي صفات من أخذ منه الجين الذي تعالج به الخلية الإنشائية، وهي صفات وراثية مختلفة عن تلك التي تحملها الخلية الإنشائية للشخص المريض، ولما كانت هذه الخلية تمثل المخزون الوراثي للإنسان، الذي ينتقل إلى الأجيال المتعاقبة من ذريته، فإن هذا النقل يترتب عليه اختلاط الأنساب كما لا يخفى.

وقد يكون بإضافة جين سوي إلى الجين المرض أو المشوّه، ليوقف عمله أو يحد من نشاطه في الخلية، وفي هذه الحال سيعبِّر الجين السوي المضاف ذو الأصل الأجنبي عن نفسه، و«يشفّر للصفات الوراثية» لمن أخذ منه، لا لصفات من أضيف إلى خليته، ومن ثمَّ فإن الذرية الناتجة من هذه الخلية تكون حاملة لصفات من أخذ منه الجين السوي، فيترتب على هذه الصورة من العلاج اختلاط الأنساب كذلك.

**علاج الجين عن طريق الخلية الإنشائية لا يؤثر فقط على المادة الوراثية الشخصية، بل على المخزون الوراثي للذرية**

وقد يكون بإصلاح الجين المرض أو المشوّه، من دون إدخال جين سوي إلى الخلية الإنشائية، وهو نوع من العلاج الجيني، إلا أن الغالب في هذا النوع من العلاج نقل الجينات السوية من الآخر، إلى داخل الخلية في الجسم المريض، وإصلاح الجين المرض أو المشوّه وإن كان لا يترتب عليه اختلاط الأنساب، إلا أنه قد يحدث طفوراً في الخلية(٦)، يترتب عليه من الأمراض والتشوهات الوراثية ما يكون أخطر من الذي تعالج منه الخلية الإنشائية.

وقد أعلن كثير من العلماء مخاوفهم من إجراء هذا العلاج للخلايا الإنشائية، ومن هؤلاء د.رياض بيومي الذي قال: «معالجة الخلايا الإنشائية قد تحدث أضراراً في الأجيال اللاحقة، وقد يؤدي تصحيح الجينات المصابة إلى تكوين طفرات، وتبقى عمليات الاستهداف بدائية وطرقها غير مضبوطة»(٧).

وعلاج الخلايا الإنشائية جينياً، إذا كان بنقل جينات سوية أو إضافتها من الآخر، فإنه يترتب عليه اختلاط الأنساب، لأن الجنين الناشئ عن هذه الخلايا المنقولة، لا يحمل الصفات الوراثية لصاحب الجين المرض أو المشوّه، الذي ينجب هذا الجنين بالفعل، وإنما يحمل الصفات الوراثية لصاحب الجين السوي الذي تمت المعالجة به، وكل ما يترتب عليه اختلاط الأنساب حرَّمه الشارع، يدل لهذا النصوص الكثيرة الدالة على حرمة الزنى، باعتباره سبباً لاختلاط الأنساب، والنصوص الدالة على حرمة أن ينسب الإنسان إلى نفسه ولداً ليس منه، والتي منها قول الله تعالى: (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) الأحزاب:٥، وما رواه رجاء بن حيوة عن أبيه عن جده «أن جارية من خيبر مرَّت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مجح، فقال



النبي صلى الله عليه وسلم: من هذه؟ قالوا: لفلان، قال: أيطأها؟، قيل: نعم، قال: فكيف يصنع بولدها، أيدعيه وليس له بولد، أم يستعبده وهو يغدوه في سمعه وبصره؟!، لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه قبره»(٨).

والنصوص الدالة على حرمة نسبة امرأة ولداً إلى قوم ليس منهم، أو جحود نسبه ممن هو منهم، والتي منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»(٩)، والنصوص الدالة على حرمة انتساب الإنسان إلى غير أبيه أو إلى غير من هو منهم، والتي منها ما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ادَّعى أباً في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»، وفي رواية أخرى: «من ادَّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»(١٠).

ومن ثمَّ، فإن العلاج الجيني لهذه الخلايا بالنقل أو الإضافة الجينية من الآخر يكون محرماً، لحرمة ما يترتب عليه وهو اختلاط الأنساب، فضلاً عمَّا يترتب على العلاج في هذه الحال، من إهدار أحد المقاصد الضرورية للشارع، وهو حفظ النسل.

وإذا كان العلاج الجيني لهذه الخلايا، يتم بإصلاح الجين الممرض أو المشوَّه دون نقل أو إضافة جينية من الآخر، فإنه قد يترتب عليه حدوث طفرات وراثية بالخلية، وهذه الطفرات لا يقتصر أثرها الضار على من تتم معالجته فقط، وإنما يمتد هذا الأثر ليشمل ذريته كذلك، والذي قد يصل إلى درجة إحداث التشوهات الخلقية المميتة أو المعوقة لهذه الذرية، والعلاج الذي يترتب عليه هذا الضرر محرَّم، لأن الشارع حرَّم التدخل في الجسم البشري، إلا إذا كان التدخل لإصلاحه فإذا كان التدخل فيه يفضي إلى الإضرار به، فإنه يكون محرَّماً، للنصوص الدالة على حرمة الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، أو الإضرار بها، والتي منها: قول الله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة: ١٩٥، وما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»(١١)، فالمفسدة الناشئة عن العلاج الجيني في هذه الحالة مما يغلب على الظن وقوعها كما قال العلماء، وهي مفسدة أعظم من مفسدة بقاء هذه الخلايا دون علاج، وقواعد الشريعة تقضي بأنه «إذا تعارضت مفسدتان، روعي أعظمهما ضرراً، بارتكاب أخفهما»(١٢).

وما يدعو إليه بعضهم من اتباع العلاج الجيني للخلايا الإنشائية، كوسيلة متعينة للقضاء على الأمراض المستعصية، التي يعاني منها كثير من الناس في العالم، لا يسلم له به، إذ القول بتعيين وسيلة معينة للعلاج من مرض معين دون غيرها، قول غير دقيق في عصر التقدم التكنولوجي في مجال تشخيص الأمراض وعلاجها، فتتعدد المواد العلاجية للغرض العلاجي الواحد، والاختلاف في أساليب العلاج وغير ذلك من عناصر الاختيار في العلاج، يدحض القول بتعيين العلاج الجيني للخلايا الإنشائية، كوسيلة لمعالجة الأمراض المستعصية، يضاف إلى هذا أن القول بتعين هذه الوسيلة دون غيرها، يقتضي القطع بنتائجها في معالجة هذه الأمراض، والعلوم الطبية علوم ظنية، لا تفيد هذه النتيجة المقطوع بها، واتباع هذه الوسيلة لعلاج هذه الأمراض، لا تدعو إليه الضرورة الشرعية أو الحاجة، لعدم تعينه لعلاج الأمراض والتشوهات الوراثية، وإن كانت مستعصية، وذلك لوجود وسائل كثيرة مباحة لعلاج هذه الأمراض والتشوهات، منها الجيني الذي يعالج الخلايا الجسدية، ومنها غير الجيني، وهذه البدائل لا تمنع منها أحكام الشريعة الإسلامية ●

**يتمثل العلاج الجيني للخلايا الجسدية، في إدخال حمض نووي ريبي ناقص أكسجين في هذا النوع من الخلايا**

## الهوامش:

١ ـ د.عبدالحافظ حلمي: تحسين النسل، بحث ضمن أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ص ١٥٢.

٢ ـ د.محمد الطيبي: أفق وحدود تكنولوجيا العلاج الجيني في المجتمعات الإسلامية، بحث ضمن أعمال الندوة السابقة ص ٣٤٦.

٣ ـ د.عبدالعزيز البيومي: أساسيات الوراثة والهندسة الوراثية، بحث ضمن أعمال الندوة السابقة ص ٦٠.

٤ ـ د.ثورية بنعزو: التناسل الانتقائي لتحسين الجنس البشري، بحث ضمن أعمال الندوة السابقة ص ١٧٣.

٥ ـ أفق وحدود وتكنولوجيا العلاج الجيني ص ٣٤٩.

٦ ـ الطفرة: تغير فجائي يطرأ على المادة الوراثية في الخلية، ينتقل بعد عملية الانقسام إلى الأجيال اللاحقة بصورة مطابقة للأصل، وهي نوعان: طفرات طبيعية، تحدث نتيجة للعمليات الطبيعية، كالانعزال والاتحادات الوراثية الجديدة، وطفرات صناعية، تحدث نتيجة التعرض للإشعاع أو استخدام المواد الكيمياوية ونحوها «د.محمد الربيعي: الوراثة والإنسان ص ٢٠٩».

٧ ـ د.رياض بيومي: التقدم الحديث في ميدان العلاج الجيني، بحث ضمن أعمال الندوة السابقة ص ٣٣٣.

٨ ـ المجح: هي المرأة الحامل التي قاربت الولادة، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده، وأخرجه أحمد والطيالسي في مسنديهما، والبيهقي وأبوداود والدارمي في سننهم، والطبراني في الكبير (المستدرك ٢/٢١٢، مسند أحمد ٥/١٩٥، مسند الطيالسي ١/١٣١، السنن الكبرى ٧/٤٤٩، سنن أبي داود ٢/٧٤٧، سنن الدارمي ٢/٢٩٩، المعجم الكبير ٢٢/٣٠٢).

٩ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده، وأخرجه ابن حبان في صحيحه وأبوداود وابن ماجة والنسائي والبيهقي والدارمي في سننهم، وقال الدارقطني بصحته (المستدرك ٢/٢٠٢، ابن بلبان: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦/١٦٣، سنن أبي داود «مع السنن الكبرى ٧/٤٠٣»، سنن الدارمي ٢/٧٦، ابن حجر: تلخيص الحبير ٣/٢٢٦).

١٠ ـ أخرجه مسلم في صحيحه ١/٧٩.

١١ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده «المستدرك ٢/٥٧».

١٢ ـ السيوطي: الأشباه والنظائر ص ٨٤.



حــوار

## قراءة إيمانية للجينوم البشري

# د. حسان حتحوت: الجينوم صورة مبسطة للحروف والكلمات وبعض الأخطاء المطبعية مثل الأمراض المستعصية!

حاوره: طه أمين

**الطبيب والمفكر الإسلامي د.حسان حتحوت الذي يشرف على أحد المراكز الإسلامية بالولايات المتحدة الأميركية يقدّم لنا عبر هذا اللقاء قراءة مختلفة لـ«الجينوم البشري»... فهو باحث في سياق الحوار بعيداً عن المصطلحات والتعقيدات بأسلوبه الإيماني المبسط والعميق.**



**● بداية... أسأله كيف نفهم قضية الجينوم بصورة إيمانية مبسطة يفهمها القارئ البسيط قبل العالم الجليل؟**

ـ نهجنا في تعلم اللغة على البدء بتعلم الحروف، ثم من هذه الحروف نصوغ الكلمات، ومن الكلمات نشكل الجمل، وهذه تتوالى لتكون سطوراً تملأ الصفحات لتفضي الى الفصول التي تجمع فتكون كتاباً كاملاً. والكتاب لا يعني شيئا في يد من لا يقرأ. فإذا تناوله القارئ فلابد أن يجتاز هذه الأدوار جميعها بدءاً بالحروف وانتهاء باستيعاب الكتاب جميعه والإحاطة بكل ما فيه من مبنى ومعنى.

لكن الكتاب قد يشتمل ـ فيما يشتمل ـ على أخطاء مطبعية ليست من أصله، لكنها تتسرب إليه في أثناء الطباعة على الماكينة أو عملية رص الحروف ومن هذه الأخطاء ما يقلب معنى الكلمة ويصرفها إلى معنى مغاير تماماً، فالأمل والهمل والعمل والجمل والأجل كلمات لم تختلف إلا في حرف واحد على تفاوت معانيها جميعها، بل قد يكون الاختلاف في حركة الحرف نفسه كهذا الذي أراد أن يقرأ قوله تعالى في سورة التوبة الآية ٣: (أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه) (بضم اللام) فجعلها «بريء من المشركين ورسولِه» بكسر اللام،

فما أقطع الفارق بين المعنيين.

والأبجدية التي نستعملها في كتابتنا العادية مكّونة من بضعة وعشرين حرفا، لكننا نعلم أنه من الممكن اختزالها دون قصور عن أداء المعنى، فنحن نعلم أن أبجدية إرسال البرقيات مكونة من الشرطة والنقطة فقط، لكن على ترتيب يمكننا من أن نكتب بهما الحروف الأبجدية العادية، وكذلك لغة الكمبيوتر قوامها الواحد والصفر لكن بتواليات وترتيب يحيلها إلى حروف عادية فكتابة مقروءة.

بهذه المقدمة نرجو أن نكون قد ضربنا مثلا يعيننا على الموضوع الذي نتصدى لبيانه فيجعله أيسر فهما وأقرب منالاً.

يستطرد قائلاً:

ـ قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يميز الإنسان على سائر الخلق بالعقل الذي هو مفتاح المعرفة، وأن يحفّز هذا العقل إلى قراءة الكون المخلوق فيزداد تعظيما للخالق. وراح عقل الإنسان على مدى التاريخ يدرس ويبحث، ويميط كل يوم لثاماً ويكشف كل يوم سراً، حتى تحصل للإنسانية بمرور الدهور تراث ضخم من المعرفة، امتاز في العقود الاخيرة بالتسارع لدرجة مذهلة،فقد حصلت الإنسانية في القرن الاخير قدر ما حصلته في تاريخها الطويل، واليوم يقدرون أن المعرفة الإنسانية تتضاعف كل خمس سنوات، ويتراخى عصر الثورة الصناعية ليفضي إلى عصر الثورة المعلوماتية الذي دخله العالم منذ عقود وإن ظلت بعد شعوب لم تستيقظ من رقدة العدم فمآلهم في زريبة المستقبل، تحتلب ألبانهم وتمتص دماءهم وتنتهب خيراتهم ويقتصر دورهم على تحقيق مطامع السادة أصحاب السيادة.

لكن العجيب أن استقراء الإنسان للكون لم يبدأ بالحروف فالكلمات فالجمل كما ذكرنا في تمثيلنا بتعلم اللغة. لكن العملية سارت في الاتجاه المضاد. فقد فتح الإنسان عينيه على الكون فوجده كتاباً كاملاً وإنجازاً جاهزاً لا يعرف أصله ولا يدري فصله، على المعنى الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) الكهف: ٥١.. وعلى مدى تاريخ العلم كان التقدم يقاس بمدى قدرة العقل على أن يعود القهقري في تفحص الأشياء والتسلسل إلى أصولها، والأمثلة على ذلك كثيرة، مثلما فكك علم الكيمياء الأجسام إلى الجزئيات فالذرات، ورد علم الطبيعة المادة الى الطاقة، ورد علم الكون إلى نظرية الانفجار الأول العظيم (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) الانبياء: ٣٠، واصل كل شيء حي إلى الماء، فهو يسير من الكل إلى أجزائه ومن المجمل إلى تفصيلاته ومن المركب إلى مكوناته، ولم تشذ عن ذلك دراسة الإنسان للإنسان، فهو يعود بالإنسان كتاباً إلى الإنسان حروفاً إن اهتدى إليها فقد استطاع أن يقرأ الإنسان قراءة جديدة وستكون قراءة فريدة.

## تعرف الإنسان إلى الإنسان

### ● كيف يتعرف الإنسان إلى الإنسان؟

ـ أول ما عرف الإنسان عن نفسه صورة ظاهرة وبدنا ذكرا؟ أو أنثى وملامح تميزه على الاخرين. ثم كانت الإصابات في السلم او الحرب نافذة له على الأعضاء الداخلية وخصوصاً عندما نشأت فكرة التحنيط بعد الموت. وزادت الدراسة تفصيلا عندما قام علم التشريح والتشريح المقارن. واخترع المجهر فبين أن أنسجة الجسم جميعها تتكون من خلايا، وفي كل خلية نواة هي المسؤولة عن حياة الخلية ووظيفتها.

وتقدمت الدراسات فأبانت أن نواة كل خلية تشتمل على الحصيلة الإرثية، بدءاً بما كان منها منوطاً بالخواص المشتركة بين البشر جميعهم أو بين السلالات المتقاربة، وانتهاء بالتفصيلات التي تميز كل شخص فتدل عليه فرداً بذاته لا يطابقه فرد آخر من الناس منذ بداية الإنسانية وحتى نهايتها.

وهذه المادة الإرثية معبأة في نواة الخلية في صورة ثلاثة وعشرين زوجا (فرد من الآب وفرد من الأم) من أجسام صغيرة اسمها «الكروموزومات». وأمكن التعرف إليها حسب تسلسلها من الزوج الأول حتى الزوج الثالث والعشرين. ثم اكتشفت العلاقة بين طائفة من الأمراض (الوراثية) وبين اختلالات تصيب الكروموزوم. وكان أول ما اكتشف بطبيعة الحال الاختلافات في العدد، فإذا زاد «كروموزوم» واحد على «الكروموزومين» اللذين يحملان رقماً معيناً في سلم الترتيب نتج من ذلك مرض كذا من الأمراض الوراثية. وإذا نقص «كروموزوم» فبقي من الزوج فرد واحد فهي إمارة مرض كذا، مثال ذلك مرض الطفل المنغولي سببه أن هناك «كروموزوما» إضافياً رقمه ٢٢ (أي ثلاثة لا إثنان) ومثل مرض تيرنر حيث يختفي أحد «الكروموزومين

## باحثون يزعمون بعض الجين يدفع لإدمان الخمر وآخر للانحراف الجنسي

المؤنثين». لكن الخلل قد يكون غير نقصان العدد أو زيادته، فإن غياب قطعة من «كروموزوم» أو حتى انقلاب عاليها سافلها يسبب امراضا، فلما امكن تقسيم «الكروموزوم» إلى مناطق كما ترسم خطوط التدرج على المسطرة (وأن تكون على الكروموزوم غير متساوية) أمكن رد كثير من الامراض ليس فقط إلى«الكروموزوم» عموماً بل إلى منطقة صغيرة منه.

ومعلوم أن «الكروموزوم» تقبع في النواة وقد اختصرت طولها بأخذ شكل لولبي محكم، إذا فردناه وجدناه سلسلة من مركبات أدق تعرف بالجينات وهي وحدات الوراثة كما أن تقرر أداء الخلية لوظائفها الحيوية، فإذا استطعنا ربط مرض بعينه بمنطقة من «كروموزوم»، فإن هذه المنطقة على قصرها تشتمل على ألوف من الجينات ولا يزال علينا أن نعرف أي واحد منها هو المسؤول أي هو المعيب، وذلك إذا أردنا أن نحدد التشخيص الدقيق الذي هو أساس العلاج المجدي.

ويتكون «الجين» بدوره من حمض «النوويك» وهو بدوره يتركب من زوجين من القواعد لكل منهما حمضان أمينيان متعاشقان، لا يتعاشق كل إلا مع وصيفه، وهذه الاربعة هي في الواقع حروف لغة الحياة وبطريقة تكرار القواعد تكون الرسالة. هذه الاحماض الأمينية الأربعة (أدنين، ثايمين، سيتوزين، وجوانين) هي النقطة والشرطة للتلغراف، وهي الواحد والصفر للكمبيوتر، وكل زوج منهما يشبه درجة على سلم حلزوني طويل أو زنبرك مزدوج، فهذا هو الشكل الفراغي لجزيء حمض «النوويك» الذي اكتشفه العالمان «واسطن، وكريك» العام ١٩٥٣م وحصلا بذلك على جائزة نوبل.

وتحدث الغلطة المطبعية، إن اختلف التركيب فحل محل أحد الأحماض الأمينية حمض أميني آخر من بين المئة الف حمض التي يتركب منها جسم الإنسان. ويترجم هذا الخطأ بحدوث مرض، أو بوجود الاستعداد لمرض معين، إما في الحال أو في الاستقبال.. وينتج هذا الخطأ إما موروثا من جيل سابق وإما طفرة في أحد الجينات خلال التكوين.

إن في جسم الإنسان تريليونات كثيرة من الخلايا في نواة كل منها ستة وأربعون «كروموزوما»، تنتظم نحو مئة الف جين، مؤلفة من نحو ثلاثة بلايين زوج من القواعد التي أسلفنا ذكرها فهذه هي التي يقصد العلماء قراءتها وترتيبها كما هي (واكتشاف المعيب منها) واستيفاء المعلومات الجينية التي لو كتبت لملأت عشرة مجلدات، لكن في التسجيل على الكمبيوتر تيسيرا. يريد العلم إذن أن يقرأ الإنسان على المستوى الجزيئي، فيما يسمى بمشروع قراءة الجينوم البشري.

## الجينوم البشري

### ● ماذا تعني كلمة الجينوم البشري؟

- كلمة «جينوم» مركب مزجي من كلمتي «جين» و«كروموزوم»، ويعبر بها عن كتلة المادة الوراثية جميعها لكنها مسجلة تفصيليا بحروف هجائها الأساسية التي ذكرناها. والمشروع طموح وضخم، رصدت له اميركا خمسة بلايين من الدولارات وقدرت إنه يستمر السنوات الخمس عشرة المقبلة، لكنا مقدرون للمشروع أن يتم قبل ذلك، أولاً لأن الدول التي لديها الإمكانات قد تقاسمته فكل دولة تقرأ الجينوم البشري أقل أو أكثر، وثانيا لأن تقنيات جديدة تخدم المشروع تبتكر كل يوم، وجزء من الميزانية مرصود لابتكار هذه التقنيات الجديدة.

وقد بدأ الامر باكتشاف خمائر تستطيع أن تقطع شريط حامض «النوويك» في مناطق معينة وخمائر تستطيع أن تلحم في الشريط قطعة أخرى (القطع والوصل)... ثم صار بالإمكان فصل جين بعينه واستزراعه للحصول على المركبات التي يفرزها او حتى زرعه في مكان جين مثله معطوب.. والتقدم العلمي في هذا الباب يسير بسرعة مذهلة. وقد تكون له آثار مهمة على حياتنا كما ألفناها، ولذلك خصصت ثلاثة في المئة من الميزانية لدراسة النواحي الأخلاقية والآثار الاجتماعية والمحاذير المرتقبة عندما يتم هذا الإنجاز.

### ● كيف نقرأ الجينوم جيداً؟

- للوصول إلى قراءة الجينوم البشري جيداً تجرى قراءة عينات من عدد كبير من الناس، فالبشر يشتركون في الجينوم الإنساني، وجينات السمات المعينة كلون العين أو طول القامة أو غيرها تأخذ الموقع نفسه على «كروموزوم» وإن تباينت دلالتها، ورغم هذا التطابق الهائل بين جميع البشر فإن تفرد شخص بذاته بما يميزه عن سائر الخلق يكمن في نحو ٢ الى ١٠ ملايين من بين ثلاثة البلايين من الوحدات القاعدية التي تكون «الجينوم»، والتي لو تسنى لنا ان نفردها لكانت خيطا طوله ستة أقدام محشواً داخل النواة على هيئة «الكروموزوم» الستة والأربعين.

أما اكتشاف «جين» مرض بعينه فيتم بالوصول الى معرفة «الجين» الذي ينفرد به المرضى بهذا المرض

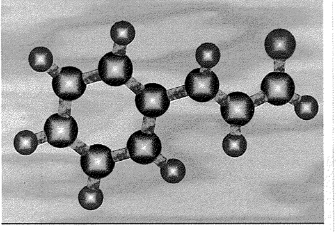
مختلفا في تهجيته عن الجين نفسه في الأسوياء.

ولابد من الإشارة هنا الى أن حمض «النوويك» الذي يشكل أجسامنا هو بذاته حمض «النوويك» الذي يشكل أجسام بقية الكائنات الحية، سواء كان مكروباً أو حشرة أو طيراً أو حيواناً، إذن فليست طينتنا هي التي تجعلنا بشراً.

### ● لماذا مشروع الجينوم؟

- العلم لا يقبل التوقف عند حد، وعلى هذا جبل الإنسان، وشهية الإنسان للمعرفة طاغية، فكلما قيل لها: هل امتلأت؟ قالت: هل من مزيد؟ واليوم يتصدى الإنسان لرد وظائفه الحيوية الى أصولها الكيماوية، ورد صفاته وسماته وصحته ومرضه الى جيناته وجزئياتها. وبغير ذلك لن نصل الى قرار الستة آلاف مرض من الأمراض الوراثية التي تصيب الإنسان أو تسبب قابليته لمرض من الأمراض يعتريه في الحال أو في الاستقبال حتى بعد عقود من حياته، فهي الخطوة الأولى ربما لدرء هذه الأمراض أو التوقي منها أو على الأقل توقعها والأهبة لها، وذلك على مدى واسع من أمراض القلب وأنواع السرطان وغيرها وغيرها، وخصوصاً تجاوز العلم عتبات العلاج الجيني، سواء بالجراحة الجينية التي تزيح جينا معطوبا وتضع مكانه مثيلا سويا، وكأنها تستبدل مسماراً بمسمار في ماكينة، أو باستخلاص جين سوي من إنسان سوي وزرعه والحصول على افرازاته وإعطائها كدواء لمريض جينه لا يفرز هذا الإفراز. وسيتسنى كذلك دراسة العوامل البيئية المختلفة كالإشعاعات

أو العقاقير والمواد الكيمياوية على الجينات لنرى ماذا تفعل وكيف تفعل. ومنذ السبعينيات اكتشفت«الهندسة الوراثية».



## الجين حاضر معلوم ينبئ بقادم محتوم

ودخلت إلى حيز التنفيذ صناعة غرس جين ذي وظيفة معينة في كائن من جنس آخر ليؤدي الوظيفة نفسها، كما هو معلوم من زرع جين الإنسان الذي يسبب إفراز الأنسولين في نوع من البكتريا وتركه يتكاثر فينتج كميات كبيرة من الأنسولين البشري الذي يفوق كثيراً الأنسولين ذي الأصل الحيواني في علاج مرضى السكر، أو الحصول على هرمون النمو من الجين الذي يفرزه لعلاج الأطفال من مرض قصور النمو الذي يؤدي الى قصر القامة، أو تحضير المادة المفقودة في مرضى الهمفوليا والقاصر الذي يعوق تجلط الدم فيؤدي إلى النزيف، أو مادة الانترفيرون التي تستعمل في علاج بعض السرطانات، أما التطبيقات في عالم الزراعة أو تربية الحيوان فهي معنا كل يوم، والمستقبل أسخى من الحاضر.

### ● ماذا عن المخاوف والمحاذير؟

- الواقع أنا لديَّ تساؤلات كثيرة... هل في صالح الإنسان أن يعلم عن نفسه أموراً نعتبرها الآن في حوزة المستقبل؟ وما شعوره إن علم أنه سيموت في سن الاربعين، أو أنه سيصاب بمرض شلل العضلات الذي يظهر في سن الخمسين؟ليس هذا رجما بالغيب بطبيعة الحال ولا ادعاء لمعرفة المستقبل، ولكنه كما ترى الهلال في أول الشهر فتقول إنه سيكون بدراً بعد أسبوعين. فقراءة الجين حاضر معلوم ينبئ بقادم محتوم. فما مذاق الحياة إن علم المرء ذلك وخاض حياته يترقب مصيره المعلوم، «ووقوع البلاء خير من انتظاره «كما تقول الحكمة العربية. ومن غير المتوقع في القريب أن يدبر لكل من هذه الأمراض علاج، ويظل الطب عالماً بالتشخيص ولكن عاجزاً عن العلاج. ويظل المريض حائراً، أيتزوج أم يحجم؟ وينجب أم يمتنع؟ ويهلع أم يطمئن؟

- وماذا لو شاءت الحكومة أو جهات العمل الأخرى أن يكون من بين إجراءات الكشف الطبي عند التعيين قراءة جينوم الشخص طالب الوظيفة، فوجدت عنده جينا ينبئ عن القابلية لمرض القلب أو السرطان أو غير ذلك؟ أترفض تعيينه فيكون هناك تعصب ضد هؤلاء الناس أشبه بالتمييز العنصري، وإن يكن على أساس الصحة لا على أساس الجنس أو اللون؟ وهل هذا عدل؟

- ومثل ذلك أن تشترط شركات التأمين الصحي أو التأمين على الحياة أن تطلع على الجينوم فترفض أو تقبل على أساس الاحتمالات الصحية في المستقبل، علماً بأنه ليس من اللازم أن يصاب كل ذي جين معيب بالمرض، ففي حالات كثيرة يحدث المرض بسبب تفاعل هذا الجين مع مؤثرات خارجية (بيئية) قد لا تصادف المريض فينجو بذلك من المرض.

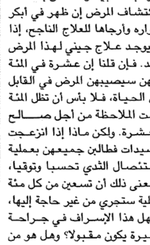
- وما مدى إمكان صيانة المعلومات الجينية، وهي من خصوصيات الشخص الداخلة في نطاق حفظ سر المهنة، وهي مسجلة على قرص الكمبيوتر تتناولها أيادٍ غير طبية ويسطو عليها المتطفلون من الناس أو الهيئات أو الشركات أو الحكومات؟ فهو تجسس لا يجوز.

- فإذا تسربت المعلومات، فهل يفضي ذلك الى دمغ هؤلاء الناس بآفاتهم ووسمهم بعلاتهم حتى لو كانت مجرد احتمالات قد لا تجيء أبدا؟

- وإذا أظهر الفحص أن هناك آفة من الآفات التي تسري في العائلات وأريد التحقق من وجودها - أو عدم وجودها - في الأقارب، فهل يعد ذلك مسوغا لفض سر هذا الشخص إلى أقاربه لفحصهم؟ وهل تسمح الأخلاقيات الطبية بإبلاغهم بذلك؟ علما بأنهم قد يفضلون ألا تفتح عليهم هذه الجبهة ويختارون أن تسير حياتهم في مسارها العادي الذي قسمه الله دون أن يضيفوا إليها هماً جديداً!.

- وفي مجال التطبيق ستبدأ قراءة الجينوم في الحالات موضع الشبهة بحكم تاريخها الأسري الوراثي مثل السيدات اللاتي أصيبت أمهاتهن أو جداتهن أو أخواتهن بمرض سرطان الثدي على سبيل المثال، لمعرفة وجود هذا المرض في «جينومهن»، وهو «جين» تم العثور عليه حديثا. فإذا اكتشفت السيدات المرشحات لهذا المرض نصح الطب بأن يكن تحت

المراقبة الطبية والفحص بالأشعة لاكتشاف المرض إن ظهر في أبكر أدواره وأرجاها للعلاج الناجح، إذا لا يوجد علاج جيني لهذا المرض بعد. فإن قلنا إن عشرة في المئة منهن سيصيبهن المرض في القابل من الحياة، فلا بأس أن تظل المئة تحت الملاحظة من أجل صالح العشرة. ولكن ماذا إذا انزعجت السيدات فطالبن جميعهن بعملية استئصال الثدي تحسبا وتوقيا، فمعنى ذلك أن تسعين من كل مئة عملية ستجري من غير حاجة إليها، فهل هذا الإسراف في جراحة كبيرة يكون مقبولا؟ وهل هو من الصالح العام والطبابة الحكيمة؟



**القضية تقتضي ضوابط وتشريعات أخلاقية ودون ذلك يكون الجينوم مثل المارد الخارج من القمقم هيهات أن يعود إليه!**

- أما في مجال التكاثر البشري فستتيح قراءة «جينوم الجنين» معرفة عاهات الجنين الحالية ومعرفة آفاقه التي تنتظره في مستقبله القريب أو البعيد، ولو بعد عشرات السنين. وسيزيد بذلك زيادة كبيرة جداً إجراء الإجهاض في البلاد التي تسمح بالإجهاض.. حتى ولو كانت العلة هينة، وحتى لو كانت ستظهر في سن الاربعين أو ما فوق، مع أن حياة طولها أربعون أو خمسون سنة يمكن أن تكون حياة مفيدة وخصبة ومجدية.

- ومع استكمال قراءة الجينات وإمكانيات إبدالها فماذا لو رغب الوالدان في طفل يحمل سمة معينة مثل طول القامة، فهل هو مسوغ مقبول؟ وإذا انتشر ذلك، فهل يؤدي إلى تغيير المقاييس الحيوية السوية في المجتمع؟، حيث تصبح الأقلية غير طويلة القامة خارج النطاق السوي، وينظر إليهم على أنهم ذوو عاهة ويتعرضون للتمييز في العمل أو في الزواج أو في الاعتبار الاجتماعي؟

- وهل في صالح المجتمع أن ينجب أطفاله حسب المطلوب لا حسب المقسوم، وأن تكون سماتهم صناعية لا طبيعية؟ أفلا يزري ذلك إذن بهذه المواليد فكأنها مصنوعات تصنع وحسب المواصفات، وربما يختارها من الكاتالوج، لا عطية من الله حسب حكمته ونواميسه ومشيئته للإنسان على المدى الطويل والبعيد الذي لا يمتد إليه بصر الإنسان ولا يدركه العلم بعد؟ حسب سنة الله في خلقه إذا اختلت فقد تؤدي إلى هلاك ودمار ما له من فوت.

- ولقد بدأ الحديث من الآن عن الجينات السلوكية. قال باحثون: إن هناك جيناً يدفع لإدمان الخمر وإن هناك جيناً يدفع للانحراف إلى الشذوذ الجنسي، وهي مزاعم لم تثبت للآن. ولكن إذا ثبت، فهل تصلح شافعاً لأصحابها يدفع عنهم اللوم أو التجريم؟ في منظورنا أن الأمر عكس ذلك، فمن كان لديه جين الخمر وجب أن يبتعد عنها، وألا يقع فيها، وأن يجتنب مجالسها بادئ ذي بدء، حتى لا يتكون الإدمان أصلاً. ومن كان لديه جين اللواطة وجب أن يعالج بوساطة العلاج النفسي المناسب، وهو ما كان عليها الحال حتى العام ١٩٧٢م حين أعلنت الجمعية الأميركية لأطباء الأمراض النفسية أن الانحراف الجنسي اتجاه طبيعي عند أهله ولا يعد مرضاً يعالج أو عيباً يشين، فكان ذلك من المؤشرات المبكرة على تغلغل هذه الطائفة في دروب المجتمع وطوائفه، حتى أصبحت موجة سياسية يعمل لها ألف حساب، وهي عندنا مسألة محسومة، لأن الإسلام يقضي بكبح جماح النفس ونهيها عن الهوى، وليست المسألة ـ كما يتنادون ـ «كن ما أنت»، ولكن «كن ما يجب أن تكون».

- ويمتد الحديث كذلك الى تحسين السلالة البشرية بزرع «جينات شيم» مرغوب فيها، فيزرع في الجبان جين الشجاعة، وفي العنيف جين الوداعة وهكذا، وحتى يومنا هذا يعد ذلك من قبيل الاستقراء العلمي لا الواقع العملي، ولو جاء فهو منزلق خطير إذ يكون العلم قد جاوز التحكم في الطبيعة إلى التحكم في الإنسان وأساس تفرد الإنسان هو أنه حر الاختيار وهو لهذا مسؤول عما يختار، وأي عبث بشخصية الإنسان يغير من أهليته للمسؤولية الفردية هو إهدار للإنسانية ذاتها لا يجيزه الإسلام بحال من الأحوال.

كل هذه الأسئلة تشغل بال العلماء والأطباء والمفكرين والأخلاقيين والمشرعين من الآن، ومهما اشتدت الحيرة واضطرم القلق فلن يحاول أحد أو يقدر على إيقاف التقدم العلمي. لكن المطلوب هو إيجاد الضوابط والتشريعات والأخلاقيات التي تنظم المنجزات المقبلة لا محالة، من قبل أن تحل بنا فإذا المحظور قد وقع وليس إلى دفعه من سبيل، وإذا المارد قد خرج من القمقم وهيهات هيهات أن يعود إليه ●



طب

## أمراض فيروسية شائعة

# الحصبة والجدري وحمى الغدد

بقلم: د.عبدالرحمن عبداللطيف النمر



في الخمسين عاماً الماضية، انخفضت نسبة الإصابة بالأمراض المُعدية في المجتمعات المتقدمة لدرجة كبيرة، كما أمكن القضاء تماماً على عدد غير قليل من تلك الأمراض، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة مثل ارتفاع مستوى المعيشة وتحسن طبيعة ونوع الغذاء، وانتهاج سياسة التطعيم «التحصين» الإجباري. إلا أن أهم أسباب نجاح المجتمعات المتقدمة في القضاء على الأمراض المعدية هو تحسن المستوى الصحي العام وارتفاع مستوى النظافة الشخصية.

في المقابل، فلا تزال الأمراض المعدية تفتك بملايين الضحايا كل عام في المجتمعات المتخلفة، وخصوصاً من الأطفال. وعلى الرغم من تعدد الأسباب في هذه الحال، إلا أن أهم الأسباب يبقى تدني المستوى الصحي العام، وانخفاض مستوى النظافة الشخصية.

وليس من قبيل التدليل على صحة المقارنة فحسب، ولكن من قبيل الحض على النهوض بالمستوى الصحي العام، والارتفاع بمستوى النظافة الشخصية، واللارتفاع بمستوى النظافة الشخصية، فإننا نعرض لبعض الأمراض الفيروسية الشائعة في كل المجتمعات، والتي تمر في مجتمع متقدم مروراً عابراً، بينما تؤدي في مجتمع متخلف إلى مضاعفات خطيرة من بينها الموت.

### الحصبة

أغلب إصابات الحصبة تقع بين الأطفال في العام الأول من العمر، وأغلب الوفيات كذلك، نتيجة المضاعفات، تكون في العمر نفسه.

بعد فترة حضانة تصل إلى عشرة أيام، يبدأ المرض بصورة مماثلة لنزلة زكام أو انفلونزا، فيكون هناك رشح من الأنف مع عطس متكرر، واحتقان في العينين مع تدميع «نزول دموع» والتهاب في الحلق يؤدي إلى صعوبة في بلع الطعام وإلى بحّة في الصوت، مع سعال جاف و«كحة» تظهر في «فترة الحضانة»، وهي الفترة الزمنية المنقضية بين دخول الفيروس إلى الجسم وبين ظهور أعراض وعلامات المرض.



• في مرض السعال الديكي يؤدى إلى نزيف تحت قزحية طبقة الملتحمة في العين •

في اليوم الثاني من المرض، تزداد حدة الأعراض المذكورة، ويكون الطفل عصبياً بائساً صعب إرضاؤه. كما يتضايق من الضوء بسبب شدة احتقان العينين.

هذه المرحلة من المرض تعرف باسم «طور النزلة»، وتستمر ثلاثة أو أربعة أيام، ويكون الطفل في أثنائها مُعْدياً لغيره بشدة، إذ يخرج الفيروس مع جميع إفرازات الأنف والفم والعينين، لذا من الممكن انتقال العدوى في هذه المرحلة إلى طفل أخر «أو شخص بالغ» لم يصب بالحصبة من قبل، ولم يتحصن «يتطعم» ضدها.

في اليوم الثالث أو الرابع من المرض، يبدء «طور الطفح» بظهور بقع صغيرة

حمراء اللون على الجلد خلف الأذنين، وفي الجبهة، وفي غضون ساعات قليلة يغطي الطفح سطح الجسم كله مع تركيز في الوجه، وعادة ما يصاحب ظهور الطفح الجلدي ارتفاع ملحوظ في درجة حرارة الجسم «حمى» وزيادة في الشعور بالإعياء.

بعد يومين أو ثلاثة من ظهور الطفح، يصبح لون البقع على الجلد داكناً «مائلاً إلى البني» ويكون تغير لون بقع الجلد إيذاناً ببداية اختفائها التدريجي على مدى ثلاثة إلى سبعة أيام، ومع بداية الطفح في الاختفاء، تبدأ الحمى في الانخفاض ويشعر الطفل بالتحسن، وبعد زوال الطفح، يتقشر الجلد، ويسترد الطفل عافيته، ومع العافية، يكتسب الطفل مناعة طويلة المدى ضد الحصبة.

هذا هو خط السير الطبيعي للمرض، لكن في ظروف معينة، مثل إهمال النظافة والعناية بالطفل، يمكن أن تحدث عدوى إضافية ـ نتيجة ضعف الجسم بتأثير المرض ـ بأنواع متعددة من الميكروبات، وبخاصة البكتريا، ويمكن أن تؤدي العدوى الإضافية «أو الثانوية بالتعبير الطبي» إلى حدوث التهاب في الأذن الوسطى «يمكن أن يؤدي إلى الصمم» وحدوث التهاب في الرئتين «يمكن أن يؤدي إلى الموت»، وحدوث تقرح في قرنية العين «يؤدي إلى ضعف الإبصار»، وحدوث التهاب في المخ «يؤدي إلى الشلل أو إلى التخلف العقلي أو إلى الموت». ويمكن أن تحدث هذه المضاعفات كلها في الوقت نفسه عن مريض واحد.

الواضح إذاً أن «الحصبة» في حد ذاتها ليست مرضاً خطيراً ولا قاتلاً، وإنما الخطورة تأتي من المضاعفات، والمضاعفات مترتبة إلى حد بعيد على مستوى النظافة الشخصية ونظافة البيئة.

وللوقاية من الحصبة يعطى الأطفال في العام الثاني من العمر جرعة من المصل الواقي «الطعم» من المرض، تؤدي إلى مناعة طوية الأمد.

## الجدري

هذا المرض الفيروسي هو كذلك من أمراض الطفولة، إذ تكون أغلب الإصابات بين الأطفال دون العاشرة من العمر، و«الجدري» مثله مثل الحصبة مُعدٍ بشدة.

بعد فترة حضانة تتراوح بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، يبدأ المريض بالشعور العام بالتعب مع ارتفاع طفيف في درجة حرارة الجسم، يصاحب ذلك ظهور بثور في تجويف الفم، أو قد يكون هناك التهاب في الفم.



● في مرض النكاف يتورم الخد جهة الغدة المصابة ●

في اليوم الثاني من المرض، يظهر الطفح المميز على هيئة بقع متناثرة على أعلى الصدر، وفي غضون ساعات تظهر بقع مماثلة على الوجه، ثم على الأطراف «الساعدين والفخذين». وبشكل عام فإن الطفح في حال المرض بالجدري أقل غزارة وانتشاراً منه في الحصبة، لكن على النقيض من طفح الحصبة الذي يبقى على هيئة بقع حمراء إلى أن يختفي، فإن طفح الجدري يتحول إلى بثور ثم إلى حويصلات «أكياس أو دمامل صغيرة»، وتكون الحويصلات سطحية بحيث تنفجر لمجرد ملامسة الملابس لها، وعندما تنفجر الحويصلات تتكون قشور مكانها، وبسقوط القشور يكون المرض انقشع.

في أي موضع من الجلد، تظهر جميع أطوار طفح الجدري من بقع، وبثور، وحويصلات، وجميع هذه الأطوار معدية، لذلك يسهل انتقال العدوى في غياب النظافة.

وعادة يكون المرض معتدلاً، أي لا يسبب إعياءً شديداً للمريض، كما في الحصبة، وينتهي دون أحداث تذكر، إلا أن عامل الاهتمام بالمستوى الصحي والنظافة الشخصية قد يتدخل، في حال الإهمال، يؤدي إلى حدوث مضاعفات وتتمثل المضاعفات في هذه الحال في حدوث «التهاب رئوي»، و«التهاب الكليتين»، والتهاب المخ، والأعصاب، وأي واحد من هذه المضاعفات يمكن أن يؤدي إلى الوفاة.

هذا ولا يوجد مصل للتطعيم ضد الجدري، لكن توجد أجسام مضادة للفيروس «عادة تؤخذ من جسم إنسان اكتسب مناعة ضد المرض نتيجة إصابة سابقة به»، يمكن حقنها في جسم من يتعرض لخطر الإصابة بالجدري بوجه خاص، مثل مرضى سرطان الدم، والمرضى الذين يتعاطون «هورمون كورتيزون».

وكما في الحصبة، فإن الإصابة بالجدري تؤدي إلى اكتساب مناعة طويلة الأمد ضد المرض.

## حمى الغدد

مثل الحصبة والجدري، فإن حمى الغدد مرض فيروسي حاد ولكنه حميد، ويكثر هذا المرض بين المراهقين، وتنتشر العدوى من خلال التلامس بالفم «لهذا يسمى المرض كذلك مرض القبلات».

فترة الحضانة تتراوح بين أسبوع إلى عشرة أيام، يبدأ المريض بالشعور بالتعب والإعياء، يصاحبه صداع وفقدان للشهية، وارتفاع في درجة حرارة الجسم، ثم يلتهب الفم والحلق، وتتضخم الغدد الليمفاوية السطحية، ابتداء بالغدد الواقعة في آخر العنق، وهذا هو السبب في الاسم «حمى الغدد».

في أثناء الأيام العشرة الأولى من ظهور أعراض المرض ـ وهو عادة يطول أسابيع عدة ـ يظهر طفح على الجلد يشبه طفح الحصبة، لكنه أقل حدة وانتشاراً، ويصاحب ظهور الطفح الجلدي تضخم الطحال، وحدوث التهاب طفيف في الكبد، يمكن أن يؤدي إلى «اليرقان» أو «الاصفرار» عند بعض المرضى.

أسوأ ما في حمى الغدد التهاب الحلق، الذي يمكن أن يصل إلى درجة من الحدة تجعل التنفس صعباً للغاية، مما يستلزم إدخال المريض إلى المستشفى للعلاج.

مريض حمى الغدد يجب أن يلزم الراحة التامة ـ في الفراش إذا لزم الأمر ـ لأسباب عدة منها: أن المرض يؤثر على القدرة على التركيز وعلى الاستيعاب، لذلك لن يستفيد المريض من الذهاب إلى المدرسة على أي حال، كذلك فإن الطحال يمكن أن ينفجر بسهولة نتيجة صدمة طفيفة، لما يحدث عادة في مزاح الصبية وألعابهم، ثم هناك احتمال نقل المرض إلى شخص سليم، عبر إفرازات الفم.

عادة يشفى المريض خلال أسابيع قليلة، إلا أن احتمال حدوث مضاعفات وارد، خصوصاً في أحوال مثل تلك التي سلف ذكرها، وتتمثل المضاعفات هنا في امتداد فترة المرض إلى أشهر عدة «بدلاً من أسابيع عدة»، مما ينهك المريض تماماً وربما يوصله إلى الحد الذي قد يودي بحياته، ومن النادر أن يحدث «التهاب السحايا»، أو التهاب المخ في الأحوال العادية، لكن في ظروف الإهمال الصحي تصبح هذه المضاعفات واردة.

ليس هناك مصل متوافر للوقاية من «حمى الغدد»، لكن يمكن توقي الإصابة من المرض أصلاً، باتباع تدابير النظافة الشخصية بانتظام، وفي حال الإصابة بالمرض، يمكن تخفيف حدة الأعراض بالخلود إلى الراحة والاهتمام بالنظافة للتدليل على دور النظافة ومراعاة التدابير الصحية في منع ـ أو تقليل احتمال ـ الإصابة بحمى الغدد، فإننا نذكر أن المريض يبقى مُعدماً لفترة قد تطول إلى ثمانية عشر شهراً بعد شفائه من المرض! ●



تظهر بقع على بطانة الفم قبل ظهور الطفح الجلدي في مرض الحصبة ●



دراسات اجتماعية

# الإدارة بالقيم مفهوم نطمح إليه

بقلم أحمد عبدالعظيم محمد باحث إسلامي. دار الكتب والوثائق القومية - مصر



منذ أن بدأ الاهتمام بالإدارة كأحد علوم العصر التي تسهم في إقامة الحضارات وتنظيم المجتمعات، عرف الفكري الإداري عشرات النظريات نذكر منها:

النظرية البيروقراطية.

نظرية الإدارة العلمية.

نظرية المنهج الوظيفي.

نظريات الإدارة الكمية.

نظرية الإدارة بالأهداف.

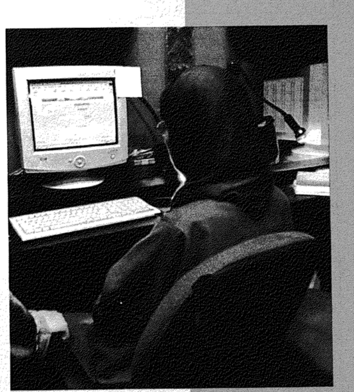
نظرية الإدارة بالمواقف.

نظرية الإدارة بالنظم.

لكن هذا الفكر لم يعرف بعد مفهوم (الإدارة بالقيم) والذي عرف في المنهج الإسلامي تطبيقاً في دولته الإسلامية التي تكونت وعاشت منذ ظهور الإسلام.

ولنحاول من خلال هذا المقال التعرف إلى ملامح هذا المفهوم في ضوء الأهداف التي تسعى إليها الإدارة في المجتمعات الإسلامية.

لا شك أن الهدف الاستراتيجي للإسلام هو إخلاص العبودية لله، وعلى ضوء هذا الهدف تتحدد كل أهداف النظم الأخرى في المجتمع الإسلامي سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو إدارية أو... إلخ. ومن ثم فإن أهداف النظام الإداري لابد أن تتماشى مع هذا الهدف الاستراتيجي وتساعد على تحقيقه، مع إدراك أن تحقيق هذا الهدف يخدم كثيرا النظام الإداري.. إذ إن هدف أي نظام إداري هو تحقيق الرفاهية والاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، وهو ما يطالب به الإسلام ويدعو إليه، كما أن كل أهداف الدراسات الإدارية الحديثة تنص على جعل الإنسان قادراً على تأدية واجبه بإخلاص وأمانة من أجل إقامة عالم أفضل، وهذا لن يتأتى في المجتمع الإسلامي إلا بتربية المسلم على خشية الله وتقواه.



إن الأهداف التي تسعى الإدارة لتحقيقها مهما اختلفت أشكال التنظيمات التي تقودها يمكن أن نحددها فيما يلي:

١ - الإنتاج.

٢ - الابتكار.

٣ - الربحية.

٤ - التنمية الإدارية.

٥ - الاهتمام بالعلاقات الإنسانية.

٦ ـ الإسهام في تنمية المجتمع.

وكل هذه الأهداف يقرها المنهج الإسلامي، ولكنه يضع لها سياجا من القيم يحميها من الانحراف.

* فالإسلام وهو يدعو إلى العمل وزيادة الإنتاج يشترط أن تكون الوسائل مشروعة:

يقول تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة ـ آية ٢).

ومن ثم فلا تسخير ولا استغلال ولا إهمال للجوانب الإنسانية في العمل، ومبدأ المشروعية يحدد ما يمكن إنتاجه وما لا يمكن إنتاجه، وما يمكن إشباعه وما لا يمكن إشباعه.. فلا فائدة في زيادة إنتاج يضر بالمجتمع حتى ولو كان يحقق عائداً اقتصادياً (إنتاج الخمور مثلا).

وعليه فإن «الميكافيلية» والدعوة إلى أن الغايات تبرر الوسائل هي دعوة مرفوضة في الفكر الإسلامي لأنها محاولة لتقنين المعصية وقتل القيم، إذ إن الغايات العظيمة يلزم للوصول إليها وسائل شريفة.

وإذا كانت زيادة الإنتاج كهدف أسمى للحضارة المعاصرة تتطلب القضاء على كيان الأسرة وسحب الآباء والأمهات إلى دوامة العمل، وترك الأبناء بعيداً عن الرعاية يرضعون الحياة المتشردة، ويمضون إلى المستقبل محملين بمشاعر الفردية والأنانية والقسوة والتنافس على الماديات فهذا ما لا يرضى الله ورسوله ولا المؤمنين عملاً بالمبدأ الإسلامي «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».

* والإسلام وهو يدعو إلى الابتكار يؤكد أن العلم سيفتح للناس آفاقا جديدة عملاً بقوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت ـ آية ٥٢).

وهو يأمر باستخدام المبتكرات والمخترعات في مجالات الخير والبر وليس لترويع الآمنين أو زرع الخوف في نفوس البشر.. ويدفع القادة إلى توجيه المخترعات لمصلحة المجتمع.. يقول تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات)(الأنبياء ـ آية ٧٣).

* والإسلام وهو يدعو إلى السعي من أجل الربح لا يسمح بغير الربح العادل لأنه يستلزم الأجر العادل والثمن العادل، وهذا يضمن عدم استغلال الضعفاء اقتصادياً واجتماعياً. كما أن الإسلام يرفض سياسة الاحتكار من أجل تحقيق ربح أكبر.. يقول عليه الصلاة والسلام:

«من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ الله منه» (رواه الإمام أحمد في مسنده).

وعليه فإن السياسات الإدارية التي تستغل الأزمات من أجل تحقيق الربح إنما تخرج عن دائرة النظام الإسلامي.

* والإسلام وهو يدعو إلى تنمية القيادات الإدارية يصر على أن تنمي القدرات في الإطار الذي يخدم المصلحة العامة قبل المصلحة الشخصية.

يقول تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر آية ٩).

* والإسلام وهو يدعو إلى الاهتمام بالعلاقات الإنسانية يحذر من أن يكون أساس التعامل بين الناس القرابة أو النسب أو الخوف من السلطة أو الطمع في المكافأة، إنما يجب أن يكون الأساس هو الإيمان الذي يوجه النفس الإنسانية إلى التسامي والرقي.. فحينما ولي عمر بن الخطاب سعد ابن أبي وقاص عاملا على العراق قال له:

(والله ما وليتك لنسب، فلا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله فإنه ليس بين أحد وبين الله نسب).

* والإسلام هو يدعو إلى الإسهام في تطوير المجتمع يضع الإطار العام للمسؤولية الاجتماعية كما حدده الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف:

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (رواه البخاري).

ومن ثم فإن قيام كل إنسان بواجبه يدفع المجتمع كله نحو التطور والارتقاء ولهذا عني الإسلام عناية كبيرة بالعلاقات الاجتماعية وجعلها ركنا من أركان الإيمان.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس) (رواه البخاري ومسلم).

ويقول أيضاً: (أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربه، أو تطرد عنه جوعا، أو تقضي عنه دينا) (رواه الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

وهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية قد وضعت لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية قيماً ومبادئ وسلوكيات تستطيع أن تخلّص النفس الإنسانية من شهواتها وأنانيتها وتدفعها في نطاق الحياة الاجتماعية بما يحقق أهداف الفرد والمجتمع معا.

ويعبّر البيان العالمي الإسلامي الذي صدر عن المؤتمر الإسلامي بلندن في أبريل ١٩٨٦ عن هذه الحقيقة فيقول:

«إن لشرائع الإسلام مبادئ سامية هدفها أن يتعامل الناس بالشورى والعدالة وأن تتوزع الثروات المملوكة أصلاً للجماعة بين الأفراد توزيعاً عادلاً وفق عملهم وكسبهم واجتهادهم وحسب حاجتهم وضروراتهم، فالثروة لا يجوز أن يكتسبها الأفراد ظلماً أو عدواناً أو تسلطاً، ولا ينفقونها في مزالق الهوى والضلال والاستغلال، بل ينفقونها في إشباع ضروراتهم وحاجتهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ومسارعين إلى الخيرات»

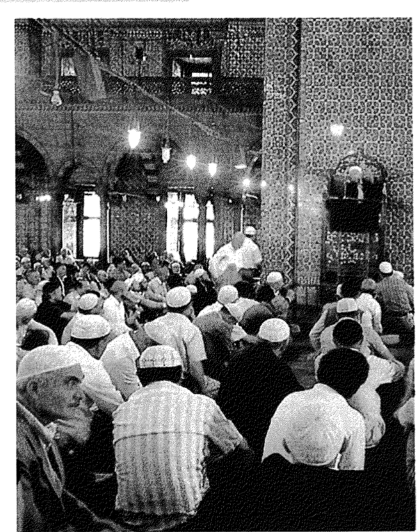
**الشريعة الإسلامية قد وضعت لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية قيما ومبادئ وسلوكيات تستطيع أن تخلص النفس الإنسانية من شهواتها وأنانيتها وتدفعها في نطاق الحياة الاجتماعية**





# الطريق إلى السلام الاجتماعي

للواء الركن: محمد جمال الدين محفوظ



كــان عــمــر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قــاضـيـاً على المدينة المنوَّرة في عـهـد أبي بكر رضي الله عنه، وقد طلب من أبي بكر إعفاءه من القضــاء، فقال أبوبكر: أمِنْ مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ قال: لا يا خليفة رسول الله، ولكن ليس بي حاجة عند قوم مؤمنين: عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه، ومـا عليه من واجب فلم يُقصِّر في أدائه، أحبَّ كل منهم لأخيـه مـا يحب لنفسـه، إذا غـاب أحدهم تفقَّدوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصـيب واسـوه، دينُهم النصـيحـة، وخُلقـهم الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيم يختصمون؟!.

حـقـاً إنه وصف رائع لمجـتـمع المدينة ومـا يسـوده من سلام اجتماعي قام على منهج الإسلام الذي رسم الطريق لبناء المجـتـمع الإنسـاني الفـاضل، والذي يهـيئ «المناخ الصالح» لبناء الشخصية الإسلامية السَّويَّة، ويجعل من المسلم لبنةً قوية متماسكة، وعنصراً إيجابياً صالحاً في مجتمعه الكبير، كما يهيئ له إظهار طاقاته المُدَّخرة فيه «ابتغاءً لوجه الله وحده».

## الحب في الله

لقد كان الحبُّ في الله طابع المؤمنين الأولين وشعورهم حيث قال تعالى: (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حـاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خصـاصـة ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر:٩.

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون هذا الحب خـالصـاً لله بعيداً عن الهوى والأغراض الدنيوية، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد حــلاوة الايمان، أن يكون الله ورسـولـه أحب إليــه مما

سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف به في النار» (متفق عليه).

والشعور بالحب نتيجة الشعور بوحدة العقيدة، وأثر من آثارها الحبيبة، وضعفُ هذا الحب بين المؤمنين دليل ضعف عقيدتهم، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (رواه مسلم عن أبي هريرة).

ولأهمية الحب في توثيق الترابط بين المسلمين وفي جمعهم على كلمة واحدة، وفي إعلاء كلمتهم وحفظ سيادتهم، جعل الله المتحابين فيه على منابر من نور، فعن معاذ رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله - عز وجل: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: «أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» (رواه مسلم والترمذي).

وقد ملك حب الله قلوب المسلمين، فأحبوا من أحبه، وعادوا من عاداه ولو كان أقرب الناس إليهم حيث قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة:٢٢.

### وحدة الصف

وقد منَّ الله سبحانه على عباده بأنه هو الذي ألَّف بينهم ونمَّا شعور الوحدة فيهم، وأمرهم بالحرص عليها، وأنقذهم من عذاب الفُرقة والشقاق والمقاتلة، حيث قال جل شأنه: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران:١٠٣.

وقال جل شأنه: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) الصف:٤، وأصل لفظ مرصوص: المتماسك بعضه ببعض بالرصاص، والمراد: مُتْقَن كأنه قطعة واحدة.

وبين الله سبحانه وتعالى أثر التفرق والتنازع في الأمة فقال سبحانه: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال:٤٦.

**الشعور بالحب نتيجة الشعور بوحدة العقيدة وأثر من آثارها وضعف هذا الحب بين المؤمنين دليل ضعف عقيدتهم**

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه» (رواه البخاري ومسلم)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمّيّة «أي ضلال» يغضب لعُصبة «أي قاتل متعصِّباً لغير الحق» أو يدعو إلى عصبة أو ينعى عصبة فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، لا يتحاشى «يبتعد» من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس منِّي، ولست منه» (رواه مسلم).

### الإصلاح بين الناس

ويحض الإسلام على الإصلاح بين الناس وإزالة الخصومات حتى تبقى للأمة وحدتها، ويَعِدُ المولى عز وجل العاملين على الإصلاح بين الناس بالأجر العظيم ومن أوفى بعهده من الله، قال تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) النساء:١١٤.

بل قد أمر الإسلام المسلمين إذا دبَّ بينهم الخصام أن يجنِّد كل منهم نفسه للإصلاح بين الناس، حيث قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) الحجرات:١٠.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» (رواه الشيخان عن أنس).

ويبلغ تأكيد الإسلام لأهمية الإصلاح بين الناس حد تفضيله على الصيام والصلاة والصدقة، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، قال وفساد ذات البين هي الحالقة» (رواه أحمد عن أبي الدرداء).

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «تسعى في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا» (رواه البزار بسنده عن أنس).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم» (رواه البخاري).

وعنه أيضاً «أن أُناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه يصلح بينهم» (رواه البخاري) ●



دراسات نفسية

# أصحاء ولكنهم يتوهمون المرض

بقلم: د. محمد محمد عيسوي الفيومي . دكتور في الصحة النفسية



من الأمور التي تؤثر في النفس البشرية، الإيحاء والوهم، إذ تؤكد الحقيقة العلمية أن أعراض وآلام المرض تصيب الإنسان حسب المرض الذي يختاره، ويتوهمه لنفسه وإن الأبحاث الطبية تؤكد سلامة جسمه تماماً من هذا المرض، وأن المتهم الأول هو حالته النفسية، وسوف يظل هذا المريض ضالاً في رحلة علاجه وفحوصه حتى تسوقه الظروف إلى المعالج النفسي، وإن لم يصل إليه فإنه سوف يظل صريع أوهامه ومريضاً بلا مرض.

إن الإحصاءات تقول: إن ٣٢٪ من المواطنين الأميركيين الذين تجرى لهم قسطرة في القلب بعد معاناتهم من أعراض المرض تبين سلامة قلوبهم تماماً من الأمراض وأنهم يعانون من مرض اسمه اضطراب الهلع.

وتؤكد الدراسات والأبحاث كيف أن مخاوف الإنسان تصنع منه أسيراً للمرض الذي يختاره لنفسه، وتبدأ كل أعراض المرض تظهر عليه، وذلك كله أدى إلى اهتمام المؤتمرات العالمية بضرورة وجود المعالج النفسي أو المرشد النفسي داخل جميع المؤسسات التي يعمل بها حشود من الأفراد ليصبح قادراً على مواجهة هذا النوع من الأمراض التي لا يقتنع فيها المريض بأنه مريض نفسياً يحتاج إلى علاج نفسي.

## القلق صانع الأمراض

وعلى قائمة الاتهامات يأتي القلق النفسي في قمة الأمراض التي تلقي بالإنسان في أحضان دوامة الأمراض التي لا تنتهي، وكما يشرح العلماء أن القلق يصيب نحو ١٥٪ من الأفراد في أثناء رحلة الحياة وأعراضه النفسية تتميز بالعصبية والخوف من الأمراض، وبخاصة القلب وغيره من الأمراض مع إحساس بالترقب المتشائم والقلق والأرق وصعوبة التركيز وسهولة الإثارة العصبية، وعادة ما يكون القلق النفسي في هيئة أعراض عضوية في أجهزة الجسم المختلفة.

فقلق الجهاز الهضمي يتميز بجفاف الحلق وصعوبة البلع وسوء الهضم والحموضة والانتفاخ والإسهال أو الإمساك والمغص والتلبك المعوي، وأن الشعور بالقلق قد يحدث ما يُسمّى بالمصران العصبي أو المعدة العصبية، ما يؤدي إلى قروح وتلف عضوي في الأغشية المخاطية للمعدة والأمعاء.

وقلق الجهاز القلبي الدوري يأتي في هيئة زيادة في ضربات القلب وآلام في الصدر وبخاصة في الناحية اليسرى وزيادة في ضغط الدم مع إحساس بالدوخة والاختناق والإحساس بالموت.

وقلق الجهاز البولي التناسلي يأتي في هيئة ضعف النشاط الجنسي وعدم الرغبة، وفي المرأة أحياناً يأتي باضطراب الطمث أو كثرة النزيف أو توقف الطمث، وأحياناً كثرة التبول، أو احتباس البول.

أما قلق الجهاز التنفسي فيكون في هيئة صعوبة في التنفس أو التنهيدات في التنفس، ولكن أهم ما يميزه هو فرط التنفس، فأحياناً يصاب الفرد بالقلق عند وجوده في مكان مزدحم أو مغلق مثل ركوب الطائرات أو المصعد أو في أماكن معينة، فيبدأ في سرعة التنفس لا شعورياً ما يؤدي إلى تغيير في كيمياء الدم ونقص في الكالسيوم فيشعر بتنميل في الأطراف ودوخة وقد يغمى عليه فعلاً فيعود التنفس إلى طبيعته ويعود إلى حاله الطبيعية.

ومن أكثر أعراض القلق انتشاراً ما يحدث في الجهاز العضلي هي آلام متنقلة في الصدر والرقبة والدماغ والظهر والساقين والأيدي، وعادة ما يشخص ذلك بأنه روماتيزم، وهذا غير حقيقي لأن الروماتيزم يأتي في المفاصل وليس في كل الجسم وله أسماء خاصة لا يوجد مرض اسمه الروماتيزم. والقلق في الجهاز العضلي يأتي من إحساس بالمشقة أو التعرض لصدمات أو ظروف بيئية أو اجتماعية أو نفسية.

وقد كشفت الأبحاث والدراسات أن الإنسان العربي بالذات أكثر الناس تعرضاً لهذه الأعراض، إذ إن العرب عادة ما يعبرون عن آلامهم النفسية ومعاناتهم الفكرية والعاطفية في هيئة أعراض وشكاوى جسدية أكثر من المرضى في البلاد الغربية، حيث إن الشكوى الجسدية في بلادنا لها قيمتها أكثر من الشكوى النفسية، وقد تعرف هذه الأمراض «السيكوسوماتية» أي الأمراض «النفسجسمية».

ولعلاج حالات القلق يبدأ بالتشخيص الصحيح ومعرفة المعالج النواحي الاجتماعية والنفسية والعمل والزواج والاستماع إليه وإعطائه الفرصة لكي يعبر عن كل ما يعانيه وهذا في حد ذاته يخفف عنه متاعبه، حيث يحدث في أثناء ذلك ما يعرف بالتنفيس أو تفريغ الشحنة الانفعالية.

## الهلع

أما اضطراب الهلع فنسبة انتشاره بين مجموع الشعب قد تصل إلى ٢٪ وهؤلاء يتجهون عادة إلى أطباء القلب، حيث يشكو المريض بإحساس مفاجئ من الخوف الشديد من زيادة في ضربات القلب وآلام في الصدر وإحساس بالاختناق وصعوبة في التنفس وتنميل في الأطراف مع شعور بالإغماء ودوخة وإحساس باقتراب الموت.

وهذه النوبات من القلق الحاد تسمى بالهلع لما يصاب الفرد من خوف شديد، حيث إن الأعراض معظمها في الجهاز القلبي الدوري... لذا يكون الملجأ الأول هو طبيب القلب وربما كان غير ملم باضطراب الهلع فسيبدأ سلسلة من الأبحاث والإشاعات وتخطيط لضربات القلب.

ولذا، فإن العلاج الحاسم إذا كان التشخيص والعلاج صحيحين، يكمن في تهدئة المريض ومساندته نفسياً، أما الاكتئاب وهو أكثر الأمراض النفسية انتشاراً فتبلغ نسبة انتشاره بين الإناث خلال مرحلة الحياة نحو ٢٤٪، أما الرجال فنحو ١٧٪، ومن أهم أعراض الاكتئاب هي الشكاوى الجسدية أكثر من اكتئاب المزاج، فيشكو المريض أساساً من التعب والإرهاق وصعوبة التركيز والصداع وآلام الظهر وآلام في أماكن متفرقة من الجسم والدوخة وتنميل الأطراف وأعراض في الجهاز الهضمي مع إسهال، وتلبك معوي، ومغص وغثيان، وبالطبع نستطيع أن ندرك، لماذا يتجه مريض الاكتئاب إلى طبيب الباطنية، وهنا حاجة المريض إلى المعالج النفسي تكون ماسة، حيث يتكون لديه الإلمام بمرض الاكتئاب، فعادة ما تكون - هذه الأعراض في أسوأ أحوالها في الصباح وتتحسن عند المساء، ويبدأ المريض بالإحساس بالضيق والملل وعدم الاهتمام بمن حوله وعدم قراءة الصحف أو مشاهدة التلفاز أو الاختلاط بالناس، بل يهمل مظهره الخارجي وواجباته، ويُصاب بالأرق والأحلام المزعجة التي ترتسم عن الموت ويصحو نحو الثالثة صباحاً لا يستطيع النوم مرة ثانية، ثم يفقد الشهية للأكل ويفقد الكثير من الوزن ويبدأ في الأبحاث الطبية لاستبعاد الأمراض كالدرن والسرطان والتي تثبت الفحوصات الطبية خلوه منها تماماً، ويبدأ المريض في الاعتقاد أن الحياة لا تساوي الاستمرار، ويفكر في إيذاء الذات أو الانتحار، والذي يصل إلى نحو ١٥٪ من مرض الاكتئاب ما يجعل العلاج الفوري ضرورياً وحتمياً لأنه إنقاذ للحياة.

إن أكثر الأمراض الطبية ألماً ومعاناة هو مرض الاكتئاب، إن مريض السرطان أو القلب لا يفكر في الانتحار، بل يريد الاستمرار والمقاومة، ولكن مريض الاكتئاب من شدة آلامه يجد أن الاستمرار في الحياة أمر صعب، وأن الرحيل هو النجاة.

إن وعي المريض لهو أكثر أهمية من وعي الطبيب، لأن معرفته بأعراض المرض سيجعله يتجه الاتجاه الصحيح للعلاج، ولكن إهمال الأمر سيجعل المريض يشعر باليأس والعجز وعدم الرغبة في العلاج، ولذا فتوعية الناس لهذا المرض المنتشر له أهمية بالغة لأن العلاج يؤدي إلى نتائج مشجعة أكثر من علاج القلب والسكر والكلية والكبد.

## التوهم المرضي

ومن الأمراض المهمة التي تبدأ بشكاوى بدنية، مرض التوهم المرضي وهو الشكوى المستمرة من أعراض تظهر في الجسم وآلام يؤولها المريض على أنها علامات لمرض خطير كالسرطان أو القلب أو الكلية، ومهما حاولنا اقناعه بعدم خطورة حاله الصحية وعمل الأبحاث الطبية المختلفة فهو دائم التردد على الأطباء وعمل الأبحاث في معامل عدة، وكذلك اضطراب الجسد، وهو الشكاوى في عدة أجهزة من الجسم، ولكن من دون الخوف من مرض معين وعادة ما تكون الأمراض آلاماً في الجسم وأعراضاً في الجهاز الهضمي أو القلب الدوري أخيراً مرض «النيوراستينا» أو الإعياء النفسي والإحساس بالتعب والإرهاق الجسدي والنفسي، فيشكو المريض التعب لأقل جهد أو أقل تركيز وعادة ما يؤول ذلك إلى فقر الدم أو كسل في الكبد أو نقص المناعة... إلخ، ولكنه مرض نفسي يتميز بهذه الأعراض.

## العلاج

إذا كانت الأمراض النفسية تصنع رحلة العذاب للمريض العربي بالذات في الوقت الذي يرفض فيه المريض الاتجاه إلى المعالج النفسي، فأين يكون الحل؟

توصي بحوث هيئة الصحة العالمية في جميع أنحاء العالم بالاهتمام بالصحة النفسية في أي وطن يجب العناية بالمعالج النفسي ليتمكن من مواجهة هذه الحالات وعلاج المرضى النفسيين والاهتمام بالصحة النفسية، لما لذلك من أثر في إنتاجية الأفراد وعدم تبديد جهودهم في أمور لا تعود عليهم بالنفع.

وقد أشارت الأبحاث الوقائية إلى أنه بين كل ألف مواطن يوجد ثلاثمئة يعانون من أمراض نفسية معظمهم في هيئة الآلم وشكاوى بدنية، وكما أشرنا يعرف هذا بالأمراض - «السيكوسوماتية»... أي «الأمراض النفسجسمية»، ويحتاج ذلك إلى تشخيص دقيق حتى نقف على حقيقة المرض، كما ينبغي نشر الوعي السيكولوجي لدى الناس بوجه عام ولدى المرضى بوجه خاص لمعرفة نشأة هذه الأعراض الجسدية التي يكون مصدرها نفسي.

ويوجد الآن في التقسيم العام ما يطلق عليه الأعراض الجسدية ذات المنشأ غير العضوي، يقسم ذلك إلى أمراض نفسية عدة، يستطيع المعالج النفسي علاجها بكفاءة دون أن يحتاج إلى الطبيب النفسي إلا في الحالات الشديدة التي تحتاج إلى هذا التخصص الدقيق.

إن استعراض هذه الأمراض النفسية المختلفة يجعلنا ندرك مدى أهمية وعي المريض والطبيب بمدى انتشار وأهمية أن تكون الأعراض والشكاوى سببها الأمراض النفسية وكيفية أن معرفة التشخيص الصحيح ستؤدي إلى علاج ناجح فعّال يوفر الكثير من المصروفات والعلاج الذي ليس له فائدة، وخصوصاً أن علاج هذه الحالات النفسية يأتي بنتائج أكثر تفاؤلاً من كل الأمراض الطبية الأخرى، بل إن الأبحاث الحديثة تؤكد أن الإنتاج القومي له علاقة بالأمراض النفسية أو بتمتع أفراد المجتمع بالصحة النفسية.

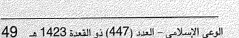
وجد أن ٦٠٪ من غياب الطبقة العاملة بسبب أعراض جسدية سببها نفسي ونستطيع أن نتبين فوراً كيف أن الارتقاء بالصحة النفسية في المجتمع له علاقة بالإنتاج.

ولذا فالاقتصاد له علاقة مباشرة بالحالة النفسية للمجتمع.

وفي النهاية، فإن المؤمن الحق لا يعاني كل هذه الأعراض مصداقاً لقوله تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد:٢٨، فالمؤمن الحق يسلم الأمور لخالقه، وبذلك يكون قد خفف عن نفسه ما يثقل كاهله من الهموم: (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) لقمان:٢٢. كما أنه يتوكل على الله ويتوجه إلى الله بالدعاء الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وبذلك يكون الإيمان واقياً من الزلل ويجعل صاحبه يشعر بالسعادة وينعم بالأمن والأمان وهو من علامات الصحة النفسية التي يتمتع صاحبها بالسكينة والاستقامة، وصدق الله إذ يقول: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون) فصلت: ٣٠ - ٣١.

كما أن في تأدية بعض العبادات ما يؤدي إلى تحقيق السكينة كالصلاة والصيام، فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، كما كان يقول لبلال عندما يريد أن يركن إلى الهدوء «أرحنا بها يا بلال» ويقصد الصلاة.

فوقوف الإنسان بين يدي الله وتلاوة بعض الآيات الكريمة من القرآن يؤدي إلى الهدوء النفسي. إن المنهج الإسلامي حفل بما يحقق الخير للفرد والمجتمع، بل للبشرية جمعاء، فعلينا التمسك به والاتكال على الله في كل أمورنا إنه نعم المولى ونعم النصير ●







# سيكولوجية النفاق

بقلم: د.عبدالرحمن محمد العيسوي. أستاذ علم النفس ،كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

النفاق من الظواهر السيكولوجية التي تنجم عن البُعد عن مظلة الإيمان، وعن التمسك بآداب الدين الإسلامي الحنيف وقيمه الإنسانية الرفيعة في الخلق الحسن، والأمانة والصدق والإخلاص والوفاء، وتحمل المسؤولية، وتوجيه النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف، بعد بعضهم عن هذه المنظومة الأخلاقية الإنسانية التي يربي الإسلام أبناءه عليها، يؤدي إلى رذائل منها: النفاق والرياء والكذب والغش والمداهنة والضلال والبعد عن آداب العفة والفضيلة والتمسك بالشرف وبالصدق في القول والعمل.

ويظهر النفاق لدى من يرغب في الوصول إلى تحقيق أهداف غير مشروعة، فيتخذ من النفاق سلاحاً يخدع به الناس وبخاصة الرؤساء في العمل فيشبعهم مديحاً زائفاً وإعجاباً كاذباً ويؤدي أعمالهم مهما كانت بعيدة عن الصواب أو عن المصلحة العامة ويمتاز بالوصولية والتخطيط الدنيء لتحقيق مصالح ذاتية، وبذلك يرقى على حساب زملائه وعلى حساب المصلحة العامة فيضر بصالح العمل الوطني ويضر بزملائه ويهدر حقوقهم ويتسلق فوق رؤوسهم بل إنه يضر الشخص الذي ينافقه ويضلله عن إدراك حقيقة أعماله الصالح منها والطالح.

## النفاق لغة

النفاق هو ضرب من الكذب والخداع والمكر والغش والرياء، وفيه يظهر المرء خلاف ما يبطن، أي إظهار المرء خلافاً لما هو عليه في داخله، فهو يكتم أو يخفي شيئاً ويُظهر شيئاً أخر، فينطوي موقفه على شيء من النفاق، والعمل النفاقي المتسم بالنفاق والدال عليه حين يقف المرء موقفاً نفاقياً، فالمنافق يُظهر خلافاً لما يضمر أو خلافاً لما هو عليه في واقع الحال، ويتعين ألا ينخدع أحد بنفاق المنافق وألا يصدقه، والمنافق في الدين هو من يخفي الكفر ويُظهر الإيمان ويتظاهر بالتقوى والورع والتدين، وهو يُظهر خلافاً لما يبطن، كالسياسي المنافق والمرائي والمخادع والكاذب والماكر والذي يتظاهر على خلاف ما في باطنه، وقد يكون صديقاً منافقاً.

## النفاق اصطلاحاً

النفاق اصطلاحاً في علم النفس قد يكون سمة ملاصقة من سمات شخصية الفرد PERSONALIYT TRAIT وقد يُطلق النفاق على حال ممارسة النفاق STATE، وقد يشير إلى الفعل أو السلوك BE-HAVIOUR الذي يظهر فيه الإنسان خلافاً لما يُبطن بداخله HYPOCRISY بمعنى التظاهر الكاذب بالفضيلة والتمسك بالدين. وفي علم النفس هناك حال من حالات الحيل الدفاعية اللاشعورية أو العمليات العقلية اللاشعورية UNCONSCIOUS DEFENSE MECHANISM وتقوم بها الذات الوسطى في الإنسان EGO بقصد حماية الإنسان من الشعور القاسي بالقلق والانزعاج. وهذه الحيل أو العمليات العقلية اللاشعورية كثيرة ومتعددة منها الإسقاط والتبرير والتقمص أو التوحد والإزاحة والعكسية والإبطال والإنكار والأحلام والعدوان والكبت والنكوص، أي العودة إلى الوراء إلى مراحل نمو سبق للإنسان أن تخطاها.

وحال النفاق تنطبق على حيله العكسية أو التكوين العكسي RE-ACTION - FORMATION حيث يظهر الإنسان خلافاً لما يبطن، فالشخص الملحد يتظاهر بالتدين الشديد، والرجل شديد البخل في داخله، يتظاهر بالكرم والعطاء والسخاء الزائد، والموظف المرتشي يتظاهر بالأمانة المطلقة، والأم المهملة في شؤون أولادها وزوجها تتظاهر بأنها أم مثالية.

**النفاق هو ضرب من الكذب والخداع والمكر والغش والرياء، وفيه يظهر المرء خلاف ما يبطن**

ويبدو النفاق في سلوكيات كثيرة، وخصوصاً في هذه الأيام عند من غابت أو ماتت ضمائرهم الأخلاقية الحية، وعند راغبي الوصول إلى الأهداف حتى وإن كان على حساب الآخرين، وعلى حساب المصلحة العامة، ومصلحة الوطن والأمة، فنرى المنافق يتمسح برئيسه في العمل وينافقه ويمتدحه ويثني عليه في كل كبيرة وصغيرة، ويوافق على كل آرائه وتعليماته وقراراته ويضعها «بالحكمة والإلهام والبصيرة والرشد ويصف المدير بالنبوغ والعبقرية والإبداع في كل ما يصدر عنه من أعمال أو قرارات أو توصيات أو توجيهات». ويبالغ في المجاملة والاحترام الزائد عن الحد والخضوع وقد يلجأ إلى الوشاية بزملائه ورفاقه حتى يرقى على أكتافهم ويترك المدير يخطئ كيفما يشاء ولا يوجه إليه النصح والإرشاد بالصدق والأمانة التي يعلمنا إياها إسلامنا الحنيف. وبذلك يستمر المدير في ارتكاب الأخطاء ويتمادى في ارتكاب المزيد منها دون أن يدري، فتفسد المؤسسات، وتضيع الحقوق، ويهبط الأداء والإنتاج، وتُهدر حقوق الصامتين الذين يتمسكون بالحق ولا تزلف ألسنتهم بقول الباطل، إنهم بطانة السوء يحيطون بالرئيس في العمل كالأخطبوط ويسدلون ستارة سوداء على عينيه حتى لا يرى الحقيقة ويغرسون فيه مشاعر الغرور والعظمة التي قد تصل إلى حد «جنون العظمة».

## الهدي الإسلامي في ذم الرياء والنفاق

ويصف الدكتور أبوبكر جابر الجزائري في مرجعه الرائد: «منهاج المسلم» جملة أخلاق ذميمة تشمل: ١ - الظلم. ٢ - الحسد. ٣ - الغش. ٤ - الرياء. ٥ - العجب. ٦ - العجز. ٧ - الكسل.

وللظلم مظاهر كثيرة، منها ظلم العبد لنفسه، وذلك بتلويثها بآثار أنواع الذنوب والجرائم والسيئات من معاصي الله ورسوله، قال تعالى: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) البقرة:٥٧.

فمرتكب الكبيرة من الإثم والفواحش هو ظالم لنفسه، إذ عرضها لما يؤثر فيها من الخبث والظلمة، فتصبح به أهلاً للعنة الله والبعد منه تعالى. (ص١٨٣) وإيذاء المسلم لغيره يرتد إليه كما في قوله تعالى: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) فاطر:٤٣.

وينهي الإسلام عن كل السمات الذميمة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

ولقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرة طعام فأدخل يده الكريمة فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام»؟ قال أصابته السماء - المطر - يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس منا» رواه مسلم.

فالمسلم منهي عن الكذب والرياء والخيانة والغش والغدر والفجور في الخصومة، وبالنسبة لذميمة الرياء، فإن المسلم لا يرائي، إذ الرياء نفاق وشرك، والمسلم مؤمن موحد فيتنافى الرياء مع إيمانه وتوحيده مع خلق الرياء والنفاق، فلا ينبغي أن يكون المسلم بحال من الأحوال منافقاً ولا مرائياً، ويكفي المسلم لبغض هذا الخلق الذميم والنفور منه والبعد عنه، أن يعلم أن الله ورسوله يكرهانه ويمقتان عليه، إذ قال الله تعالى متوعداً المرائين بالعذاب والنكال: (فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون. ويمنعون الماعون) الماعون:٥-٧.

وقال الله تعالى فيما رواه عنه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك» رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به» متفق عليه.

والرياء ضرب من الشرك بالله والنيل من وحدانيته، ففي التصور الإسلامي الله واحد أحد لا شريك له. وفي هذا الهدي يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء» رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

## تعدد مظاهر النفاق والرياء

ويتخذ الرياء أشكالاً عدة منها:

١ - أن يزيد العبد في الطاعة إذا مدح وأثني عليه فيها، وأن ينقص منها أو يتركها إذا ذم عليها أو عيب فيها.

٢ - أن ينشط في العبادة إذا كان مع الناس ويكسل عنها إذا كان وحده.

٣ - أن يتصدق بالصدقة، لولا من يراه من الناس لما تصدق بها.

٤ - أن يقول ما يقوله من الحق والخير، أو يعمل ما يعمله من الطاعات والمعروف وهو لا يريد الله بها وحده، وإنما يريد غيره من الناس معه، أو لا يريد الله مطلقاً، وإنما يريد الناس فقط (الجزائري، أبوبكر، ١٩٦٤: ١٨٦).

ويبدو الرياء في كثير من أنشطة الإنسان في الوقت الراهن، في كل المجالات وليس في المجال الديني وحده، من ذلك التظاهر بالعبادة أو السخاء والكرم أو الوطنية والانتماء أو التبرع للمشروعات الخيرية والاجتماعية والعمرانية، وبذلك يبالغ المنافق في العبادة أمام الناس ويتصدق أمام الناس بقصد نيل الحظوة والمكانة الاجتماعية. وأن يفعل الخير وهو يريد من وراء ذلك تحقيق مصالحه الشخصية ومنافعه الاقتصادية ومن أظهر الأمثلة على ذلك التبرع للحكومة ولمشاريعها إرضاء لأصحاب السلطات، وبغية أن يسهلوا له الحصول على مكاسب أكبر، كالإعفاء من الضرائب أو رسو بعض العطاءات في المزادات عليه أو الحصول على وظيفة مرموقة أو الحصول على قروض ميسُرة وهكذا، أو نيل الشهرة والسمعة من خلال أجهزة الإعلام.

## التصور القرآني للنفاق والرياء

(وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) آل عمران:١٦٧.

ويقرن القرآن الكريم بين النفاق والكفر وغيرهما من الرذائل.

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) التوبة:٦٧، ولا يوجد فرق بين الرجل والمرأة في مذمة النفاق، ويتوعد الله تعالى المنافقين بأشد أنواع العذاب ونار جهنم مع الكفار.

(إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرَّ هؤلاء دينُهم) الأنفال:٤٩، والنفاق مرض في القلب أو النفس وهو آفة تنال من صفاء نفس صاحبه.

(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة) التوبة:١٠١، ولم يقتصر النفاق على الأعراب وإنما أيضاً موجود عند أهل المدينة.

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) الأحزاب:١٢. (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) المنافقون:١، فالمنافق يُظهر خلاف ما يبطن، حيث يخفي مشاعره الحقيقية ويُظهر عكسها لخداع الناس أو لخداع نفسه.

## مكافحة النفاق تبدأ منذ طفولة الفرد الباكرة في ثنايا عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي

كما يصف القرآن الكريم المنافق بعدم الفهم أو التفقه في أمور الدين: (ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) المنافقون:٧.

كما يصفهم القرآن الكريم بالجهل: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون:٨.

وللكاذبين عذاب أليم: (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) البقرة:١٠.

وتترابط الأخلاق الذميمة مع بعضها بعضاً كالنفاق والرياء والكذب والغش والضلال والمداهنة والمواربة.

وطريق الهدى هو طريق الصلاح والفلاح والتقوى والورع والخشوع والاستقامة.

ويعدهم الله سبحانه وتعالى بعذاب شديد: (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد) ص:٢٦.

والفسق خروج عن طريق الحق والصواب والخروج عن طاعة الله ومآله إلى المعصية وتجاوز حدود الشرع: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) البقرة:١٦.

والضلال مناقض للحق والحقيقة كما في قوله تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال) يونس:٣٢.

وفي الضلال نوع من الردة كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

وقوله: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» مسلم.

فالإسلام يربي أصحابه على الإيجابية، فليس على المسلم أن يؤمن هو فقط وإنما أن يدعو إلى الإيمان وأن يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، ويدعونا الإسلام إلى الصدق وتوجيه النصح والإرشاد الصادق لغيرنا.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه» متفق عليه، وفي الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفساد والضلال والفسق قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

فالمسلم مُطالب أن يدعو إلى المعروف، وأن ينهى عن المنكر، لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) آل عمران:١١٠.

فعلى المسلم رسالة عظيمة في منع الفسق والتسيّب والفوضى والغش والنصب والاحتيال والعدوان.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.

وفي باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله جاء قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) البقرة:٤٤.

### أنواع النفاق

ويقول ابن كثير في تعريف النفاق: «إنه إظهار الخير وإسرار الشر».

والنفاق أنواع:

أ - نفاق اعتقادي وصاحبه يُخلد في النار.

ب نفاق عملي وهو من أكبر الذنوب.

ويصف ابن كثير المنافق، نقلاً عن ابن جريج بالقول: إن «المنافق يخالف قوله فعله، سره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه».

وبعد تفوق الإسلام وسيادته ظهرت علامات النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) البقرة:٨.

ويقصد ذلك المنافقين من أهل الأوس والخزرج، ومن كان على أمرهم، ولقد نبَّه الله سبحانه وتعالى إلى سمات المنافقين لئلا يغتر أو يُخدع أحد بظاهر أمرهم، حتى لا يقع نتيجة لذلك الفساد لعدم الاحتراز منهم ومن الاعتقاد في إيمانهم وهم في الحقيقة كفار، يقولون إنهم مؤمنون قولاً فقط، ويقول الله تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله) المنافقون:١.

ويصفهم القرآن الكريم بالقول: (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) البقرة:٩.

فالمنافق: يُظهر شيئاً ويستبطن شيئاً آخر.

فهو يُظهر خلافاً لما يُبطن، وهو لا يخادع غيره وحسب، وإنما قد يخادع نفسه أيضاً.

وقد يظل المنافق يخادع فيظن أن الناس يصدقونه، فقد يخفي المنافق الشرك والكفر ويظهر الإيمان، وينعت بعضهم المنافق بأنه خنع الأخلاق، يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله، ويخضع لحال من التغير والتذبذب، فهو يصبح على حال ويُمسي على أخرى، ويتأرجح في حياته كما تتأرجح السفينة وسط الأمواج العاتية، لانعدام شعوره بالمبدأ الثابت اليقيني الذي يحفظ عليه حال الاستقرار والهدوء والسكينة والأمن والأمان القلبي والنفسي.

### سبل العلاج والوقاية من آفة النفاق

لا شك أن مكافحة النفاق يتعين أن تبدأ منذ طفولة الفرد الباكرة في ثنايا عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي SOCIALIZA-TION وغرس قيم الحق والخير والجمال في حسه ووجدانه وتربيته على قيم الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء واحترام الحقيقة والالتزام بقول الصدق وعمله والشعور بالواجب وتحمل المسؤولية والأمانة في القول والفعل وفوق كل شيء الصدق مع الذات والأمانة مع الذات وبالطبع تستمر هذه التربية الأخلاقية طوال رحلة الحياة.

وعلى عاتق رجال الوعظ والإرشاد تقع مهمة تحرير الفرد المسلم من كل الرذائل والخصال الذميمة والسلبية والتسيب والفوضى واللامبالاة والكذب والرياء والغش والخداع والالتواء والمداهنة وبالطبع النفاق والوقيعة والدس والوشاية والنصب والاحتيال والطمع والجشع والأنانية والاستحواذ والوصولية، وذلك بغرس قيم الدين الإسلامي وترسيخها في حس الفرد المسلم ووجدانه وعقله وضميره الأخلاقي وتربيته على الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها وتعويده السلوك السوي والصادق والأمين على حب الصدق والعمل به والإيمان الصادق الذي يوقر في القلب ويصدقه العمل.

والتربية السلوكية السوية مسؤولية مجتمعية وليست مسؤولية فردية أو مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع، وعلى رأس هذه المؤسسات مؤسسة الأسرة والمدرسة والجامعة والمسجد والمؤسسات الإعلامية والثقافة الجماهيرية، والسينما والمسرح والكتاب والمفكرين ورجال الإصلاح والسياسة والإدارة، كل في موقعه عليه أن ينبذ النفاق ويكشف أصحابه ويعريهم ويرفض نفاقهم حتى وإن كان موجهاً نحوه وبخاصة رجال الإدارة العليا، والمعلمون والمعلمات. ولابد من توافر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به الطفل والمراهق والشاب والعامل والصانع والتاجر في قول الصدق والعمل به وخصوصاً في المجالات السياسية والنيابية بحيث لا يُقال المديح والثناء إلا حيث يجب ذلك ●



قـراءة في كتـاب

## إسهام الوقف في العمل الخيري والتنمية الاجتماعية

# صدقات الواقفين الجارية في الكويت.. أسهمت في إنشاء مؤسسات للتعليم ورعاية المعاقين

عرض وتحليل: السيد أحمد المخزنجي. إدارة البحوث والدراسات. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت



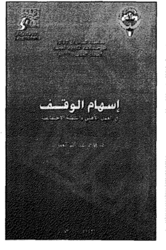
مما لا شك فيه، أن موضوع الوقف الإسلامي وتطوره من الموضوعات التي حظيت باهتمام العلماء والباحثين المعنيين، وإن طغت الكتابات الفقهية على معالجة هذا الموضوع، لكثرة التساؤلات بشأنه، وبهدف المحافظة عليه وعلى دوره الإيجابي والاقتصادي في المجتمع الإسلامي.

وقد يلاحظ القارئ المتابع محدودية الدراسات العلمية أو الأكاديمية حول دور الوقف في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك في اتصاله بمؤسسات العمل الأهلي.

من هنا تبدو أهمية التعريف بالكتاب الذي صدر عن الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت، ضمن سلسلة الدراسات الفائزة بجائزة الكويت الدولية لأبحاث الوقف للعام ١٩٩٩م، والذي عنوانه: «إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية» للدكتور فؤاد عبدالله العمر، الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بالكويت، والخبير الاقتصادي بالبنك الإسلامي للتنمية سابقاً.




يقع الكتاب في نحو ٢٢٠ صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على سبعة فصول رئيسة، بالإضافة إلى قائمة المراجع والمصادر للكتاب باللغتين العربية والأجنبية، وتصدير للأمانة العامة، ومقدمة للكتاب، يوضح فيها المؤلف أهداف دراسته تلك، والتي تتمثل في تتبعه لمسيرة الوقف وتطورها التاريخي، انطلاقاً من أن الوظيفة الأساسية للوقف، بالإضافة إلى إسهاماته الواضحة في التنمية الاقتصادية، هي إسهاماته الفاعلة في التنمية الاجتماعية بجميع




جوانبها، حيث سعت الدراسة ـ بعد تحليل موجز لتطور الوقف ـ للتعرف إلى عوامل الاتصال بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي، والأساليب التي يمكن من خلالها تعميق هذا التواصل والتعاون.

أما فصول الكتاب، فقد بدأها المؤلف بالحديث عن: دور الوقف ومؤسسات العمل الأهلي في التنمية الاجتماعية. والفصل الثاني: الوقف والدولة ـ العلاقة المتردية الواهية. والفصل الثالث: العلاقة بين نظام الوقف ومؤسسات العمل الأهلي «الجمعيات.. والمنظمات غير

الحكومية». والفصل الرابع: أوجه الشبه والاختلاف بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي في تحقيق التنمية الاجتماعية. والفصل الخامس: كيفية تنظيم وتطوير العلاقة بين مؤسسات العمل الأهلي ونظام الوقف ومؤسساته لخدمة أغراض التنمية المحلية والقُطرية. والفصل السادس: مقترحات لتفعيل العلاقة بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي لخدمة التنمية الاجتماعية، وأما الفصل السابع والأخير، فهو عبارة عن «الخلاصة والنتائج» التي توصل المؤلف إليها في هذا الكتاب.

## الوقف والعمل الخيري

إنَّ دراسة العلاقة بين الوقف من جهة، ومؤسسات العمل الأهلي من جهة أخرى - في رأي المؤلف - لا يمكن تحديد محاورها وجوانب تحليلها المتعددة دون بيان طبيعة الموضوع وإطاره، في ضوء الدراسات المعاصرة، ذات الصلة للتعرف إلى ما توصل إليه الباحثون في هذا الصدد.

ومن ثمَّ بدأ المؤلف حديثه في «الفصل الأول» عن: «دور الوقف ومؤسسات العمل الأهلي في التنمية الاجتماعية»، حيث استعرض مجموعة من الدراسات المعاصرة التي تبرز أهمية الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية، كما عرض لأهمية دراسته ومنهجها وأهدافها ومشكلاتها ومحدداتها الزمنية، ثم خلاصة للفصل الأول يبين فيها المؤلف أن الوقف الإسلامي يعتبر من أهم الأساليب المالية في النظام الإسلامي لتحقيق التنمية الشاملة للمجتمع، وبخاصة التنمية الاجتماعية، كما أن شرعية الوقف في الفقه الإسلامي تعتمد على ثلاثة أصول هي:

- حض القرآن الكريم على الإحسان في قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) المائدة:٢، وقوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) آل عمران:٩٢.

- وكذلك في السنَّة النبوية، قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات العبد انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه البخاري:٢٧٧٢، ومسلم:١٠٠٠، وإن الصدقة الجارية المذكورة في الحديث تتحقق في الوقف على أصل معناه المقرر الثابت.

- ثم الإجماع: وهو الطريقة الشرعية الثالثة التي يتحقق بها الوقف في الفقه الإسلامي، حيث ثبت أن الكثير من الصحابة وقفوا جزءاً من ثرواتهم، واستمر ذلك في الأجيال التي جاءت بعدهم.

## الوقف والدولة

في الفصل الثاني: الوقف والدولة.. العلاقة المتردية...، يتحدث المؤلف عن ما يسميه «محاور علاقة الوقف بالسلطة الحاكمة» فيعرض للعوامل التي أدت إلى فرض الحكومات سيطرتها على الأوقاف في الدول الإسلامية. ويشير في أسلوب تحليلي لمحاور الوقف، وأهم وظائفه ومدى الحاجة لوجود سلطة حكومية لإدارته، ويوضح أن تلك المحاور تتركز في ثلاثة أمور هي: تنمية الوقف وإيراداته، صرف الريع الصافي من الوقف، وأخيراً الرقابة عليه «أي الوقف» من قِبَل السلطة الحكومية والقضاء.

ويخلص المؤلف من ذلك إلى القول: إن علاقة الوقف بمؤسسات العمل الأهلي قد تردَّت وضعفت وشائجها لبسط الدولة سيطرتها على الوقف وإداراته... وهو ما كان سبباً لتدخل السلطة الحكومية في إدارة الوقف. ومع ذلك لم تحقق تلك السيطرة من قِبَل الدولة أهدافها المنشودة، إذ لم يطرأ تحسن واضح في الكفاءة الإنتاجية للوقف أو تطور عدد الأوقاف، أو تزايد الريع الناتج منه، أو تحسن في أثره في التنمية الاجتماعية والكفاءة التوزيعية لإيرادته. (ص ٧٤ - ٧٥) من الكتاب.

## الوقف والمؤسسات الأهلية

في الفصل الثالث من الكتاب يتحدث الدكتور فؤاد العمر عن العلاقة بين نظام الوقف ومؤسسات العمل الأهلي التي تشمل: الجمعيات، والمبرات، والمنظمات غير الحكومية، فيشير إلى أن التعاون والتلاحم الكاملين بين الوقف وتلك المؤسسات كان هو الأصل، كما كانت خدمات التنمية هي القطب الذي يجمع بينهما، حتى برزت بعض الظروف والعوامل التي أدت إلى وجود فجوة بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي.

ويدلل على ذلك بأن المؤسسات الوقفية بالتعاون مع قوى المجتمع الأهلي كان لها دور أساسي في توفير واحد من أسس تلاحم هيئات المجتمع المختلفة من خلال إيجاد التكافل الاجتماعي والتماسك في جبهة واحدة ضد العدو الخارجي... مما مكَّن تلك القوى من مقاومة السيطرة الاستعمارية (ص٨٣) من الكتاب.

وفيما يتصل بتجربة الوقف ومؤسسات العمل الأهلي في الكويت، يوضح المؤلف أنه بعد أن تراجع توجه الواقفين نحو التصدق بثرواتهم، كوقف خيري، زاد عدد الوصايا، أو صناديق الصدقة الجارية في الكويت، كبديل للوقف، ومن ذلك إنشاء مؤسسة لتعليم الطلبة العرب العام ١٩٦٥م، وتأسيس بعض الأوقاف الخيرية لصالحها، كما أنشئت الجمعية الكويتية لرعاية المعاقين، وخصصت أوقافاً لها، على شكل صدقة جارية، كما قامت بعض المؤسسات شبه الحكومية، كبيت الزكاة، وبعض مؤسسات العمل الأهلي، كجمعية الإصلاح الاجتماعي، وجمعية إحياء التراث الإسلامي، وجمعية النجاة الخيرية بالكويت، بتأسيس الكثير من صناديق الصدقة الجارية التي يُحبس أصلها ويُنفق ريعها.

غير أن ثمة عوامل مختلفة أدت - فيما بعد للأسف الشديد - إلى ضعف علاقة الوقف بمؤسسات العمل الأهلي، وفي مقدمها، تسخير السلطة الحكومية «في كثير من الدول الإسلامية» ريع الوقف لصالح الإنفاق الجاري لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أو أنشطتها ومشروعاتها المختلفة.

**يجب تشجيع البحوث العلمية والتطبيقية حول الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية**

ومن ثمَّ يرى المؤلف أن الاهتمام بتطوير نظام الوقف، ووصل علاقته بمؤسسات العمل الأهلي سيوفر خط حماية في الدول الإسلامية ضد ما يطلق عليه اسم «الاستعمار الجديد»، الذي يتم حالياً من خلال السيطرة على المنظمات التطوعية والمحلية وتمويلها في تلك الدول، لتحقيق أهداف قد لا تتفق وأهداف التنمية الاجتماعية فيها. (ص٩٣) من الكتاب.

## الوقف وسلطة الدولة

كذلك لابد أن يحتل «نظام الوقف» موقعاً وسطاً بين السلطة، ممثلة في الإدارة الحكومية والمجتمع، ممثلاً في مبادرات مؤسسات العمل الأهلي. فالسلطة ممثلة في الأجهزة الحكومية، يكون إسهامها مثمراً، إذا ابتعدت عن «إدارة» الوقف، واكتفت بالرقابة عليه «يعني أداءه في المجتمع»، وتوفيرها التسهيلات والإعفاءات اللازمة لنموه.

أما ما حدث من تدخل السلطة في الوقف في القرنين التاسع عشر والعشرين الماضيين، فقد أضعف من أمر الوقف وإيجابياته في تلك المجتمعات الإسلامية المعاصرة!.

ولذلك عرض المؤلف لنماذج أو تجارب واقعية في امتزاج الوقف ومؤسسات العمل الأهلي، في دولة الكويت «على سبيل المثال»، ومن خلال الأمانة العامة للأوقاف بها، (ص٩٦-١٠٣) من الكتاب.

## التشابه والاختلاف

أما أوجه الشبه والاختلاف بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي، وأسباب الانفصال ودواعي الاتصال بينهما، فقد خصص المؤلف «الفصل الرابع» من الكتاب لتفصيلها، وقد أشار إلى جملة أشياء تبرز أوجه التشابه، ومنها: اللجوء إلى القضاء، والشخصية الاعتبارية والذمة المالية، وتوافر الشفافية، والقيام بالخدمة العامة وعدم قصد الربحية، وتقارب شروط استحقاق المساعدات

والسياسات العامة، نحو تحقيق التنمية، وتوافر المبادرات الأهلية ونظام مفتوح للمشاركة من الجميع، ووجود الاستقلال الإداري والمالي (ص١٠٨ ـ ١١٤) من الكتاب.

وبالنسبة لجوانب الاختلاف بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي، فهي: القصد «بمعنى الأساس الذي ينشأ منه كل منهما»، وإذن التأسيس، وأسلوب الإدارة، والمدة الزمنية، وتعبئة الموارد المالية، ونطاق الرقابة، وسياسات التوزيع، وسياسة الإعفاء الضريبي.

ثم عرض المؤلف أيضاً للعوامل البيئية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر في الاتصال بين الوقف والعمل الأهلي، وتتمثل في: نظام الحكم وفلسفته، وطبيعة النشاطات التي يمولها الوقف، والتوجه العالمي، ودواعي الاتصالات ومبرراته، وتتجلى مظاهرها في: ترشيد الإنفاق، وتحسين المردود الاقتصادي للوقف، وتعميق الأثر التوزيعي للوقف، والاستغلال الأمثل للوقف، واستمراره وتوسيع نطاق مشاركة المسلمين فيه، وزيادة فاعلية الوقف وتنامي دوره التنموي، والاستفادة من مزايا مؤسسات العمل الأهلي، وتدعيم الثقة في السلطة الحكومية للوقف، ووجود الهيكل الإداري المناسب، والاتساع الجغرافي للدولة، والتخصص والقرب من الفئات المستهدفة، وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية وانسحاب الدولة من الخدمات الاجتماعية، والحاجة إلى دعم الفئات المحتاجة... (ص١١٥ ـ ١٣٥) من الكتاب.

كذلك عرض الدكتور فؤاد العمر في الكتاب لبعض جوانب الضعف في الاتصال بمؤسسات العمل الأهلي، بقوله: «إن جوانب الضعف هذه إذا لم يتم التغلب عليها أو مواجهتها فإنها في النهاية ستؤدي لمزيد من الكلفة المالية، وضعف في الفاعلية والأثر التنموي للوقف، وهو أمر يتنافى مع الغاية من الاتصال بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي».

ويمكن تلخيص بعض جوانب الضعف تلك في: ضعف الطاقة المؤسسية، وقلة الوعي بالمفهوم الشامل للتنمية الاجتماعية، وقلة الموارد المالية والبشرية، ومحدودية الخبرات والمهارات في الاتصال بمؤسسات العمل الأهلي.

وينتهي المؤلف من ذلك إلى التأكيد على أن «علاقة الشراكة والاتصال بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي يُظهر التجانس بينهما في كثير من الخصائص، كما يظهر إمكانية تجاوز مجالات التباين بينهما، مما يوفر بدوره قاعدة أساسية للاتصال الفاعل والمثمر الذي يحقق كثيراً من الفوائد والآثار الإيجابية لكلا الطرفين، استناداً إلى أن دواعي الاتصال بينهما كثيرة وأساسية.

## استثمار الوقف

في «الفصل الخامس» من الكتاب يتحدث المؤلف عن «كيفية» تنظيم وتطوير العلاقة بين مؤسسات العمل الأهلي ونظام الوقف ومؤسساته، لخدمة أغراض التنمية المحلية والقطرية، ويرى أن تأكيد إيجابية تواصل المؤسستين من خلال تنظيم وتطوير العلاقة بينهما لا يتحقق إلا بتوافر الأسس الشرعية للوقف في تحديد «ماهية» علاقته بمؤسسات العمل الأهلي، التي تقوم في جانبها الرئيس على أمرين هما:

- توجيه استحقاق إيرادات الوقف وتحديد مصاريفه.
- بيان من يستحق التولية أو حق إدارة الوقف وعمارته. (ص١٤٦ ـ ١٥٠) من الكتاب.

ثم هناك أيضاً ضوابط العلاقة بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي التي تقوم بدورها على اعتبارات عدة منها:

تحديد الأوليات والاتفاق على رؤية واضحة للعمل، ووجود علاقة تعاقدية بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي، وتوافر نظام رقابي ومالي على النشاطات والأعمال، وتوفير الحوافز لمؤسسات العمل الأهلي مع ربطه بالكفاءة في التوزيع، وحسن اختيار مؤسسات العمل الأهلي وتنويعها، وأخيراً دور الوقف في اختيار الكفاءات الإدارية المناسبة لإدارة أنشطته.

وهكذا يقرر المؤلف في نهاية هذا «الفصل» أن التحدي الذي يواجه علاقة الوقف مع مؤسسة العمل الأهلي يكمن في طبيعة العلاقة بينهما، وكذلك في الشكل المؤسسي، وفي معايير الاختيار أو القبول الذي يحكم أصلاً طبيعة هذه العلاقة. (ص١٦٣) من الكتاب.

أما حديث المؤلف عن «مقترحات لتفعيل العلاقة بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي لخدمة التنمية الاجتماعية في الدول الإسلامية»، فكان عنوان «الفصل السادس» من الكتاب الذي يؤكد خلاله أن الحاجة إلى مؤسسات العمل الأهلي تنبع من تعريف «التنمية الاجتماعية» التي تعني: «إشباع الحاجات الفردية التي يمكن الوفاء بها من خلال تقديم الخدمات المطلوبة بوساطة مؤسسات العمل الأهلي».

ويرى الدكتور فؤاد العمر أنه لكي تكون العلاقة فاعلة ومثمرة بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي في مجال التنمية الاجتماعية مثلاً، فلا بد من توافر أمور عدة منها: توافر البيئة الملائمة لأعمال مؤسسات العمل الأهلي، وتشكيل صناديق وقفية تضم الوقف ومؤسسات العمل الأهلي، وحصول إعفاءات ضريبية للمشاريع المشتركة بين الوقف ومؤسسات العمل الأهلي.

ويخلص المؤلف من ذلك إلى القول: إنه لا بد للوقف من الانتقاء والاختيار المناسبين، حسب المعايير المعتمدة، وأن عليه أن يقوم بمراجعة شاملة لعلاقته مع مؤسسات العمل الأهلي دورياً، بالإضافة إلى كل مؤسسة على حدة، لتقويم المنافع المكتسبة من هذه العلاقة. (ص١٨٣) من الكتاب.

**تطور نظام الوقف يوفر خط حماية ضد الاستعمار الجديد في الدول الإسلامية!!**

وأما «الفصل السابع» والأخير من الكتاب، فقد خصصه المؤلف «للخلاصة والنتائج» التي انتهى إليها في هذا البحث، وتتلخص فيما يلي: إن الحكمة من تشريع الوقف ـ في الأساس ـ تعني تحقيق التنمية الاجتماعية في المجتمعات والدول الإسلامية، من خلال إيصال المنافع للعباد.

- إسهام الوقف في المشاريع التي تُوجِدُ فُرصاً للعاملين من خلال عمليات استثمار الأوقاف في المجتمع.
- تشجيع التوعية والبحوث العلمية، وبخاصة التطبيقية منها، حول الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية.

## تعقيب

وبعد... فالكتاب الذي عرضنا له في جملته، يعد دراسة علمية قيمة، استطاع مؤلفه الدكتور فؤاد عبدالله العمر أن يتناول فيه مشكلة «إسهام الوقف» في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية، وهي المشكلة التي شغلته من سنوات طوال، بوصفها جزءاً من تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره منذ عهد النبوة، وبالتحديد عندما كان يُعد المادة العلمية عند تطور التاريخ الاقتصادي للمسلمين.

كما أن التوفيق حالف المؤلف كثيراً بفضل «النتائج» و«الخلاصات» التي توصل إليها عبر فصول كتابه هذا، بدءاً من استعراضه المركز لنماذج الدراسات المعاصرة في الموضوع ذاته، وبيانه أهمية الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية، ولاسيما في حياة المسلمين الحاضرة، ثم مناقشته العلم، لأسباب تردي العلاقة بين الوقف والدولة بعد تدخلها فيه، أو ما يسميه بـ «علاقة الوقف بالسلطة الحكومية» (ص٧١) من الكتاب.

وكذلك تناوله لبعض جوانب ضعف الاتصال بمؤسسات العمل الأهلي والوقف، والتي يرى أنه إذا لم يتم التغلب عليها أو مواجهتها من خلال السعي إلى إيجاد الاستراتيجيات الناجعة، فسيؤدي ذلك إلى مزيد من الكلفة المالية، واضمحلال الفاعلية والأثر التنموي للوقف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ●



فكر اعلامي

# تأصيل الفكر الإسلامي خارج البيئة العربية مفاهيم وآليات

٢/٢

بقلم محمد سعيد باه

**خرجنا في الحلقة الماضية بقناعة راسخة من ذلك الاستعراض السريع عن الوضع الثقافي القائم - في المنطقة - بأن الاتجاه الحالي لن يكون في صالح المشروع الإسلامي، وذلك لأنه تم تطويعه حتى يخدم أهدافاً أخرى ونمطاً مغايراً لمفاهيمنا الفكرية، وانطلاقاً من هذا التشخيص نجد أن المشروع يقوم على جملة من المعطيات توفر في مجموعها أسساً قوية لشرح أو بيان جدوى تبني مشروع من هذا النوع، ونستعرض بسرعة أقوى تلك الأسس التي تمثل مبررات لقيام المشروع:**

أولاً: إن واجب التبليغ يتطلب تكييف الأساليب ومواءمة الآليات المسخَّرة لتكون في خدمة الأهداف المرسومة مع اشتراط وجود عامل التجانس ويكون ذلك بناء على استقراء الواقع المطلوب تغييره «الإصلاح»، وهنا نجد أنفسنا أمام حقيقة واقعة لا مناص من الاعتراف بها والتعامل معها تتمثل في:

- أن تبدلاً هائلاً قد طرأ على الواقع الثقافي الأفريقي لأكثر من عامل.
- لقد تحولت اللغات الأفريقية إلى أداة فاعلة للتواصل مع المحيط الخارجي وإن كانت وظيفتها لا تزال تنحصر في دور التلقي «التأثر» ولم تصل إلى درجة الفعل بعد.
- أما السباق العقائدي «كسب مواقع جديدة» فيكاد ينحصر في الساحة الأفريقية وهي مرشحة إلى أن تبقى كذلك لعقود مقبلة على أقل تقدير.
- أن نصيبنا من عملية التأثير الثقافي يتسم بالضآلة كماً وكيفاً، وهو وضع غير سليم على الإطلاق.

**جزء من أفريقيا لا يزال يعيش وضعا صعبا مأساويا يلفه الظلام الدامس**

وهنا نرى أهمية توظيف اللغات الأفريقية كمعبر جيد لنقل كنوز الفكر الإسلامي إلى المسلمين الأفارقة.

ثانياً: أن اتباع أسلوب نقل الشعوب والجماعات المستجيبة لنداء الإسلام إلى المظلة الفكرية عبر قنوات لغوية طارئة لم يعد هدفاً واقعياً سهل التحقيق، وفي هذه الحال لن يكون الحل إلا في عكس القاعدة، نقل الإسلام إلى الشعوب بتوظيف القنوات اللغوية الخاصة بها على قاعدة المفكر «هوفمان»(٩).

## إيجابيات أخرى

بالإضافة إلى ميزة سرعة الإنجاز البارزة في هذا الأسلوب، نجد عناصر إيجابية أخرى:

- إمكانية التجذر والانتشار في آن معاً.
- توافر الجهد وترشيد الطاقة بمعنى اختصار مسافات طويلة.
- الوصول إلى كل شرائح المجتمع، لوجود روابط قوية تسهّل المهمة.
- وجود ميراث ضخم يصلح «تكئة» للمشروع الجديد.
- النمو المتسارع الخطى للنضج الثقافي الذي هو عامل إيجابي.
- إتاحة الفرصة لاعتناء مظومتنا الفكرية باستغلال مدخرات الأفارقة من الفكر الإسلامي.

ثالثاً: خلو الساحة الأفريقية حتى الآن من مشروع مماثل، وهو أمر أقل ما يقال فيه أنه يمثل ثغرة كبيرة في جدار الأمة قد أتينا منها مراراً، وقد حان الوقت لسدِّها، ونقصد قيام مشروع بهذا الحجم يهدف فقط إلى ترجمة القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة إلى اللغات الأفريقية معتمداً على

الأسلوب الجماعي مع التركيز على التأصيل العلمي ومع تسخير كل الوسائل التقنية المتوافر لخدمة المشروع، وتتوافر في هذا المشروع الفرصة الجيدة لملء هذا الفراغ الهائل الذي لن يكون في حال بقائه إلا تمكيناً للمد الآخر بكل مكوناته من الامتداد بسهولة وسرعة في فراغنا مرةأخرى.

رابعاً: إن المراقب اليوم للساحة الأفريقية يكتشف دون أدنى صعوبة بروز موجة واسعة تكاد تنتظم كل مواطني الشعوب الإسلامية في المنطقة تولي وجهها شطر الإسلام بالرغم من كثافة الحجب وعلو الحواجز، لكن ذلك لا يخفي أيضاً حقيقة مرادفة تتمثل في أن العوائق لن تنعدم بل هي كثيرة ومتنوعة بين متوقع وقائم.

وهذا الواقع يفرض القيام بواجب الترشيد والحماية، وهنا يأتي المشروع ليلبي ذلك النداء المنبعث من قلب أفريقيا الجريح والذي ظل ينبض بدم الإسلام رغم جثوها مئات السنين تراوح الوضع فيها بين الحصار ومحاولة اقتلاع الجذور، لأنه كما يقول المفكر «شيخ حامد كن» «... أعتقد أنه (الإسلام) دين قلبها (أفريقيا)(١٠)، ويجعل المشروع هذا القلب حياً نشطاً نابضاً يضخ الدم النقي إلى أعضاء الجسم المترهل.

خامساً: إن هناك جزءاً من أفريقيا لا يزال يعيش وضعاً مأساوياً، وضعاً يلفه الظلام الدامس، وضعاً يجعل حياة الفرد ووجود الجماعة كابوساً مزخرفاً تسعى قوى الظلام إلى تكريسه لقصور طروحاته في صقل العقلية الأفريقية في قوالب التثليث والصنمية المعصرنة - التي لا يزال للفطرة حضور مكثف في حناياها، وهو أمر قد يجعلها تتقبل سماع نداء يحمل مواصفات فطرية متجانسة متجاوبة.

إن هذا الجزء سيظل يصيخ السمع لعل نداء الفطرة يتسلل إلى أسماعه فيزيل ذلك الران المتكدس المتراكم.

سادساً: إن الضمان الوحيد المتاح اليوم لإحداث تغيير جذري يتمتع بصفة الديمومة في أفريقيا يتمثل في إيجاد ضوابط عقدية يتمتع بصلابة وسلامة البنيان على نطاق جماهيري وهو خط ينتهي بنا إلى اللغة كوسيلة لبسط مظلة فكرية تتوافر فيها أرضيته للتغيير العقدي ذاته.

سابعاً: إضافة إلى المد الخارجي المنافس هناك الأخطبوط الذي يتمثل في نحلة القاديانية التي تلعب دور الطابور الخامس، محاولة بصورة مستميتة، اختراق الساحة الأفريقية بعد أن ظلت محاصرة، وقد اهتدت إلى ما للغات الأفريقية من تأثير حاسم، فبدأت توظِّفها على نطاق واسع.

## البحث عن بدائل مساندة

فإذا كانت مسألة تأصيل الفكر الإسلامي في مواطن الشعوب المنضوية تحت مظلة الإسلام «أغلبيات وأقليات» ليست مثار جدل من الناحية المبدئية، فإن التنازع يظل حاداً إلى حد الاشتباك الفكري(١١)، حين يتعلق الأمر بالرؤى والآليات والوسائط العملية التي يجب توظيفها للوصول إلى الهدف المجمع عليه! وهنا نجد أكبر معوق يتمثل في بعض الترسبات الفقهية التي لها ارتباط بظروف انحرافية المزاج الفكري مرت بها الأمة، ويحاول بعضهم ضمور فقه الواقع

**من أسباب الخداع إقناع الجماهير بأن نعمة كتابة اللغات الأفريقية منة أوروبية بينما دفوف التاريخ تئط بإنتاج إفريقي ناضج على صهوة اللغة والحرف العربيين**

والمتغير عنده التشبث بتلك الترسبات، وذلك أمام قضايا خطرة لها مساس بمصير شرائح شاسعة من بلدان وشعوب تواجه أخطار الذوبان والصهر في بوتقة المسخ والاستنساخ، ومن أظهر الأمثلة على ترجمة معاني القرآن الكريم لغة الخطبة(١٢)، لا جدال في أن العربية هي لغة الأمة الأم باعتبارها وعاء القرآن بنص القرآن نفسه: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون).

لكن أيتنافر ذلك مع تبني فكرة القبول بوجود اللغات الإسلامية الرديفة؟(١٣)، ومن الناحية التاريخية، فقد اكتسحت العربية مساحات جغرافية وبشرية شاسعة على جناح الإسلام الزاحف يوم كان الزخم الحضاري والرصيد الفكري للإسلام كافيين، وكان الجذب قوياً لدرجة شد الشعوب والقبائل التي جاءت للتعارف في ظل الإسلام الوارف الذي وسع الجميع، ومن ثمَّ لم تكن إشكالية التواصل التي نعيشها اليوم قائمة على الإطلاق، وبعد أن خفت الوهج وخبا اللمعان اللذان كانا يجعلان الآخرين يندفعون تجاه العربية، لا لسود عيونها وجزالة عباراتها وإنما للمحتوى الجديد الذي تشرفت بحمله وولادته.

وأمام هذا الواقع الفكري المنقلب، ألا يجدر بنا البحث عن «بدائل» أو إذا خففنا العبارة قلنا: «وسائط مساندة».

## ردة ثقافية وشيكة

وحتى تتوافر لدينا القدرة على صوغ إجابة على مثل هذا السؤال، يحسن إلقاء نظرة استقرائية على أوضاع الشعوب المسلمة غير العربية تاريخاً وواقعاً لنقيس مدى متانة العربي الفكرية والثقافية التي تربطها بدولاب الحضارة الإسلامية، وخضوعاً لضغط المساحة التي لا يتيح المناورة كثيراً، فلنأخذ الوضع الأفريقي كمجسم نقيس عليه الأنماط الأخرى صحة وضعفاً.

تعتبر أفريقيا أول شعب سلكه الإسلام حين خطاخارج مكة محاصراً، حتى قبل الانتقال إلى قاعدة المدينة(١٤)، فكانت الحبشة المحطة الأولى، ثم شمال وغرب أفريقيا، ومع ذلك أنجرؤ على القول: إن الواقع القائم يشرِّف تاريخنا هناك؟

هل بحثنا بصورة جادة عن الدوافع الحقيقية التي جعلت قبائل بأكملها - لا نقول ترتد، لأن في ذلك إجحافاً وجنوحاً - تفقد الصلة بالإسلام، وتنسى نسبها العقدي الإيماني ولم يبق لديها إلا بعض الرسم وحروف متقطعة من الاسم وتظل متمسكة ببعض الرموز الموهمة(١٥).

ما الذي جعل الضمير الجمعي يصاب بالضمور أو التجمد تجاه قضايا الأمة الكبرى حتى أصبح التفرج والمرور مرَّ السحاب هو أفضل ما يتوقع من أعضاء الجسد الكبير عندما يكون ثمة مساس بكيان الأمة والمقدس لديها؟

وعند التأمل المستديم فلا يبعد أن تصدمنا الحقيقة المرة.

فالخلل المشترك يتمثل في انبتات الصلات مع الجذر الذي كان يولِّد، يوم كان انغراسه غير سطحي الانفعال والفعل الإيجابيين المنبنين على الاختيار والترجيح المصطبغين بحرارة إيمانية غير مفتعلة.

فكيف يسري تيار الأخوة في أجزاء ممزعة، وفي غيبة أداة التخاطب والتفاهم.

والقصد هنا هو المصدر الذي تنطلق منه تيارات التغذية الثقافية وتتقاطع عنده، ومن المحزن أن نجد أن ثقافات الشعوب المسلمة في أفريقيا تنأى بازدياد عن الإسلام بقدر ما يتكاثف الدخن الذي ظلت هذه الشعوب دهوراً في منأى عنه، إن الطنطنة عن الدعوة والتنصير والتهويد صرخات في أودية سحيقة إذا لم نتدارك نهجنا ورؤيتنا للطرائق التي نوظفها لوصل الشعوب بتيار الوعي بشقيه.

## الانتقال إلى المقايسة

أمن جميل الولاء للإسلام أن نظل قابعين داخل جحور الاحتجاج والتهويل، بينما تتقاتل الملل والنحل لكسب الشعوب عن طريق استمالة القلوب واستئناس الأفكار، بعد كسر الحواجز النفسية التي كان قد شادها الإسلام، متسللة إليها عبر كوّة اللغات والثقافات والموروثات لزحزحة تلك التي هي من صبغ الإسلام؟!

إن رفع الحجب بين الإسلام في مصدريه الأصليين، وبين الشعوب غير العربية تأتي كامتداد لعملية التفسير الذي صاغه الشارع لتقريب الوحي بشقيه إلى المخاطبين، ولقد فطن بعض المشتغلين بقضايا الأمة إلى محورية القضية فأحسن التعبير، حين قال: «إن إزالة حيلولة الذين يستغلون الدين بين الشعوب المسلمة غير العربية، وبين القرآن وتمثيله بنصوصه المترجمة أمامهم، ليكونوا على بيِّنة من كتابهم في عصر تكافح (فيه) الأديان والمذاهب، وتحريم الترجمة والأخذ بالتراجم يعد جبناً، وفراراً بكتاب الإسلام (القرآن) عن ساحة المقايسة بالكتب الأخرى»(١٦).

## جولة الحروف والخسارة الحضارية

وفي غفلة منّا، يخوض خصومنا اليوم معركة حامية الوطيس مع الوجود الإسلامي المتجذر في أرض أفريقيا، والتي يمكن اعتبارها امتداداً لمعارك أخرى بدأت بمحاولة الطعن في ثبوت ومصدرية القرآن والسنّة، ومروراً بإحلال العامية محل الفصحى، وانتهاء إلى فرض الحرف اللاتيني بعد إزاحة الحرف العربي تمهيداً لوصل هذه الثقافات بالعربة الأجنبية «الغريبة عليها»، بالأمس خسرنا لغات في تلك البلدان الإسلامية التي رزحت عقوداً تحت نير البلشفة البغيضة والحاقدة على كل ما يمتُّ إلى السماء بصلة، حيث أحلّت بعد سلسلة من الخطوات المكّارة الروسية محل اللغات الإسلامية(١٧)، واليوم نعرج في أفريقيا على فصول مسرحية الانحدار الدامغة بإحلال الحرف اللاتيني بدلاً من العربي وربما من الصحيح أن نقول إن القوم فازوا بجولة «الحرف» لغياب المقارع.

ومن أسباب الخداع إقناع الجماهير بأن نعمة كتابة اللغات الأفريقية منة أوروبية بينما دفوف التاريخ تنط بإنتاج إفريقي ناضج على صهوة اللغة والحرف العربيين، يروي لنا «فنسامونتاي» نتفاً جيدة في هذاالباب، كما رأينا.

أما الخسارة الحضارية التي ستخلفها سيطرة الحرف اللاتيني لا يمكن تقديرها لأن ذلك يعني بكل بساطة قطع الصلة بين الشعوب المسلمة وبين تراث ناضج وتاريخ أثيل عمرها عشرات القرون، من ثم يتم إحداث القطيعة الثقافية الفظيعة التي ستسلخ جسم الأمة لينزرع في الفراغ الذي سينتج من ذلك لا محالة، نمط ثقافي مغاير ينكره الناس، ثم يألفونه.

**رفع الحجب بين الإسلام في مصدريه الأصليين. وبين الشعوب غير العربية امتداد لعملية التفسير الذي صاغه الشارع لتقريب الوحي بشقيه إلى المخاطبين**

إن السعي إلى تأصيل الفكر الإسلامي خارج البيئة غير العربية مع حصر الآليات الثقافية على اللغة العربية قد تتصادم مع مفهوم، وإن لم يكن المقطوف الآية الكريمة (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)(١٨).

## مقارنة بين صورتين

كثيراً ما تساءلت عن سر الفارق الرحب بين مستوى التجذُّر الذي أحرزه الوجود الإسلامي في آسيا غير العربية وبين الوضع في أختها أفريقيا التي تشهد اليوم إرهاصات ردة ثقافية يخشى أن تكون واسعة الأرجاء، مع أن العامل التاريخي يحسب للأخيرة؟

وبعد استبعاد العنصر الجغرافي الذي يكاد الجانبان يتساويان فيه، تراءى لي أن البعد اللغوي الذي جمع بين التزاوج والاستقلال في آسيا قد خدم الشعوب الآسيوية كثيراً، والذي نقل الممارسة الثقافية الفكرية من الاقتباس إلى وضع المرجعية والمساهمة.(١٩)

وقد يكون لطبيعة الاستعمار الذي تعرَّض له كل من المنطقتين دور في المسألة، حيث أدت السياسة الفرنسية الثقافية، والتي تقوم على ركوب القارب ثم تحطيمه إلى تجفيف الينابيع الثقافية الإسلامية تمهيداً لردمها نهائياً، بخلاف الإنكليز الذين يسلكون نهجاً آخر يؤدي إلى نتيجة مقاربة طبعاً.

## الواجب تجاه الجرف الثقافي

ومن نافلة القول، تبيان أن القوالب والأطر لا تمثِّل إلا ممرات وسراديب إلى فرض مضامين ومفاهيم تتصادم مع المخزون التاريخي، لهذه اللغات عن طريق الاستفادة من القطيعة الثقافية التي أصبحت وشيكة الوقوع، ومن ثمَّ يسهل ابتلاع الأجيال الصاعدة وجرفها بعيداً عن تخوم القرآن الذي سينتصب ألف حاجز ومليون برزخ بينه وبين واقعهم.

ومرة أخرى يواجهنا السؤال:

ما الذي يتوجب عمله أمام هذا الجرف الثقافي الهائل الذي يكاد يبتلع تاريخنا وواقعنا ليلغي المستقبل؟

يحزننا أن نعترف بأننا قوم مردوا على استخدام المستهلك الذي انتهت صلاحيته في مجال آليات الصراع، حيث نتأفف حتى إذا قضى الخصوم أوطارهم تلقفنا المخالفات، وأقرب مثال هو العمل الخيري المؤسسي، فحين انتبه بعضهم إلى خطورة هذه الأداة وبدأوا يدقون باب العمل الخيري، انتقل القوم به إلى أفق أعلى يحظر علينا تسلقه(٢٠).

قد يجادل بعضهم بأن توظيف اللغات الأخرى في مشروع كوسائط لتأصيل الفكر الإسلامي في البيئات غير العربية لا

ينسجم مع مطلب التعريب، نستطيع محاججة مثل هذا المنطق من محاور عدة، لكن يكفي الإشارة إلى مسائل:

أولاً: فالأسلمة ـ خارج البيئة العربية على الأقل ـ مقدمة على التعريب كهدف.

ثانياً: إن هذه اللغات تعتبر ـ في الوضع الصحيح ـ ظهيراً للعربية، كما وقع ذلك تاريخياً، لأن المضمون الإسلامي سيحولها إلى قناطر لعبور الشعوب إلى العربية، لأن المحتوى الجديد سيجعلهم يتوقون إلى معاينة المصدر، وبالتالي فإن الترجمة إلى تلك اللغات تجعلها رديفة للعربية وروافد لها وليست المشاكسة.

ثالثاً: إن صون العربية «قضية» مفروغ منها في حسّ تلك الشعوب، وفوق الضمان القرآني، يأتي الواقع المتناهي ـ رغم البقع القاتمة ـ ليؤكد على ذلك، ولا تزال الدراسة تلو الدراسة تصدر لتدعم وجهة النظر هذه، ولقد توصل عالم اللغات الأميركي «روجر فشران» في دراسة حديثة له ـ إلى توقع تناقص عدد اللغات في العام ـ بالاندماج والاندثار ـ من ٦٨٠٠ في الوقت الحاضر إلى ١٠٠ خلال ثلاثمئة سنة، وستكون العربية من ضمن تلك التي ستصمد.(٢١).

## الخلاصة

إن القيام بتقريب الأصول الإسلامية إلى هذه الشعوب ليعتبر، بكل المقاييس، من أكبر المهمات الحضارية التي نستطيع بها خدمة الأمة في عصر ذوبان السدود الثقافية، وطغيان المؤثرات الفكرية المقتحمة لواقعنا الداخل الذي لم يعد محصناً فكرياً ولا عقدياً.

وشرط الأساس هنا للنجاح أن نكون إيجابيين، فبدلاً من التباكي وذرف الدموع على صفحات الجرائد والدوريات لتأبين الآلاف الذين تتخطفهم آلات التضليل في أفريقيا وآسيا، لِمَ لا نضيء ولو شمعة واحدة نبدد الظلام حتى نمنع الخفافيش من استغلال كثقافة الظلمة؟

**تعتبر أفريقيا أول شعب سلكه الإسلام حين خطا خارج مكة محاصراً، حتى قبل الانتقال إلى قاعدة المدينة**

ونشير هنا إلى بعض الأسس التي نستطيع الاستفادة منها:(٢٢)

ـ تشجيع ودعم الجهود الخيِّرة التي تقوم بها المؤسسات الإسلامية في هذا المجال.

ـ تبنِّي مشروع خاص لترجمة معاني القرآن الكريم والسنَّة النبوية إلى أهم اللغات الإسلامية تحت رعاية مؤسسات علمية متخصصة وجادة.

ـ إنشاء إطار متخصص لجمع واستغلال التراث الإسلامي الإفريقي المكتوب باللغة والحرف العربيين، حيث آلاف المخطوطات مهددة بالضياع والسرقة والتزييف.(٢٣).

ـ إلى جانب تطوير الحرف العربي، يجب الاهتمام وتشجيع الإنتاج بالحرف اللاتيني الذي أصبح واقعاً يجب التعامل معه بعقلانية وواقعية.

ـ جمع ومراجعة وتنقيح ترجمات القرآن الكريم الموجودة، والتي يمكن أن يستغل خصومنا ما فيها من قصور يصل إلى حد التحريف أحياناً.

ـ التعامل مع القضية بجدية عن طريق التأطير والهيكلة والتفعيل على غرار ما فعلته رابطة العالم الإسلامي بمسألة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وبعد، فحين نضع القرآن الكريم ورديفاته في متناول الشعوب المسلمة التي تعيش خارج البيئة العربية نكون قد حققنا أهدافاً استراتيجية كبيرة أهمها:

ـ تحصين تلك الشعوب، وبالتالي نقلها إلى حيز الفعل بدلاً من الانفعال.

ـ فتح الباب أمام الملايين الذين لا يمكن أن نصل إلى الدعوة إليهم إلا باتباع هذا الطريق وفوق ذلك نكون قد أدينا الشهادة على الوجه الصحيح.

(إنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) الدخان:٤٤.

بماذا سنجيب ●

## الهوامش:

٩ ـ «مراد هوفمان» المفكر الألماني المسلم، انظر كتابه «الإسلام عام ألفين»، وآخر بعنوان: «الإسلام كبديل».

١٠ ـ شيخ حامد كان مفكراً مسلماً من السنغال، شغل منصب وزير التخطيط والصناعة، ترجمها الكاتب إلى العربية بعنوان «المغامرة الغامضة».

١١ ـ يدور اليوم صراع فكري شرس بين القوى التي تتنافس في أفريقيا لبسط هيمنتها موظفة عوامل فكرية وثقافية وعلى رأسها اللغة، حيث تسعى الثقافة الأنجلوسكسونية إلى احتلال المواقع التي كانت في حوزة الثقافة الفرنسية في كل من منطقة البحيرات الكبرى وغرب أفريقيا.

١٢ ـ انظر مقررة مادة الاستشراق السنة الرابعة بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية من إعداد د.أحمد محمد علم الدين.

١٣ ـ تقول د.سارة حسن منيمنة في كتابها: «في جغرافية العالم الإسلامي» عن هذه القضية: «لم يلزم الإسلام الشعوب والأقوام التي تدين بالإسلام بتعلم اللغة العربية، والتخلي عن لغتهم، لأنه لو فعل لضعفت الرسالة ومهمة تبليغها» دار بيروت المحروسة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

١٤ ـ ومن المؤسف أن الهجرة إلى الحبشة وما خلفتها من آثار لا تزال تمثل ثغرة تاريخية لعدم نيلها ما تستحقه من دراسة وتمحيص من قِبَلِ الباحثين.

١٥ ـ يورد د.عبدالرحمن السميط في كتابه «رحلة خير إلى أفريقيا» صوراً واقعية تجسد المأساة التي عاينها في جزر «المدغشقر» وغيرها من المناطق التي كان للإسلام فيها وجود ثم اضمحل، ويبذل الرجل اليوم جهوداً خارقة لإعادة رسم الصورة المتحطمة.

١٦ ـ «مسألة ترجمة القرآن» للشيخ مصطفى صبري، نقلاً عن مقرر مادة الاستشراق، سبقت الإشارة إليها.

١٧ ـ للتوسع عن هذه القضية انظر كتابات د.مصطفى الطحان، عن هذه المنطقة.

١٨ ـ سورة إبراهيم:٤، ولقد استخرج العلامة القرضاوي من الآية مفهوم «ثقافة القوم المرسل إليهم»، وهو تخريج يتناغم مع ما يليه «ليبين لهم» انظر كتابه «ثقافة الداعية» أيتأتى التبيين في غيبة من قنوات التواصل والتحاور، واستغلاق النص أمام المرسل إليهم؟!.

١٩ ـ تختزن المكتبة الإسلامية العربية اليوم أعمالاً رائدة مترجمة من الأردو وغيرها.

٢٠ ـ لقد أصبحت المؤسسات الخيرية الغربية اليوم قوى ضاغطة تفرض حضورها داخل المنتديات الدولية كالجمعية العامة للأمم المتحدة وتسلط سيفها على الدول والأنظمة وينظر إليها كبعبع لا يقاوم.

٢١ ـ جريدة السياسة البيروتية عدد ٨٥٦٨، بتاريخ ٣/٤/٢٠٠٠م، كما يُراجع كتاب «الفصحى لغة القرآن» تأليف الأستاذ أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.

٢٢ ـ هذه العناصر مستلة من مقدمة مشروع ابن عباس لترجمة معاني القرآن الكريم والسنة النبوية إلى اللغات الأفريقية، إعداد الشيخ ابن عمر لي ومحمد سعيد باه.

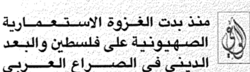
٢٣ ـ ومن أسوأ الإمثلة ما قام به الصهاينة في نقل وثائق إسلامية ثمينة من دولة أفريقية مسلمة إلى إسرائيل بهدف الترميم والصيانة، ثم إعادة نسخ مزيفة بعد تحريفها. انظر: الاخطبوط اليهودي يستهدف الوجود الإسلامي في أفريقيا ـ محمد سعيد باه.





# لماذا يقلق الصهاينة من زيادة مسلمي أوروبا وتناقص يهودها؟

ممدوح الشيخ - كاتب ومفكر إسلامي - مصر



**منذ بدت الغزوة الاستعمارية الصهيونية على فلسطين والبعد الديني في الصراع العربي الصهيوني يشغل الباحثين والمحللين، ورغم أن الحركة الصهيونية عندما ظهرت كان معظم قياداتها من الصهاينة العلمانيين، بل إن بعضهم كانوا ملحدين، فإن الوزن النسبي لهذا البعد يزداد باستمرار داخل الكيان الصهيوني، وبين الجماعات اليهودية خارج الكيان الصهيوني. وقد طرأ متغيران أحدهما داخل الكيان الصهيوني والآخر خارجه أديا معاً لازدياد الاهتمام بهذا البعد، أما البعد الداخلي فهو زيادة نفوذ التيار الصهيوني الديني على حساب نفوذ التيار الصهيوني العلماني. الأمر الذي تمثلت نتائجه في المزيد من الرغبة في تأكيد يهودية الدولة.**

أما المتغير الخارجي فتمثل في تعاظم دور الجاليات الإسلامية في الغرب في الحياة العامة وممارستها دوراً مؤثراً يستهدف ضمن ما يستهدف تغيير الموقف الغربي الرسمي من الصراع العربي الصهيوني. وتعد المساعي التي بذلت لتقديم مجرم الحرب الصهيوني «إرئيل شارون» للمحاكمة أمام القضاء البلجيكي واحداً من أهم نماذج هذا الجهد الذي يقلق الكيان الصهيوني والجماعات اليهودية على السواء.

## صعود الإسلام

وفي يونيو من هذا العام نشر «الكونغرس اليهودي العالمي» تقريراً عنوانه: «حول صعود الإسلام في أوروبا»(١)، وقد تناولته صحافة الكيان الصهيوني بالتحليل محذرة من خطر ازدياد الوزن النسبي للمسلمين في الغرب عموماً، وبخاصة أوروبا وتأثيرات ذلك في الموقف الأوروبي من الصراع العربي الصهيوني. وتأتي أهمية التقرير في أنه نموذج عملي للكيفية التي يرى بها الصهاينة البعد الديني في الصراع والعلاقة بين الصراع العربي الصهيوني والأوضاع الدولية. فهذا التقرير وأمثاله مما يؤكد أن كل مسلم أياً كانت جنسيته هو في نظر مثل هذه المنظمة، التي تمثِّل الجماعات اليهودية في العالم أجمع داخل الكيان الصهيوني وخارجه هو عدو محتمل.

يقول التقرير: إن الدين الإسلامي اليوم يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوروبا، وهناك نحو ٢٠ مليون إنسان في دول الاتحاد الأوروبي يعتبرون أنفسهم مسلمين، ويمثل المسلمون الأوروبيون اليوم قوة سياسية يتوجب أخذها بالحسبان. وإذا تواصل هذا الاتجاه، سيشكل المسلمون في العام ٢٠٢٠م نحو ١٠٪ من مجموع السكان في أوروبا، وبين الأعوام ١٩٦١م - ٢٠٠١م مثلاً، ازداد عدد المسلمين في بريطانيا من ٨٢ ألفاً إلى أكثر من مليون، وقد بدأ الوجود الإسلامي يترجم نفسه إلى محاولات للتأثير في الرأي العام الغربي، فمثلاً بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، بادرت المنظمات الإسلامية إلى إصدار نداءات لمقاطعة محلات «ماركس أند سبنسر» مدعية - وهو تعبير كاتب التقرير - أن جزءاً من أرباحها يحول لمساعدة الكيان الصهيوني.

وفي المناطق الانتخابية التي يعيش فيها مسلمون كثيرون توزع في الانتخابات عشرات الآلاف من المنشورات ضد المرشحين الذين يعتبرون مؤيدين للكيان الصهيوني.

### فرنسا ساحة صراع

وفي فرنسا التي تتميز سياستها منذ انتهاء حرب الجزائر بنظرة غير مناصرة لإسرائيل - حسب التقرير - يعيش اليوم ٤ ملايين و٢٠٠ ألف مسلم يقيمون فيها بشكل قانوني، إضافة إلى مئات الآلاف من المهاجرين غير الشرعيين، واهتمام الدولة الصهيونية والحركة الصهيونية معاً بالوضع الديموغرافي في فرنسا وتأثيراته السياسية يسبق صدور هذا التقرير بسنوات، إذ تعتبر بعض الدوائر الصهيونية أن الموقف الفرنسي الذي يعد أقل انحيازاً للكيان الصهيوني من دول التشكيل الإنغلوسكسوني البروتستانتي «الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا» راجعاً إلى أسباب عدة من بينها الوجود الإسلامي في فرنسا.

ففي استطلاع للرأي نُشر في باريس(٢) في ديسمبر من العام ٢٠٠١م جاء أن ٩٪ فقط من الفرنسيين لا يزالون يتعاطفون مع المواقف الإسرائيلية «مقابل ١٤٪ منذ عام مضى»، في حين أعلن ١٩٪ منهم تعاطفهم مع المواقف الفلسطينية (أي بزيادة ١٪ مقارنة باستطلاع أجري العام الماضي)، وتشير الأرقام بوضوح إلى أن التغير لا يستمر زمناً طويلاً، بل تتغير الصورة من عام إلى عام.

ووفقاً لاستطلاع آخر أجرته مؤسسة (بي.في.أي) ونشرته صحيفة (ليبراسيون) الفرنسية، فإن أكثر من ثلث عينة الاستطلاع أعربوا عن عدم تعاطفهم لا مع الإسرائيليين ولا مع الفلسطينيين (مقابل ٣٨٪ العام الماضي)، ويظهر الاستطلاع الذي شمل عينة من ٩٦٥ شخصاً أن ٤٢٪ من الفرنسيين يعتبرون أن تغطية النزاع من قبل وسائل الإعلام تتم بشكل موضوعي (مقابل ٥٦٪ العام الماضي)، واعتبر ١٨٪ إنها منحازة لصالح الإسرائيليين (مقابل ٩٪ العام الماضي)، و٧٪ يرون أنها منحازة للفلسطينيين مقابل (٩٪ العام الماضي).

## يمثل المسلمون الأوروبيون اليوم قوة سياسية يتوجب أخذها بالحسبان

### الحقائق ودلالاتها

الجدير بالتوقف أن ٤٩٪ ممن شملهم الاستطلاع أعربوا عن خشيتهم من تنامي مشاعر معاداة اليهود في فرنسا. ورغم أن هذه النسبة تمثل تراجعاً عن نسبة العام الماضي، إذ قدر ٧٠٪ من عينة استطلاع مماثل وجود هذاالخطر. إلا أن رئيس مجلس أساقفة فرنسا «المونسنيور جان بيار ريكار» اعتبر أن تنامي معاداة السامية في فرنسا ليس «وهماً»، مشيراً في الوقت نفسه إلى ما سماه «انعكاسات النزاع الإسرائيلي الفلسطيني» في بلاده وتسببه في هذا التنامي. وتساءل: هل يمكن أن يوجه المرء أيضاً انتقادات لإسرائيل من دون أن يوصف بمعاداة السامية؟ وأضاف: أنا أتمنى ذلك.

ويرى كتّاب التقرير أن «اللاسامية» من جهة والعداء للمسلمين من جهة أخرى يتمخضان في غرب أوروبا أحياناً عن شبكة علاقات متناقضة بين المسلمين واليهود واليمين المتطرف. فمن جهة توجد لليهود والمسلمين مصالح مشتركة «مثل الدفاع عن وسائل الذبح الحلال»، وفي بعض الأحيان أعداء مشتركين أيضاً «اليمين المتطرف». ويضرب التقرير مثالاً باللورد أحمد المسلم الأول في مجلس اللوردات البريطاني، إذ قال في ربيع العام ٢٠٠٠م عندما جاء للقدس كضيف على الكونغرس اليهودي العالمي: إنه «عندما تكون هناك علامات الخوف من الإسلام فإن المؤشرات اللاسامية لا تكون بعيدة هي الأخرى». من جانب آخر في قضية الشرق الأوسط هناك خلاف بين أغلبية المسلمين وأغلبية اليهود في غرب أوروبا، وهذا ينعكس أيضاً من خلال أعمال العنف.

وقد ادَّعى التقرير أن هناك مؤشرات إلى أن مجموعات نازية جديدة مستعدة للتعاون مع مسلمين ناشطين ضد «العدو اليهودي المشترك». وهناك نشوء لنوع من التحالف بين المسلمين الناشطين خصوصاً العرب وبين من ينفون حدوث كارثة إبادة اليهود من النازيين الجدد. الدلالة على درجة تعقيد منظومة العلاقات الثلاثية هذه تاتي من خلال مقالة نُشرت في صحيفة «نيوستريتس تايمز» التي تصدر في سنغافورة، حيث يتبين أن الحفاظ على الوضع الراهن القائم بين الملاويين المسلمين والصينيين البوذيين مسألة وجودية. الصحيفة هاجمت رئيسة الحزب المسيحي الديموقراطي في ألمانيا «أنجيلا ماركل» لأنها دعت المهاجرين الأتراك للانصهار في الحضارة الألمانية - كما فعل اليهود في السابق - قائلة: «إن كان هناك شيء ما نتعلمه من التجربة اليهودية ومن تجربة جاليات المهاجرين في ألمانيا تحديداً، فهو أن الانصهار لا ينقذ أي جالية عندما تتزايد العنصرية المؤسسة، والعبرة التي علمتنا إياها الكارثة النازية هي أن غرف الغاز التي ستبنى في المرة المقبلة في أوروبا ستكون مخصصة للمسلمين»!!.

### نحن ومسلمو الغرب

وهذا التقرير وأمثاله يفرض ضرورة إعادة النظر لطبيعة العلاقة بين العالم الإسلامي ومسلمي الغرب، فهذه النظرة التي تضعهم ضمن خصوم المشروع الصهيوني تعني بالضرورة أن يدفعوا ثمن اعتناقهم الإسلام، وأن يتعرضوا لدرجات متفاوتة من الاستهداف تفرض علينا مناصرتهم حسب ظروف كل حالة، كما أنها تعني أنهم رصيد للأمة لا يجوز التفريط به وقصر التعامل معهم على الجنسية التي يحملونها، فهم جزء من جسد الأمة الذي ينبغي أن يتداعى إذا اشتكى منه عضو. وما تبع أحداث الحادي عشر من سبتمبر من تداعيات مسَّت أوضاع الكثيرين منهم على نحو سلبي يفرض ضرورة أخذهم في الاعتبار عند صياغة العلاقة مع الغرب.

وفي إطار الحاجة التي فرضتها المتغيرات المُشار إليها يكون لهذه الجاليات المسلمة دور كبير في إقامة جسور حوار مع الغرب، فهم بحكم الإقامة فيه - وبعضهم غربيون بالميلاد اعتنقوا الإسلام - قادرون على أن يكونوا جسراً بين الحضارتين ووسيلة ناجحة لنقل أفكارنا وآرائنا لهذه المجتمعات باللغة التي تفهمها، وفي الوقت نفسه يمكن أن يكونوا وسيلة تعيننا على بلورة صورة أكثر رشداً للغرب بعيداً عن صيحات الحرب ودعاوى الصراع.

ولا يعني ذلك أن نتعامل مع مسلمي الغرب وفق الحاجة وحسب بمنطق نفعي، بل يعني أن نقيم معهم علاقات أكثر استقراراً وعمقاً، وبخاصة أن الجيلين الثاني والثالث من أبناء المهاجرين منهم يشعر كثير منهم برغبة قوية في استعادة هويته العربية الإسلامية لتحميه من الذوبان، ويتوقف تحقيق هذا الهدف المهم - إلى حد كبير - على ما نقدمه لهم من عون، ولا شك في أن هذا التقرير وأمثاله يدفع الكثيرين منهم لتأكيد انتمائه الإسلامي وتوثيق روابطه بأمته الإسلامية ●

### الهوامش:

١ - جريدة الوطن العُمانية ١٤ يونيو ٢٠٠٢م.

٢ - تقرير بثته وكالة الأنباء الفرنسية في ٢٠٠١/١٢/١٨م.

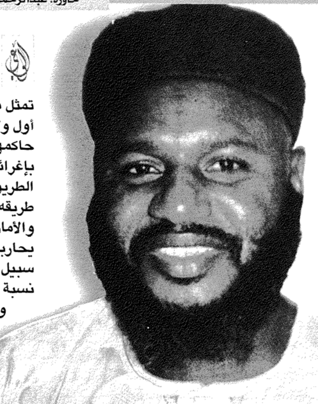


حـــوار

## أحمد محمد الثاني حاكم أول ولاية في نيجيريا تطبق الشريعة الإسلامية لـ الوعي الإسلامي

# أغروني بعشرة ملايين دولار للتراجع عن تطبيق الشريعة وعندما رفضت هددوني بالقتل

حاوره: عبدالرحمن سعد



من قلب القارة السوداء، هناك من نيجيريا، أكبر دولة أفريقية انبثق نور جديد هو نور إعلان تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في ١٢ ولاية من ولاياتها، تمثل مساحتها ثلث مساحة نيجيريا، وكانت ولاية «زمفرا» أول ولاية تعلن تطبيق أحكام الشريعة الغراء، ما جعل حاكمها أحمد محمد الثاني، يواجه صعوبات جمة، سواء بإغرائه بملايين الدولارات من أجل ثنيه عن المضي في هذا الطريق، أو تهديده بالقتل، وهو ما لم يأبه له، مستمراً في طريقه، وسط تأييد شديد من شعبه، الذي ذاق طعم الأمن والأمان، والعدل، والمساواة، في ظل الشريعة، فاعتبر أن من يحاربها إنما يحاربه، معرباً عن استعداده للموت في سبيل استمرار العمل بها، ولا سيما بعد أن انخفضت نسبة الجرائم، ولم يعد هناك بيت دعارة أو معمل خمور واحد في الولاية، وتم إنشاء إدارة خاصة لمكافحة الرشوة، ومراقبة ثروات المسؤولين في الولاية قبل تولي المنصب وبعده.

ومن هنا جاءت أهمية هذا الحوار الذي أجرته «مجلة الوعي الإسلامي» مع أحمد محمد الثاني حاكم ولاية «زمفرا»، أول ولاية في نيجيريا تشهد تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء.

● **من أنتم؟ وما قصة توليكم حكم ولاية «زمفرا»؟**

- اسمي أحمد محمد الثاني، أو أحمد ثاني يريما، وهذا اسمي الحقيقي، وُلدت في مدينة «أفكار» في ولاية «زمفرا»، درست المرحلة الابتدائية في المدينة نفسها، ثم واصلت حتى المرحلة الثانوية، ثم التحقت بالجامعة، وحصلت على «ماجستير» في الاقتصاد، وبعد ذلك بدأت العمل الرسمي في وزارة المالية بولاية «سوكوتو» التي كانت «زمفرا» جزءاً منها، ثم عملت في إدارة توفير وظائف للشعب التابعة لوزارة الأشغال العام ١٩٩٦م، التابعة للحكومة المركزية، وبعدها عملت في البنك المركزي في نيجيريا، ثم عدت إلى ولاية «سوكوتو»، وواصلت عملي في وزارة المالية.

وعندما أُنشئت ولاية «زمفرا» كنت ما زلت أعمل في وزارة المالية، لكني قدمت الاستقالة، وبدأت العمل بالسياسة منذ العام ١٩٨٨م، وخضت الانتخابات عن حزب «كل الشعب» الفيدرالي، أي الموجود في كل ولايات نيجيريا، لكنه غير إسلامي، وهو الثاني من حيث الشعبية ضمن ثلاثة أحزاب فيدرالية، حيث فاز الحزب بتسعة عشر مقعداً من أصل ٢٤ مقعداً في الولاية في مايو ١٩٩٩م.

● **ومن ذلك التاريخ وأنت تحكم ولاية «زمفرا»؟**

- نعم.

● **ماذا عن الواقع الإسلامي في نيجيريا وكيف فكرتم في تطبيق الشريعة؟**

- تاريخ الشريعة الإسلامية يرجع إلى الدولة الإسلامية التي أسسها الشيخ «عثمان دامفوديو» الذي حكم بشرع الله - وكان ذلك في القرن الماضي قبل ١٨٠ سنة، ولما كان الاستعمار جاء بالقوانين الوضعية، وألغى الشريعة، وجاء بعض العلماء المجتهدين مثل الشيخ «أبوبكر محمود» الذي كان يدعو إلى السلفية وتحكيم الشريعة، وكنت أحضر المحاضرات والدروس وتتلمذت على أيدي العلماء، ومن ثمَّ فكرت في الإسهام في رجوع الناس إلى الأصل، وتطبيق الشريعة الإسلامية.

● **كيف كانت ردود الفعل بعد تطبيق الشريعة في الولاية؟**

- في أثناء الحملة الانتخابية كنت أعد الناس بتطبيق شرع الله إذا فزت في الانتخابات لنصر الإسلام والدين، ومن هنا أحبني الناس وانتخبني الشعب معظمه في الولاية، ووقفوا بجانبي.

● **هل كنت أول من طبق الشريعة في إحدى ولايات نيجيريا؟**

- نعم.

● **وكم عدد الولايات التي امتد إليها هذا التطبيق واقتفت هذه الخطى؟**

- ١١ ولاية فهناك الآن ١٢ ولاية تطبق الشريعة في نيجيريا، بما فيها ولاية «زمفرا»!.

**المظاهر... والآثار**

● **ما صور ومظاهر تطبيق الشريعة عندكم في «زمفرا»؟**

- نحمد الله أن الناس في ولاية «زمفرا» اتجهوا إلى الله وتمسكوا بالدين، بعد بدء تطبيق الشريعة، لأن هناك وعياً وصحوة إسلامية، وخصوصاً بعد تمسك الناس بشعائر الدين من صلاة وصوم، وتجمعوا على كلمة واحدة، وخصوصاً بعد إنشاء وزارة الشؤون الدينية في الولاية، وكانت أول وزارة تنشأ عندنا، ثم تكونت لجان مختصة بالصلاة ووقتها، وأخرى لرصد الأهلّة، وثالثة للحسبة، وغيرها، بهدف توعية الناس بشتى شؤون دينهم.

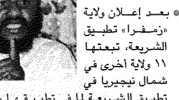
● **هل هناك محاكم إسلامية تطبق الحدود أو بنوك إسلامية في الولاية؟**

- نعم، منذ بدء تطبيق الشريعة وجدت محاكم لتطبيق الحدود، وحدث هذا بعد الرجوع إلى المراجع الإسلامية، أما فيما يتعلق بالبنوك الإسلامية، فإن أمرها بيد الحكومة المركزية، ولكن لحكومة الولاية صلاحية للقيام بمثل هذه الأعمال، وهناك تحركات حالياً بصدد ذلك.

● **ما الآثار الاجتماعية الإيجابية التي ترتبت على تطبيق**

عندما ذاق الناس طعم الأمن والأمان أعلنوا استعدادهم للموت في سبيل استمرار العمل بالشريعة

## أحمد محمد الثاني وتطبيق الشريعة

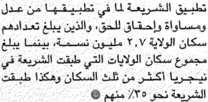


● عمره ٤٢ عاماً.

- نشأت الفكرة لديه عندما كان يحضر الدروس والمحاضرات للعلماء وبخاصة للشيخ أبي بكر محمود جومي وغيره من العلماء، فوجد أن الدستور النيجيري لا يعارض فكرة تطبيق الشريعة في أي ولاية، لأن نيجيريا فيدرالية، ومن هنا تقدم بالفكرة للبرلمان، فنالت تأييد النواب بالإجماع، والتأييد الشعبي الكاسح.

● في ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م أعلن عن تطبيق الشريعة في الولاية «زمفرا».

● بعد إعلان ولاية «زمفرا» تطبيق الشريعة، تبعتها ١١ ولاية أخرى في شمال نيجيريا في تطبيق الشريعة لما في تطبيقها من عدل ومساواة وإحقاق للحق، والذين يبلغ تعدادهم سكان الولاية ٢,٧ مليون نسمة، بينما يبلغ مجموع سكان الولايات التي طبقت الشريعة في نيجيريا أكثر من ثلث السكان وهكذا طبقت الشريعة نحو ٣٥٪ منهم ●



الشريعة، ولا سيما في مجال مكافحة الجريمة والانحرافات؟

ـ منذ أن طُبقت أحكام الشريعة رجع الناس إلى الله وتمسكوا بالعبادة والكتاب والسنَّة والاهتمام بالثقافة الإسلامية، وكذلك تحقيق العدل والمساواة بين الحاكم والمحكوم وغيرها، ما جعل الناس يعرفون أن الحكم الإسلامي أعدل حكم ونظام، الأمر الذي دفعهم ـ بالتبعية ـ إلى التمسك به.

● **هل هناك من آثار إيجابية على الحياة الشخصية للمواطنين والتي منها حل المشكلات الزوجية أو مشكلات البطالة أو غيرها؟**

ـ الحمد لله... انخفضت نسبة الجرائم بشكل ملحوظ... ولا يوجد ف الولاية كلها بيت واحد للدعارة أو معمل للخمور، أو غيرها من المحرمات، وهناك من يراقب هذه الأمور، ومن يقع فيها يُقام عليه الحد في المحاكم الشرعية... ومن الناحية التربوية والعلمية نشأت المدارس الإسلامية، وأُنشت مستشفيات جديدة يُعالج فيها الناس مجاناً، كما تُوزع الأموال لمكافحة الفقر، والقضاء على البطالة بتوافر أعمال للشباب للقضاء على الجريمة التي تنشأ عن الفراغ.

● **كم عدد السكان المسلمين في الولاية؟**

ـ عددهم مليونان و ٧٠٠ ألف، وغير المسلمين نسبتهم بينهم أقل من ١٪.

## ثورة الغرب

● **شن العالم الغربي حملة على نيجيريا بعد تطبيق بعض الولايات للشريعة... كيف تنظرون إلى هذه الحملة؟**

ـ عملنا على تثقيف الناس بأمور الشريعة، فتمسك الناس بها، وخصوصاً أنهم وجدوا في ظلها الأمن والأمان، وحلاً لكثير من المشكلات مما جعلهم يتمسكون بها، بل وجعلهم مستعدين للموت في سبيل تطبيقها، وقبل تطبيق الشريعة، لم يكن للأئمة والنواب والمؤذنين أي دخل مادي، فكانوا يتكففون الناس، أما بعد تطبيقها، فقد أصبح لهم رواتب ثابتة شهرياً، فتمسكوا أكثر بالدين وتحمسوا للدعوة له من دون خوف من أحد، كما أن هناك قروضاً تُوزع على فقراء المزارعين وغيرهم، ما جعل الناس يثقون في أن الشريعة جاءت بالخيرات، ونظروا إلى من يحاربها وكأنه يحاربهم في حياتهم، ومن ثم فهم مستعدون للدفاع عنها.

● **هل وصلت إليكم ردود أو رسائل احتجاجية من مؤسسات تنصيرية أو غربية بعد تطبيق الشريعة؟**

ـ منذ بدء الدعوة لتطبيق الشريعة فعلاً حدثت محاولات لإثنائي عن ذلك، وجاءتني رسالة من الغرب بعرض قدره عشرة ملايين دولار على ألا أطبق الشريعة، ولكني رفضت ذلك، وبعدها هددوني بالقتل وغير ذلك، ولكني بيَّنت للناس أنني على استعداد للموت من أجل الشريعة، وكل هذه الضغوط والمحاولات لم تمنعني من المضي في الطريق، ولن تمنعني في المستقبل إن شاء الله.

## المستقبل للشريعة

● **ما رؤيتكم لمستقبل الشريعة في نيجيريا؟ وهل يمكن أن يأتي بعدكم حاكم علماني للولاية فيلغيها؟**

ـ ما نقوم به من دعوة بعد إنشاء وزارة الدعوة واجتهاد الأئمة في ذلك وإدراك الناس فضائل الشريعة، وفضائل التمسك بها، كل ذلك يكفي ويمنع أي حاكم قادم من أن يمس الشريعة بسوء إن شاء الله.

ومن ناحيتنا أنشأت الحكومة إدارة لمكافحة الرشوة، وقد بيَّنا نحن المسؤولين جميعاً دورها، وهي تراقب ثروات المسؤولين قبل تولي المنصب وبعد تركه «ما يمكن أن نسميه نحن قانون: «من أين لك هذا»، ومن هنا يخاف المسؤولون أن يأخذوا شيئاً من أموال الدولة.

● **هل هناك مجلس شورى تأخذ الحكومة بآرائه في الشؤون المتصلة بأمور الحكم السياسي؟**

ـ هناك مجلس للعلماء، يدخله العلماء الجهابذة، وهم القائمون على بيان آراء الإسلام، وهم ٢٥ عالماً يبتون في أي خطأ يقع فيه الحاكم وينصحونه.

● **ماذا عن رؤيتكم لما يحدث للمسلمين في فلسطين وكوسوفا والشيشان وغيرها من الدول الإسلامية؟**

ـ كل شعب «زمفرا» بل كل المسلمين في نيجيريا متأثرون جداً لما يحدث للمسلمين في هذه الدول، وهم في غاية الحزن لعدم وجود حاكم أو حكام مسلمين، يقومون بدور فاعل تجاه هذه القضايا، ويقفون وقفة واحدة لوقف ما يحدث للمسلمين في فلسطين وغيرها وبخاصة في الآونة الأخيرة ●

● تجمع دعوي لمسلمي ولاية «زمفرا» في نيجيريا في إحدى المناسبات ●

**لدينا محاكم تطبق الحدود ووزارة للدعوة وإدارة لمراقبة ثروات المسؤولين**





# وظيفة الأدب في المنظور الإسلامي ٣ / ٣

# الدور الحضاري

بقلم: د. سيد سيد عبدالرزاق . كلية الدراسات الإسلامية والعربية . جامعة الأزهر

إن الأدب الإسلامي وهو يقوم بدوره في «بعث أمة، وإرساء قواعد حياة إسلامية راقية»(١) فإنه في الوقت نفسه يقوم بمهمة التعارف، والترابط بين المسلمين، وكلاهما مطلب شرعي، وحضاري في آن واحد، ثم يمتد بدوره في الإعلام والتعريف ليكون «إحدى الوسائل في تعرف العالم الخارجي إلينا، وبذا يكون نافذة رحبة يستطيع الآخرون أن يتعرفوا من خلالها إلى شخصيتنا، وأسلوبنا، وأهدافنا، ووسائلنا، وإثراء القيم الإنسانية الخالدة التي تشبعت بها عقولنا، وأرواحنا»(٢)، وبذلك يكون قد أطل على مشارف مهمة كبيرة في البناء الحضاري والدور الرسالي المنوط بالإنسان المسلم.

ثم إنه يستطيع أن يعبئ نفسياً، وعقلياً، ووجدانياً لبعث أمجاد الحضارة الإسلامية، وفتح الطرقات، والمداخل إليها، والعمل على الرغبة في استعادة دورها، وخصوصاً إذا علمنا أن أعداء الأمة الإسلامية، والعربية «على قدر كبير من المناورة والذكاء، وأنهم استطاعوا تفريغ الانتصارات التي حققها العرب سياسياً، واقتصادياً،

وأن يوقعوهم في تبعية من نوع جديد»(٣)، ومن ثمَّ فنحن أمة تود أن تستعيد مكانتها بين الأمم، حضارة، وتحرراً، ونهوضاً، وعلى كواهلها أعباء جسام، وعلى حدودها يجثم عدو يتهددها»(٤)، الأمر الذي يعكس الحاجة الملحة لتوظيف الأدب الإسلامي، للقيام بدور نضالي في عملية البعث الحضاري للأمة الإسلامية.

والأديب المسلم يستطيع في هذا المجال - إضافة إلى دعم التعارف، والترابط والتعبئة الشاملة - يستطيع من خلال تجواله التأملي التحليلي التفسيري على جانبي النشاط الأدبي، نقداً وإبداعاً في تاريخ الإنسان، وآدابه، وعلى وجه أخص في الأدب الإسلامي... يستطيع من خلال ذلك أن يلقن - بمنطقه القوي المدعوم بالحجة والبرهان - دروساً عظيمة في أسباب السقوط الحضاري(٥)، والحضارة الإسلامية على وجه أخص، وذلك في حد ذاته، يعد كشفاً ضمنياً لأسباب النهوض، ودعماً للمسيرة الحضارية، وتحصيناً لها من الانزلاق في منحنيات التردي، والشقاء.

ثم إن الأدب بعامة، والأدب الإسلامي بخاصة، حين يرسم ملامح السقوط واليأس في العالم المعاصر، ويجسد مأساة الإنسان في الحضارات المادية على مر التاريخ، فإنه بذلك يكون قد أدى دوراً إسلامياً في الشهود الحضاري المطلوب من الإنسان المسلم على الناس، بمقتضى قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣، إضافة إلى أن هذه الشهادة تحمل في طياتها تحذيراً ضمنياً من السلوك الذي يؤدي بصاحبه إلى هذه الدوائر الضيِّقة المكتظة بالظلام العميق، والتي لا يمكن أن تمنح الإنسان بداخلها إلا وخزات التعاسة، والألم والقنوط، ولذا كان تأكيد الأديب، والناقد المسلم على إبراز معاناة الإنسان في إطار النظم المادية... خواء الحضارة الغربية(٦)، وتقديم الأدب الإسلامي، بروحه الإنسانية الشاملة، بديلاً راقياً عن النزعات الأدبية العالمية، بحيث يكون له دوره الإيجابي في توجيه البشرية، وإثابتها إلى الإنسانية الحقة التي برأ الله البشر عليها(٧) استناداً إلى مرتكزاته العقدية الصميمة، إذ إن الأدب حين يعمل من خلال عقيدة حقيقية صافية، فإنه يعمل على دفع البشرية من إسار الضرورة، والقيد، والانحسار في النطاق المحدود، ومن ثمَّ يكون أدباً كونياً فسيحاً لأنه يعبِّر عن حقيقة الوجود(٨)، أي إنه يعمل على السمو بالإنسان، ورفعه إلى المرتبة اللائقة بإنسانيته، ولهذا فإن «رسالة الأدب الإسلامي ذات طابع حضاري»(٩) شامل.

وبهذا الصدد، فإن أمام الأديب المسلم، آمال عراض، حيث يضع ضمن أهدافه الكبرى: «الحفاظ على كرامة الإنسان، وحريته، وحقوقه الشرعية المقدسة»(١٠)، وكذلك صيانة «حرية الإنسان المكبوتة، وكرامته الضائعة، وشرفه المهدر، وآدميته المسحوقة»(١١)، في إطار النظم والأوضاع المادية المهيمنة على المستوى العالمي، ثم إن الأدب الإسلامي حين يضع أمامه هذه الأهداف الإنسانية الشاملة، فإنه بفضل أصالته، وخصوصيته المرتبطة، بانبثاقه العقدي، وتعبيره عن الشخصية الإسلامية المتفردة في الواقع، والتاريخ، يستطيع أن يقوم بالمهمة الحضارية، من جانب آخر على الصعيد الأدبي نفسه، بوصفه عنصراً من عناصر الحضارة الإسلامية(١٢)، بما هو تعبير عنها، ومن ثم فحين يحقق حضوره القوي على المستوى العالمي، فإنه بذلك يكون قد أدى دوراً حضارياً لا شك فيه.

ويدعم الأدب الإسلامي في القيام بهذه المهمة، انفتاح مرتكزاته العقدية، للتجاوب مع الفطرة الإنسانية، وانطلاقه الغائي في آفاق إنسانية رحبة، حيث «التبشير بعالم أفضل، واحترام كرامة الإنسان، وحريته، وجهده... والسمو به فكراً، وروحاً وسلوكاً»(١٣)، وبذا يخرج من إطار المرحلة الحضارية التي عاشها إلى إطار المعاناة الإنسانية العامة التي لا تتقيد ببيئة بعينها أو بزمان معين(١٤)، فيتحقق له بذلك العالمية، والانتشار،

## الأدب الإسلامي يمتلك القاعدة الراسخة للقيام بدوره في بناء الذاتية الإسلامية

ويكتب له البقاء، والامتداد في عمق الزمان والمكان، فعظمة الأدب، وبقاؤه إنما «يكمن في قدرته على تجاوز الحدود الشخصية حينما يعرض أمراً ذا قيمة عالمية... فمع أن إدراكه شخصي في حد ذاته إلا أنه يجعل من ذاته جسراً لعبور البيئة الاجتماعية، والثقافية، ولتجاوز الحدود الشخصية إلى ذلك المجال الذي يمكن أن يكون عالمياً ومطلقاً... أي يتجاوز البيئة المتغيرة، السطحية، والظروف الاجتماعية والفردية العارضة إلى مشكلات الحياة الأصيلة التي تتصل بالأمور التي تشكل الأعراف الأولية للإنسان، فيحلق بذلك في آفاق الحقائق الرحبة»(١٥).

وحينئذ يقوم الأدب الإسلامي بدوره في «إعلاء القيمة الحضارية للأمة»(١٦)، ويعمل على بعث أمجادها وانتصاراتها الحضارية الشاملة، ويدفع الحضارة المعاصرة إلى الترقي، والسمو الإنساني، ويحقق في الوقت نفسه عالمية الأدب العربي(١٧)، وشخصيته التي ضاعت في دياجير التآكل المحلي العرضي، والمسخ الاستعماري الدارس في محاكاة الأنموذج الغربي ●

**الهوامش:**

١ - د.محمد عادل الهاشمي، تجارب ومواقف في الأدب الإسلامي ص ٣٣ بتصرف، ط دار القلم دمشق، دار المنارة بيروت.
٢ - نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي ص ٣٥ - بتصرف، ط مؤسسة الرسالة.
٣ - د.عبدالحميد إبراهيم، الوسطية العربية ج٣ ص١٣٩، ط دار المعارف.
٤ - د.محمد عادل الهاشمي، تجارب ومواقف في الأدب الإسلامي ١٠٧، مرجع سابق.
٥ - يعد البحث القيم المنشور بمجلة المسلم المعاصر، العدد ٤٤ - ١٤٠٥هـ، للدكتور محمد إقبال بعنوان انهيار الحضارات في الأدب الإسلامي، يعد إنجازاً نقدياً قيماً في هذا المجال، وهو يكشف بوضوح عن قيام الأدب الإسلامي بهذاالدور الحضاري.
٦ - انظر إشارة الدكتور الكيلاني إلى هذا المعنى في كتابه رحلتي مع الأدب الإسلامي ص ٢٢، ط مؤسسة الرسالة.
٧ - د.محمد عادل الهاشمي، تجارب ومواقف في الأدب ص ٣١ بتصرف، مرجع سابق.
٨ - انظر محمد قطب، منهج الفن الإسلامي ص ١١٨، بتصرف، ط دار الشروق.
٩ - د.عبدالحميد بوزوينة،نظرية الأدب في ضوء الإسلام ج٣ ص٢١٨، ط مؤسسة الرسالة.
١٠ - د.نجيب الكيلاني، نحو مسرح إسلامي ص ١٤، ط دار ابن حزم، بيروت.
١١ - د.نجيب الكيلاني، تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص ١١١، ط مؤسسة الرسالة.
١٢ - انظر د.نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي ص ٧١، ١٢١، مرجع سابق.
١٤ - انظر د.عزالدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري، ص ٣٢، ط دار القلم، بيروت.
١٥ - انظر د.سيد علي أشرف، الأدب أسسه وطرق تدريسه ص ٤٧:٤٩، بحث منشور ضمن كتاب الفلسفة والأدب والفنون الجميلة من وجهة النظر الإسلامية، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية.
١٦ - د.محمد عادل الهاشمي، تجارب ومواقف في الأدب الإسلامي ص٢٠ بتصرف يسير، مرجع سابق.
١٧ - هناك روايات متعددة للدكتور نجيب الكيلاني، حققت قدراً كبيراً من العالمية، حيث ترجمت إلى الإنكليزية والتركية والبنغالية، وغيرها.


البيت المسلم
إقرأ لهؤلاء
حسن الأشرف
عائشة عزوزي
محمد علي وهبة
عبدالرحمن العمراني
منى السعيد الشريف
ليلى الشافعي
سليمان الرومي
ميرفت نواف خليل
فتحية صديق شندي
الطبيب أديب
في بيتنا متبرجة!
٦٨
٧٦ متى نعرف كيف نختلف؟!
٧٢ نظر الفقهاء في حكم طلاق المرأة في عدتها
٨٠ نفيسة العلم والمعرفة والتقى
٧٠ جزاء من يفضل زوجته على أمه
٧٨ الخجل لدى الأبناء



# في بيتنا متبرجة!

بقلم: حسن الأشرف - الرباط - المغرب

**فتاة متبرجة في بيتنا... متبرجات في حيِّنا.. متبرجات في مجتمعنا، في بيتنا متبرجة، إذاً في بيتنا قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة في وجوهنا، فتحرق نفسها وتحرقنا معها، فلماذا تتبرج بناتنا وأخواتنا؟ ما أسباب هذا التبرج؟ وما نتائج هذا الانحراف؟ ولكن قبل كل شيء، ما معنى التبرج؟ وهل تحدث عنه قرآننا الكريم؟ وبماذا اتسمت مقاربته الحكيمة له؟**

## التبرج في القرآن

التبرج هو خروج المرء من البرج أي القصر، وأيضاً هو خروج المرأة من برج العفة وقصر الحياء إلى متاهات العري وسراديب الخزي.

لقد اهتم دستورنا العظيم: القرآن الكريم بهذا الموضوع الخطير، وتحدث رب العزة والجلال عن التبرج، فذكره في سورتين ورد فيهما فرض الحجاب على المرأة المسلمة وهما سورتا النور والأحزاب، ففي الآية ٦٠ من سورة النور يقول عز من قائل: (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة، وأن يستعففن خير لهن) ويقول في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى).

## في بيتنا متبرجة

هذا لا يعني أن خطراً محدقاً يحيط بنا جميعاً، إلا إذاتابت توبة نصوحاً وعادت إلى ربها عودة المؤمنة الخاضعة والخاشعة له سبحانه وتعالى، ومكمَن الخطر ليس مجازياً أو مبالغاً فيه، بل هو واقع ملموس للعيان... فحين تلامس الفتاة أولى خيوط ربيع مراهقتها، تتراءى لها الحياة الدنيا بألوان زاهية، وتصير منساقة لأي دعوة للتحرر والتقليد.

وهكذا أول ما تتجه إليه هذه البنت هو إبداء زينتها للغير، وبخاصة الشباب، إرضاء لغرورها وغريزتها الأنثوية في ضرورة إثارة انتباه الآخرين، فكيف تعمل من أجل تحقيق أمنيتها العجيبة هذه؟ طبعاً، إن الشيطان تساعده نفس بني البشر الأمارة بالسوء في حض الفتاة على التجرد من ملابسها والتخفف من حملها، فلا بأس في نظر أختنا المتبرجة من إزالة غطاء الرأس، وتعرية الوجه والصدر والنحر، والساقين والفخذين، وآخر ما رأيناه - للأسف العميق - هو «موضة» هذه الأشهر المتمثلة في لباس سراويل «الجينز» الضيقة، والفساتين الكاشفة لقسمات الجسد، وتفاصيله الأكثر حميمية، أليس مثل هذا اللباس قنبلة خطيرة حقاً قد تنفجر في أي وقت وحين؟... أكيد .. فهذا العري لمثل هاته الكاسية العارية تضرب كل خصال الحشمة والعفاف عرض الحائط، وتوقظ الفتنة النائمة وتعرض نفسها للعنة والطرد من رحمة الله عز وجل، وتشحن صدور الشباب العزاب وحتى المتزوجين منهم برغبات خطيرة، الأمر الذي يدفع حتماً إلى الزنى والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

## خطاب القرآن للمتبرجات

سعياً لصيانة المرأة من عبث الأيدي بها، واختراق الأعين لحميمية جسدها، وبُغْية الحافظ على شرفها وحضها على التمسك بحيائها، وعفافها عفتها، وضع الشرع الحكيم حدوداً وشروطاً عدة تضع المرأة المسلمة في إطارها الصحيح، بل اعتنى القرآن الكريم بملابس المرأة التي ينبغي عليها أن تلتزم بارتدائها عناية فيها الكثير من التفصيل، وهذا ليس معتاداً في القرآن عند تناوله المسائل الجزئية مما يدل بشكل واضح وضوح الشمس في كبد السماء على الأهمية القصوى التي أولاها الشارع الحكيم لقضية لباس المرأة الذي فرضه عليها رب العزة والجلال، ألا وهو حجابها الذي يستر سائر بدنها.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب الآية ٥٩: (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذين)... فانظري أيتهاالأخت المتبرجة هداك الله كيف أن الخطاب موجه إلى نساء النبي أمهات المؤمنين، وإلى بناته الطاهرات أولاً وإلى سائر نساء المؤمنين، فرغم طهارة نساء النبي وبناته العفيفات، فإن الأمر بالالتزام بالحجاب لم يستثنهن، بل بدأ بهن، فما بالك أنت أيتها الأخت العاصية؟

وزاد القرآن في الإيضاح أكثر، وأورد خمسة أمور أكد على ضرورة أن تتحلى بها المرأة المؤمنة، يقول عز

وجل في الآية ٣١ من سورة النور: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين نزيتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن).

وهكذا أمرك الله أيتها الأخت بأن تغضي بصرك حتى لا تقع عيناك على فتنة، قد تضرك إن عاجلاً أو آجلاً، فالنظر هو مقدم كل شر، وقالوا قديماً النظر بريد الزنى، وبأن تحفظي فرجك إلا على زوجك، فذلك أطهر وأعف لك وأصين لكرامتك، وأحفظ لشرفك وإنسانيتك، وبألا تظهري زينتك إلا ما ظهر منها، وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: ما ظهر منها هو ظاهر الثياب، وأيضاً بأن تضربي بخمارك على جيبك، وفي هذا حرص أكثر على غطاء أماكن حساسة من جسدك، وبألا تُظهري تلك الزينة التي حرَّم الله عليك إظهارها للأجانب إلا لزوجك ومحارمك، إن المتبرجات اللائي لا يكدن يسترن أجسامهن إما بملابس ضيقة تصف تفاصيل الجسد أو بملابس شفافة تكشف أكثر مما تغطي، إذا مِتن على حال التبرج لا يدخلن الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، على رؤوسهن كأسمنة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليُشم من مسافة كذا وكذا».

### أسباب تبرج البنات

الجهل بالدين وتعاليم الشرع الحنيف من طرف أولياء الأمور ومن الفتيات أنفسهن - التقليد الأعمى والببغائي لنساء الغرب الكافرات في لباسهن وطريقة كلامهن - الإعلام الفاسد الذي يدخل بيوتنا من دون استئذان حاملاً معه كماً هائلاً من المسلسلات والأفلام حيث تتبرج الممثلات - انتشار تجارة الأزياء والمساحيق والعطور وأصحاب الموضة - انتشار أماكن الفجور والملاهي والمراقص ودور السينما - فتنة الشواطئ والعري في الصيف - الرفقة السيئة ومخالطة السافرات - قراءة المجلات الخليعة أو ما تسمى بالمجلات النسائية حيث تجد النساء بمفاتنهن يبتسمن ببلاهة - الفراغ الروحي - الرغبة في إثارة انتباه الآخرين.

### النتائج

وهذه بعضها فقط: زيوع الزنى - تمزق أوصال الأسرة - تفكك أواصر المجتمع - اندثار الخصال الحميدة كالحياء والعفة - انحلال الأخلاق - كثرة التهتك والميوعة - سهولة الحصول على الحرام من نظرة وكلام وفعل - استفحال أزمة الزواج وانتشار العنوسة بين أوساط الشباب، إلى غيرها من نتائج وعواقب وخيمة على الفتاة نفسها وعلى أسرتها ومجتمعها ●

# حجاب المرأة إلى أين؟

بقلم: عائشة عزوزي



لقد تفشت في مجتمعنا الإسلامي ظاهرة خطيرة طالت حجاب المرأة، حيث أصبحنا نشاهد حجاباً متبرجاً تشمئز منه النفوس المؤمنة، نساء محجبات لكنهن عاريات.

أي حجاب هذا الذي ترتديه المرأة الآن؟ وجه مزيَّن بمختلف الألوان، لباس شفاف وضيق يظهر مفاتنها، روائح عطرة تثير المارة رجال ونساء، أي حجاب هذا وديننا ينهانا عن الخروج في هذه الصورة، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت، فمرت بالمجلس كذا وكذا، يعني زانية» (رواه أبوداود والترمذي).(١)

لقد كثر عدد اللائي يحاولن التشبه بالصالحات، وهن بلباسهن وتصرفاتهن أبعد ما يكون عن دين الله وعن مبادئه، بل هنَّ من أشد الخلق انتهاكاً لحرماته.(٢)

ظهر الفساد على ظاهرها من جديد، فبعد أن نجح المجددون في إخراجها إلى الشارع سافرة عارية، عادوا من حيث بدأوا واتخذوا كسلاح للقضاء على ما تبقى من ذرة إيمان في قلبها، وذلك بنشر الحجاب العصري، إنه أخطر سلاح يعتمده أعداء الإسلام، سلاح يثير الفتنة ويهدف إلى تدمير الأخلاق والمبادئ الإسلامية.

لِمَ هذا الضياع الذي تعيشه المرأة المسلمة في عصرنا هذا، والإسلام كرَّمها ورفعها إلى أبعد مما يطمح خيالها، حيث نعمت تحت ظله بوثوق الإيمان، لها ما لها من الحقوق، وعليها من الواجبات ما يلائم تكوينها: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة:٢٢٨، وأولاها غاية الأهمية والعناية باعتبارها صانعة المجتمع.

لقد عاشت في كنفه عزاً لا مثيل له، غير أن هذا العز لم يدم طويلاً، فسرعان ما تعرضت للمهانة في الجاهلية المعاصرة تحت ستار التحرير والعصرنة، لقد نصب لها المجددون الشباك، واحتالوا عليها بشتى الحيل، ولم تفكر بالمقاومة، بل ألقت بزمامها على التيار، فقذف بها حيث أوحال مستنقعات الدناءة.

ليتها تستفيق من سباتها لتلاحظ أن تصورات دعاة التحرر التي تجعل الفساد ازدهاراً، والعفة انحطاطاً، ومخططاتهم ترمي كلها إلى إبعادها عن وظيفتها وتدمير أخلاقها، وتكتشف أن وضعها في النظام الإسلامي ليس فيه خلل وإنما أُخِلَّ به، فقد التمس لها المتشدقون بالدين عذراً لنقص عقلها ودينها، فغضوا الطرف عن هفواتها وأخطائها، وساعدوها بصمتهم على الضلال، وكانوا بذلك آثمين في حقها وحق مجتمعنا المسلم.

إن انحراف المرأة المسلمة عن دورها الرائع في بناء المجتمع الإسلامي، أدى إلى انهيار المبادئ والأخلاق، وتمزق الأسر، وضياع الأطفال بين الرذيلة والفضيلة حتى أصبحنا نعيش حاضراً وجيعاً استشرت فيه المفاسد.

فليس من العدل أن ندع هؤلاء العابثين يتلاعبون بأفكارنا ومبادئنا الإسلامية السمحة.

وليس من الحكمة أن ندع الضعف يغلب القوة، والرذيلة تهزم الفضيلة، وليس من الإسلام أن نفتح أبواب بيوتنا لفكر عقيم يدمر أنوثتنا، ويعدم طفولتنا.

علينا أن نتمسك بالعروة الوثقى، فبين أيدينا معين لا ينضب، وأن نطبق الشريعة الإسلامية في وضع المرأة لأنها الأم والبنت والزوج والأخت والمستقبل كله.

علينا أن نعيد لها ثقتها بنفسها، فهي ليست بالخلق الضعيف النفس، كما يعتقد المغرضون، لأن من احتمل ما احتملته في ظلمات التاريخ، وعسف الأب، وجلف الزوج إلى وقر الحمل، وألم المخاض، وسهد الأمومة - راضياً مطمئناً - لا يكون ضعيفاً(٣).

علينا أن نذكِّرها بالمرأة المسلمة العابدة، العالمة الصالحة، الحصن المنيع، علَّها تهجر الفسق والرذيلة، وتنضم إلى موكب العفاف والفضيلة، عالمة واعية وحرة من قيود الفساد والدناءة. علينا أن نتذكر في يقين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما)(٤) ●


**المراجع:**

١ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام المنذري - الجزء الثاني - ص ٤٢.
٢ - كبائر النساء - إبراهيم محمد الجمل - ص٥٤.
٣ - عودة الحجاب - الجزء الثاني - ص٣٠٩ - محمد أحمد إسماعيل المقدم.
٤ - الترغيب والترهيب - المجلد الثاني - ص١٦.

# جزاء من يفضل زوجته على أمه

بقلم: محمد علي وهبة

للأم في الإسلام مكانة رفيعة، متعاظمة، لا ترتقي إلى مستواها من بعدها سوى مكانة الأب، فقد حض القرآن الكريم، وكذلك السنَّة النبوية الشريفة على إكرام الأم أضعاف إكرام الأب، كما في قوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين) لقمان:١٤، كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، جواباً عن سؤال رجل: «من أحق الناس بصحبتي يا رسول الله؟ قال: أمك. قال: ثمن من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك» (رواه البخاري ومسلم في صحيحهما).

وقد وصف الإمام الذهبي عقوق الوالدين بأنه من أكبر الكبائر.(١)

واستند إمامنا الذهبي في ذلك إلى الكثير من الآيات القرآنية الكريمة، التي منها قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) الإسراء:٢٣.

حيث رفعت هذه الآية المباركة مرتبة الإحسان والبر بالوالدين إلى المرتبة التي تلي مرتبة العبادة لله عز وجل.

كما استند الإمام الذهبي إلى الكثير من الأحاديث النبوية المطهرة، التي منها قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين» (رواه الشيخان في صحيحيهما). كما أن الإسلام قد فضّل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد في سبيل الله، فقد روي عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه قال: «جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد» (رواه أبوداود والترمذي وخرجه الشيخان في صحيحيهما).

## أعظم الكائنات

بل إن الإسلام قد جعل من الأم بصفة خاصة أعظم كائن على سطح الأرض حين ربط بين رضائها ورضاء الله تعالى.

فقد روى الطبري والإمام أحمد وغيرهما، أنه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان هناك شاب يُسمّى علقمة، كان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض، واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تخبره بأن زوجها علقمة في النزع الأخير، وغير قادر على النطق بالشهادة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عماراً وصهيباً وبلالاً، وقال: امضوا إليه... ولقنوه الشهادة، فمضوا إليه، وأخذوا يلقنونه «لا إله إلا الله»، فوجدوا لسانه عاجزاً عن النطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بذلك، فتساءل النبي صلى الله عليه وسلم: هل من أبويه أحد حي؟ قيل: يا رسول الله له أم كبيرة السن. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليها لتحضر إليه إن كانت تقدر على المسير، وإلا تقر في منزلها حتى يأتيها إن كانت تعجز عن المسير، فذهبت هي إلى النبي صلى الله عليه وسلم متوكئة على عصاها، وعند وصولها إلى النبي وبعد السلام عليه، قال لها: يا أم علقمة أصدقيني، وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى... كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كان كثير الصمت، كثير الصلاة، كثير الصيام، كثير الصدقة، سألها النبي صلى الله عليه وسلم: فما حالك معه؟ قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة. قال: ولمَ؟ قالت: يا رسول الله كان يؤثر عليَّ زوجته ويعصيني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن سخط أم علقمة عليه حجب لسانه عن النطق بالشهادة، ثم قال: يا بلال انطلق... واجمع لي حطباً كثيراً. قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله ولدي... لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي، قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى... فإن سرك أن يغفر له الله فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فقالت يا رسول الله إني أُشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا... فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً منّي. فانطلق بلال رضي الله عنه إليه، فسمع علقمة من داخل الدار يقول «لا إله إلا الله»، فدخل وهو يقول: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة عليه حجب لسانه عن النطق بالشهادة، وإن رضاها عليه أطلق لسانه بالشهادة، ثم مات علقمة من يومه، فحضره الرسول صلى الله عليه وسلم، فأمر بغسله وكفنه، ثم صلى عليه، وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره، وقال: يا معشر المهاجرين والأنصار... من فضّل زوجته على أمه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين... لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل، ويحسن إليها، ويطلب رضاها، فرضاء الله في رضائها، وسخط الله تعالى في سخطها.

## الجنة تحت أقدامها

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الجنة تحت أقدام الأمهات» (رواه ابن ماجه والترمذي وغيرهما).

وقد روي أن بعض الصحابة أنهم رأوا سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقبل الأرض تحت قدمي أمه، فسأله أحدهم: ماذا تفعل يا أمير المؤمنين؟ قال: أقبل الجنة.

ولم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الجنة تحت أقدام الزوجات، أو غيرهن وإنما اختص الأم وحدها بهذه المكانة الرفيعة، وذلك لما تتحمله الأم من مشاق لا تطاق في الحمل والوضع والرضاعة، ثم الاهتمام الشديد بالوليد حتى يكبر.

ولعله لذلك ووفق تعاليم الإسلام كانت الأم أحق بوليدها من غيرها، وكانت حقوقها كذلك أوجب على وليدها من غيرها.

فقد جاء رجل وامرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان في صبي لهما، فقال الرجل: يا رسول الله «ولدي خرج من صلبي» وقالت المرأة: يا رسول الله حمله خفاً، ووضعه شهوة، وحملته كرهاً، ووضعته كرهاً، وأرضعته حولين كاملين، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسليمه لأمه دون أبيه» (رواه الإمام أحمد وأبوداود).

مفاسد وافدة

وقد وفد إلى مجتمعاتنا الإسلامية مظاهر كثيرة فاسدة ومفسدة من مجتمعات أخرى لا تتبع تعاليم الدين الخاتم القويم، وبخاصة من المجتمعات الغربية، التي تتفشى فيها ظاهرة عقوق الوالدين، والتفسخ الأسري، وتتفشى فيها ـ بصفة خاصة ـ ظاهرة تفضيل الزوجة على الأم.

كما أن السينما المصرية قد أنتجت سلسلة من الأفلام في عقدي الخمسينيات والستينيات عمدت فيها إلى تشويه صورة الأم من خلال تقديمها في قوالب فكاهية من أجل الكسب والربح المادي على حساب المكانة القدسية المتسامية، التي يحضنا ديننا الحنيف على أن نرفع إليها الأم دائماً، ومن هذه الأفلام على سبيل المثال، فيلم «الحموات الفاتنات» وفيلم «حماتي قنبلة ذرية».

وقد كانت أمثال هذه الأفلام تقترب من التقليد لموجات الفساد والانحلال الخلقي السائدة في مجتمعات الغرب بقدر ابتعادها عن مظاهر الإعلاء والارتقاء الاجتماعي والخلقي التي يحض ديننا الحنيف على الأخذ بها، وبخاصة فيما يتعلق بالمكانة المتسامية للأم.

وإن كان الإسلام قد جعل للزوجة حقوقاً كثيرة على الزوج، فإن الإسلام عينه لا يسمح للزوج بأن يعمد إلى تفضيل زوجته على أمه أو أبيه، حيث رفع القرآن طاعة الوالدين إلى المرتبة الثانية بعد طاعة الله عز وجل، كما في قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) الإسراء:٢٣.

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «رضاء الله في رضاء الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين» (رواه الترمذي).

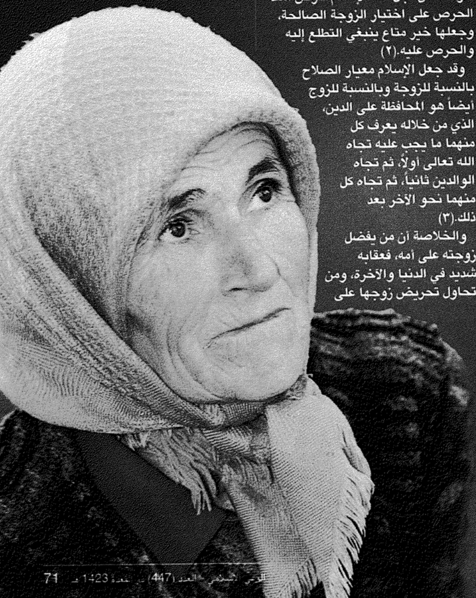
ولعله من أجل ذلك الإسلام حرص أشد الحرص على اختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه.(٢)

وقد جعل الإسلام معيار الصلاح بالنسبة للزوجة وبالنسبة للزوج أيضاً هو المحافظة على الدين، الذي من خلاله يعرف كل منهما ما يجب عليه تجاه الله تعالى أولاً، ثم تجاه الوالدين ثانياً، ثم تجاه كل منهما نحو الآخر بعد ذلك.(٣)

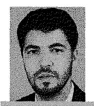
والخلاصة أن من يفضل زوجته على أمه، فعقابه شديد في الدنيا والآخرة، ومن تحاول تحريض زوجها على عدم البر بأمه وأبيه، فعقابها أيضا شديد في الدنيا والآخرة. فكما يدين المرء يدان، فمن برّ والديه في كبرهما بره أبناؤه في كبره، ومن عقّهما في كبرهما عقّه أبناؤه في كبره، وذلك بخلاف ما يلقاه من عذاب مقيم يوم القيامة، نسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا غضبه، إنه سبحانه كريم رحيم ●

**الهوامش:**

١ ـ الكبائر للإمام محمد شمس الدين الذهبي ـ المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.
٢ ـ فقه السنّة ـ السيد سابق ـ ج٢ ـ مؤسسة جمال ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٢هـ ـ بتصرف بسيط.
٣ ـ المرجع السابق ـ بتصرف بسيط.



# نظر الفقهاء
# في حكم طلاق المرأة في عدتها



بقلم: د. عبدالرحمن العمراني. أستاذ الدراسات الإسلامية. كلية الآداب. مراكش. المغرب

معلوم من نصوص الشرع أن الله عز وجل حين جعل الطلاق بيد الرجل لم يعطه الحرية المطلقة في أن يوقعه كيف يشاء ومتى يشاء، وإنما قيَّده بمجموعة ضوابط هي صمام أمان من الانحراف في استعماله. وهي تهدف إلى تقديم مصلحة استقرار بيت الزوجية واستمراره على هدمه وإنهائه، ولما كان أمر الطلاق في الشرع ليس مجالاً للهزل، بحيث إن من يخاطب به زوجته يلزمه حكمه، فإن المرأة تفترق عن زوجها متى خاطبها به جاداً أو هازلاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، الطلاق والنكاح والرجعة»(١)، غير أن من الأزواج من لا يراعي حين استعماله بعض الأحوال التي تمر بها المرأة، فيتسرع في طلاقها في طهرها وفي حيضها، بل يبلغ القلق بآخرين أن يتبعوا طلاقهم الأول أو الثاني آخر في أثناء العدة، فهل تكون المعتدة محلاً للطلاق؟ وهل تحتسب الطلقة الحاصلة في فترة العدة؟.

هذه المسألة ناقشها الفقهاء قديماً واختلفوا فيها بناء على مجموعة أدلة اعتمدوها يمكن بسطها فيما يلي:

## أولاً: آراء وأدلة الفقهاء

تتوزع أقوال الفقهاء في حكم الرجل يتبع طلقته الأولى طلقة ثانية، أو الثانية وتبعها بثالثة في أثناء عدة زوجته على قولين اثنين، أحدهما إن طلاقه يقع والثاني لا يقع.

١ ـ القول الأول: إن طلاق المعتدة لا يحتسب، هو مذهب الجمهور وفيهم الأئمة الأربعة على اختلاف بينهم في كونه طلاق سنّة أو بدعة، فعند الحنفية والشافعية هو طلاق سنِّي. وهذا واضح في قول الزيلعي: «تطليقها ثلاثاً متفرقة في ثلاثة أطهار حسن وسنِّي»(٢). ظاهر قوله أن طلاق المعتدة في المذهب الحنفي إذا تم في كل طهر من أطهار العدة كان حسناً سنيّاً، بينما هو عند الإمامين مالك، وأحمد ليس طلاقاً سنيّاً لأن طلاق السنَّة ـ كما جاء في المدونة الكبرى ـ «أن يطلق الرجل امرأته تطليقة واحدة طاهراً من غير جماع ثم يتركها حتى يمضي لها عدتها ثلاثة قروء، ولا يتبعها في ذلك طلاقاً»(٣). وحكى ابن قدامة عن الإمام أحمد أن «طلاق السنَّة واحدة ثم يتركها تحيض ثلاث حيضات»(٤). يفهم من هذين القولين إن من طلق امرأته في المرة الأولى في طهرها ثم أتبعه طلقة ثانية في طهرها الثاني، لا يكون مطلقاً للسنَّة خلافاً للحنفية.

ومع اختلاف هؤلاء الفقهاء في سنيَّة طلاق المعتدة فإنهم اتفقوا على وقوعه، وهو ما أكده ابن رشد بقوله: «لا خلاف بينهم في وقوع الطلاق المتبع»(٥)، وجاء التصريح به في مصنفاتهم، فذكر الكاساني أن «المعتدة يلحقها صريح الطلاق تنجيزاً»(٦). وجاء في المدونة الكبرى: «قلت: فإن هو طلقها ثلاثاً أو عند كل طهر واحدة حتى طلق ثلاث تطليقات أيلزمه ذلك في قول مالك؟ قال: نعم»(٧). وقال الماوردي: «إذا أراد أن يطلقها ثلاثاً، فالأولى والمستحب أن يفرقها في ثلاثة أطهار فيطلقها في كل طهر واحدة»(٨). وقال ابن قدامة: «ولو طلقها ثلاثاً في ثلاثة أطهار كان حكم ذلك حكم جمع الثلاث في طهر واحد»(٩). هذه

النصوص كلها تفيد أن الطلاق في العدة في المذاهب الأربعة يحتسب.

وبقولهم أخذت مجموعة من قوانين الأحوال الشخصية العربية، فجاء في المادة السادسة والثمانين من قانون الأحوال الشخصية السوري أن «محل الطلاق المرأة التي في نكاح صحيح أو المعتدة من طلاق رجعي». وجاء في الفصل الخامس والأربعين من مدونة الأحوال الشخصية المغربية أن «محل الطلاق المرأة التي في نكاح صحيح أو المعتدة من طلاق رجعي، ولا يصح على غيرهما الطلاق ولو معلقاً». وجاء في الفقرة (أ) من المادة الثالثة والثلاثين من قانون الأسرة الليبي رقم ١٠ لسنة ١٩٨٤م أنه «لا يقع الطلاق على الزوجة إلا إذا كانت في زواج صحيح أو معتدة من طلاق رجعي». فهذه النصوص بمجموعها صريحة في أن المعتدة من طلاق تكون محلاً للطلاق.

واحتج هذا القول بالكتاب والسنة والمعقول:

أ ـ أما ما احتجوا به من الكتاب فقوله تعالى: (يأيها النبي إذا طلَّقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) الطلاق:١، أخذوا منه جواز تفريق التطليقات التي يملكها الزوج على أطهار العدة الثلاثة. قال الكاساني: «قوله عز وجل: (فطلقوهن لعدتهن)، أي في أطهار عدتهن وهو الثلاث في ثلاثة أطهار، كذا فسره رسول الله(١٠) صلى الله عليه وسلم»(١١). وقال الجصاص: «وقوله تعالى: (فطلقوهن لعدتهن) منتظم للواحدة والثلاث مفرقة في الأطهار، لأن إدخال اللام يقتضي ذلك كقوله تعالى: (أقم الصلاة لدلوك الشمس(١٢) إلى غسق الليل) الإسراء:٧٨، قد انتظم فعلها مكرراً عند الدلوك، فدل ذلك على معنيين، أحدهما إباحة الثلاث مفرقة في الأطهار وإبطال قول من قال إيقاع الثلاث في الأطهار المتفرقة ليس من السنَّة(...) تفريقها في الأطهار، وحظر جمعها في طهر واحد»(١٣).

٢ ـ وأما ما احتجوا به من السنَّة فقوله، صلى الله عليه وسلم، لابن عمر حين بلغه أنه طلق زوجته وهي حائض: «إنك أخطأت السنَّة. ما هكذا أمرك ربك. إن من السنَّة أن تستقبل الطهر استقبالاً فتطلقها لكل طهر تطليقة»(١٤). هذا اللفظ أورده الكاساني في بدائعه وشرحه بقوله: «فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق للعدة بالثلاث في ثلاثة أطهار، والله عز وجل أمر به»(١٥)، وأيضاً أورده الزيلعي في كتابه تبيين الحقائق(١٦) بلفظ: «مر ابنك فليراجعها ثم يدعها حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها، ثم تحيض ثم تطهر ثم يطلقها إن أحب»، فدل الحديث بهذا اللفظ عندهم على إباحة الطلاق عند كل طهر من أطهار العدة، حتى إذا قضت المطلقة أطهارها الثلاث يكون زوجها قد جمع لها خلالها ثلاث طلقات تبين بها منه، فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره.

إن الله حين أباح الطلاق إنما أباح منه ما يحتاج إليه الناس كما تباح المحرمات للحاجة

وأما المعقول فذكر الكاساني أن عقد النكاح هو عقد مصلحة إلا أنه قد يخرج من أن يكون كذلك لأسباب عدة فتصير المصلحة في الطلاق، «فالشرع والعقل يدعوانه إلى النظر، وذلك في أن يطلقها طلقة واحدة رجعية(...) فإن علم أنه لا يمكن الصبر عنها يراجعها، وإن علم أنه يمكنه الصبر عنها، يطلقها في الطهر الثاني ثانياً ويجرب نفسه، ثم يطلقها فيخرج نكاحها من أن يكون مصلحة ظاهراً أو غالباً لأنه لا يلحقه الندم غالباً، فأبيحت الطلقة الواحدة أو الثلاث في ثلاثة أطهار»(١٧).

٢ ـ والقول الثاني: إن طلاق المعتدة لا يقع، وهو قول ابن تيمية، فعنده أن من طلق زوجته قبل انتهاء عدتها «يكون قد طلَّقها قبل الوقت الذي أذن الله تعالى فيه، ويكون قد طوَّل عليها التربص، وطلقها من غير حاجة به إلى طلاقها»(١٨). ظاهر قوله هذا أن للطلاق وقتاً معلوماً يقع فيه، فمتى خرج عنه يكون خارجاً عن الوقت المأذون فيه، ثم إنه يكون لحاجة داعية إليه.

وبهذا القول أخذ مشروع القانون العربي الموحَّد للأحوال الشخصية فذكر في المادة التسعين أنه «لا يقع الطلاق على الزوجة إلا إذا كانت في زواج صحيح وغير معتدة». وجاء في مذكرته الايضاحية أن اللجنة «أخذت

المعتدة ولو من طلاق رجعي لا سبيل إلى تطليقها إلا بعد ارتجاعها

في هذه الناحية بالاجتهادات التي لا تجيز إرداف الطلاق على المعتدة، وهي اجتهادات لها أدلتها القوية من المنقول والمعقول»(١٩). وأيضاً أخذت به وثيقة الكويت للأحوال الشخصية في المادة السابعة والثمانين. وكذلك جاء النص عليه في المادة الثالثة بعد المئة الأولى من قانون الأحوال الشخصية الكويتي بقوله: «لا يقع الطلاق على الزوجة إلا إذا كانت في زواج صحيح وغير معتدة».

وأخذ به من الفقهاء المعاصرين الشيخ، محمود شلتوت، والأستاذ، علال الفاسي، والأستاذ، علي حسب الله، فقد أوضح، الشيخ شلتوت، أن الزوج «لو أوقع عليها طلاقاً في طهر لم يتصل بها فيه ثم أوقع عليها طلقة أخرى في الطهر نفسه(٢٠)، لا تقع تلك الطلقة الثانية»(٢١)، وخلص الأستاذ، علي حسب الله، بعد بحثه في المسألة، إلى أنه «لا يكون هناك وجه لوقوع الطلاق على المعتدة»(٢٣).

ومما احتجوا به من المنقول قوله تعالى: (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) الطلاق:٢، ففيه أنه سبحانه «خيَّره بين الرجعة وبين أن يدعها تقضي العدة فيسرحها بإحسان، فإذا طلَّقها مرة ثانية قبل انقضاء العدة لم يمسك بمعروف ولم يسرح بإحسان»(٢٤).

وأما ما احتجوا به من المعقول فقولهم إن الله تعالى حين أباح الطلاق «إنما أباح منه ما يحتاج إليه الناس كما تُباح المحرمات للحاجة، فلهذا حرَّمها بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح زوجاً غيره عقوبة للمسلم لينتهي عن إكثار الطلاق. فإذا طلقها لم تزل في العدة متربصة ثلاثة قروء وهو مالك لها، يرثها وترثه، وليس له فائدة في تعجيل الطلاق قبل وقته، كما لا فائدة من مسابقة الإمام. ولهذا لا يعتد بما فعله قبل الإمام، بل تبطل صلاته إذا تعمَّد ذلك في أحد قولي العلماء(٢٥) وهو لا يزال معه في الصلاة حتى يسلم»(٢٦).

### ثانياً مناقشة الأدلة

أما احتجاج الفريق الأول الذي يمضي عنده الطلاق في العدة ويحتسب بقوله تعالى: (فطلقوهن لعدتهن) الطلاق:١، فرده ابن تيمية إلى أنه ليس في الآية ما يفيد قولهم أو يدل عليه لأن «قوله: (فطلقوهن لعدتهن) يدل على أنه لا يجوز إرداف الطلاق للطلاق حتى تنقضي

العدة أو يراجعها لأنه إنما أباح الطلاق للعدة أي لاستقبال العدة، فمتى طلقها الثانية والثالثة قبل الرجعة بنت على العدة ولم تستأنفها باتفاق جمهور المسلمين»(٢٧).

وأما احتجاجهم بحديث ابن عمر، فإنه يرد عليه أن الحديث باللفظ الذي أورده به الكاساني والزيلعي ضعيف(٢٨) يخالف الرواية الصحيحة، وفيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر بمراجعة زوجته وإمساكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلّق قبل أن يمس(٢٩)، ولم يرد فيه إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاق الزوجة عند كل طهر من أطهار العدة، ولا يخالف أحد من أهل الحديث في أن الرواية الصحيحة للحديث حجة على الضعيفة. وبهذا يبطل ما احتجوا به من السنة.

وأما احتجاجهم بالمعقول أن الزوج «إن علم أنه يمكن الصبر عنها يطلّقها في الطهر الثاني ثانياً ويجرب نفسه»(٣٠)، فيرد عليه أن الشرع بتحديده مدة العدة بنص قطعي جعل تلك المدة كلها فترة موسعة للتفكير والتأمل، فلماذا يعجل المرء بتضييق هذه الفترة بين الطهرين؟! ثم إن من أصرَّ على أن تبين منه زوجته، فإن الذي يقتضيه العقل أن يتركها تقضي عدتها، فإنها بانقضائها تبين منه ولا يكون داع إلى أن يزيدها كرهاً له في أثناء عدتها بإضافته طلقة أخرى إلى طلقته السابقة.

## ثالثاً: سبب الاختلاف

يرجع سبب اختلاف الفقهاء في المسألة - كما بيَّنه ابن رشد - إلى اختلافهم فيما يشترط في الطلاق «هل من (شرطه) أن يكون في حال الزوجية بعد رجعة أم ليس من شرطه؟ فمن قال هو من شرطه قال: لا يتبعها فيه طلاقاً. ومن قال ليس من شرطه أتبعه الطلاق»(٣١). وعليه فإن جمهور الفقهاء ليس من شرط الطلاق عندهم أن يكون في حال الزوجية بعد رجعة، فيقع عندهم في أثناء العدة، بينما هو عند ابن تيمية يشترط فيه أن يكون في حال الزوجية بعد رجعة.

## رابعاً: الترجيح

يظهر من خلال عرض قولي الفقهاء وأدلتهم في المسألة ومناقشتها أن القول الراجح فيها هو قول ابن تيمية بعدم وقوع الطلاق في العدة لما يلي:

١ - مخالفة الطلاق في العدة للوجه المأذون به شرعاً في إيقاع الطلاق، وهو قوله تعالى: (فطلقوهن لعدتهن)، فقد فسَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يطلق الزوج زوجته في وقت وحال يصلح أن يبتدأ فيهما في العدة. وأوضح عليه الصلاة والسلام أنها «العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»(٣٢). وذكر ابن حجر أن معنى قوله «لعدتهن»، «عند ابتداء شروعهن في العدة»(٣٣). بهذا يظهر أن من يردف طلاق زوجته طلقة ثانية أو ثالثة في فترة عدتها لا يكون مطلقاً على الوجه المأذون به في الشرع، بل يكون متعدياً حدود الله التي رسمها في هذا الشأن، ونهى عن تجاوزها، وتوعَّد بالعقاب على مخالفتها في قوله سبحانه: (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً) البقرة:٢٣١. ولقد ختم سبحانه آية الطلاق في هذه السورة بقوله: (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) البقرة:٢٢٩.

٢ - إن الله تعالى شرع الطلاق لرفع ضرر ينتج من الشقاق بين الزوجين حين يتحول التوافق بينهما إلى تنافر، وتنقلب المودة إلى عداوة يعسر معها الإصلاح بينهما، فإنه «ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة وضرراً مجرداً بإلزام الزوج النفقة والسكنى وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك ما يزيل النكاح لتزول المفسدة الحاصلة منه»(٣٤)، ولم يشرعه سبحانه ليضر به زوج زوجته، ولا يخفى أن في المعتدة ضرراً بها ينبغي رفعه، كما أن فيه مخالفة للشرع لأن الذي أباحه الله لمن يعزم الطلاق أن يطلق الرجل زوجته طلاقاً رجعياً لا أن يردف طلقته التي تعتد منها طلقة أخرى، قال ابن تيمية: «والله تعالى قصرهم على الطلقات الثلاث دفعاً لهذا الضرر كما جاءت بذلك الآثار، ودل على أنه كان مستقراً عند الله أن العدة لا تستأنف من دون رجعة سواء كان ذلك لأن الطلاق لا يقع قبل الرجعة، أو يقع ولا يستأنف له العدة»(٣٥).

وبالتأمل في الطلاق الذي يوقعه الزوج في فترة عدة مطلقته، يظهر أنه عار من أي فائدة اللهم إلا أن يضيف الزوج إلى إيلام زوجته الذي حصل بطلاقها الأول إيلاماً آخر في فترة عدتها، ببيان إصراره على عدم رغبته في مراجعتها، وكان يكفيه إذا كان يقصد به أن تبين منه زوجته أن يتركها حتى تنقضي

عدتها ولا يراجعها فيحصل له ما يريد. من أجل ذلك وجب دفع الضرر عن المرأة بعدم اعتبار الطلقة التي يوقعها زوجها في عدتها. وقد أوضح الأستاذ علي حسب الله أنه «لا فرق بين جمع الثلاث في طهر واحد وتفريقها في ثلاثة أطهار، فإن تفريقها لفظاً في ثلاثة أطهار لا يخرج الفرقة الواقعة بين الزوجين عن كونها فرقة واحدة، لأن الفرقة بينهما حقيقة معنوية لها وجود خارجي يتحقق بالطلقة الواحدة. ومتى وجدت لم يتأت إيجادها مرة أخرى إلا بعد إعادة الزوجية بالمراجعة لأن إيجاد الموجود - كإعدام المعدوم - محال عقلاً. ومتى كانت الفرقة الواقعة واحدة، فاعتبارها أكثر من ذلك سواء أكانت بلفظ يقع في طهر واحد، أم في عدة أطهار مخالف لقوله تعالى: (الطلاق مرتان)، وداخل في حكم قوله صلى الله عليه وسلم: (أيلعب بكتاب الله عز وجل(٣٦) وأنا بين أظهركم؟»(٣٧).

ولقد خلص الأستاذ، علال الفاسي، إلى أن «المعتدة ولو من طلاق رجعي لا سبيل إلى تطليقها إلا بعد ارتجاعها، وهو ما روي عن ابن مسعود وعبدالرحمن بن عوف والزبير، وذهب إليه جماعة من فقهاء قرطبة واختاره ابن تيمية. وعللوه بأن الطلاق دفع للضرر، والسنَّة فيه أن يكون رجعياً، ولا حاجة لإيقاعه في أثناء العدة لأنه لا ضرر فيها ولا حاجة تدعو إليه. وهو سدٌّ للغاية المقصودة من قوله تعالى: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)، وهو رأي قريب للعقل وأدعى للقبول خصوصاً وأن الفقهاء أجمعوا على أن إرداف الثالث في العدة حرام، وإرداف الثاني مختلف فيه بين الكراهة والحرمة»(٣٨).

**لا يقع الطلاق على الزوجة إلا إذا كانت في زواج صحيح وغير معتدة**

**ابن تيمية : من طلق زوجته قبل انتهاء عدتها يكون قد طلقها قبل الوقت الذي أذن الله تعالى فيه**

٣ - إن في القول باحتساب الطلقة التي يوقعها الزوج في فترة عدة مطلقته إخلالا ببعض المقاصد والحكم التي من أجلها شرع الله العدة ومنها ترك فرصة للزوج كي يراجع زوجته خلالها(٣٩) لقوله تعالى: (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) الطلاق:١، ويوضح هذا المعنى الشيخ، محمد الطاهر بن عاشور، بقوله: «العدة قصد منها تحقيق براءة رحم المطلقة من الحمل وانتظار الزوج لعله يرجع، فبراءة الرحم تحصل بحيضة واحدة وطهر واحد، وما زاد عليه تمديد في المدة انتظاراً للرجعة(٤٠). بناء على كل هذا يقضي العقل بأن ما شرعه الله عز وجل توسعة على العباد لا ينبغي تضييقه بسبب مخالفتهم، وإنما يمكن منعهم من هذه المخالفة بإجراءات أخرى يجتهد أولو الأمر في وضعها.

**الهوامش :**

١ - سنن أبي داود: كتاب الطلاق، رقم الحديث ٢١٩٤، وسنن الترمذي: كتاب الطلاق، رقم الحديث ١١٩٥، حسَّنه الشيخ الألباني في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: رقم ١٨٢٦.

٢ - تبيين الحقائق للزيلعي: ج٢/١٩٠.

٣ - المدونة الكبرى للإمام مالك برواية سحنون: ج٢/٤١٩.

٤ - المغني لابن قدامة: ج٨/٢٣٦.

٥ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد: ج٢/٦٤.

٦ - بدائع الصنائع للكاساني: ج٣/١١٥.

٧ - المدونة الكبرى: ج٢/٤١٩.

٨ - الحاوي الكبير للماوردي: ج١٠/١١٦.

٩ - المغني: ج٨/٢٣٨.

١٠ - يريد الكاساني قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أخطأت السنة ما هكذا أمرك ربك، إن من السنَّة أن تستقبل الطهر استقبالاً فتطلقها لكل طهر تطليقة». وسيأتي مناقشة قول الكاساني وغيره ممن ساروا على قوله عند مناقشة حجتهم من السنَّة النبوية.

١١ - بدائع الصنائع: ج٣/٩٤.

١٢ - دلوك الشمس: ميلها إلى الغروب.

١٣ - أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص: ج١/٤٥٣.

١٤ - سيأتي تخريجه بلفظه الصحيح في الهامش رقم ٢٩.

١٥ - بدائع الصنائع: ج٣/٨٩.

١٦ - تبيين الحقائق: ج٢/ ١٨٩ - ١٩٠.

١٧ - بدائع الصنائع: ج٢/٩٥.

١٨ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ج٣/٢٨٧ رقم المسألة: ٥٤٦.

١٩ - ينظر المجلة العربية للفقه والقضاء: ع٢/١١٢.

٢٠ - يمكن أن يؤخذ عن طريق المفهوم من قول الشيخ شلتوت هنا أن الطلقة الثانية عنده إذا أوقعها الرجل في غير الطهر الذي أوقع فيه طلقته الأولى تحتسب طلقة ثانية، ولكن هذا ليس صحيحاً لأن الشيخ شلتوت يفتي في الطلاق البدعي كله كالطلاق الثلاث بلفظ واحد، والذي يقع في العدة أو الحيض بعدم الوقوع فيقول: «والرأي أنَّا لا نفتي ولا نحكم بوقوع طلاق إلا إذا كان مجمعاً من الأئمة على وقوعه، فإن الحياة الزوجية ثابتة بيقين، وما يثبت لا يرفع إلا بيقين مثله، ولا يقين في طلاق مختلف فيه». (ينظر كتابه الفتاوى: ٣١٠).

٢١ - الفتاوى للشيخ شلتوت: ٣١٠.

٢٢ - التقريب شرح مدونة الأحوال الشخصية: ٢٢٠.

٢٣ - الفرقة بين الزوجين للأستاذ علي حسب الله: ٦٠.

٢٤ - ينظر الفتاوى الكبرى: ج٣/٢٥٠ رقم المسألة: ٥٤٥.

٢٥ - أورد ابن رشد اختلاف الفقهاء فيمن رفع رأسه قبل الإمام فذكر أن «الجمهور يرون أنه أساء ولكن صلاته جائزة، وأنه يجب عليه أن يرجع فيتبع الإمام، وأن قوماً ذهبوا إلى أن صلاته تبطل للوعيد الذي جاء في ذلك» (ينظر بداية المجتهد: ج١/١٥٤).

٢٦ - الفتاوى الكبرى: ج٣/٢٨٧.

٢٧ - المصدر نفسه: ج٣/٢٤٩ رقم المسألة ٥٤٥.

٢٨ - أخرج هذا الحديث البيهقي في سننه باللفظ الذي أورده به الزيلعي من طريق شعيب بن زريق أن عطاء الخرساني حدثهم عن الحسن قال: نا عبدالله بن عمر... وذكر الحديث» (ينظر السنن الكبرى للبيهقي: ج٧/٣٣٠). وهو بهذا السند ضعيف لأن فيه عطاء الخرساني وشعيب بن زريق، فأما عطاء فهو أبو عثمان عطاء بن أبي مسلم الخرساني، قال فيه ابن حجر: «صدوق يهم كثيراً ويرسل ويدلس»، (ينظر تقريب التهذيب لابن حجر: ج٢/٢٣ رقم ١١٩)، وأما شعيب فهو أبوشيبة الشامي، قال فيه ابن حجر: «صدوق يخطئ»، (ينظر تقريب التهذيب: ج١/٣٢٥ رقم ٧٨).

٢٩ - صحيح البخاري: كتاب الطلاق، رقم الحديث ٥٢٥١، وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الطلاق، رقم الحديث ١٤٧١.

٣٠ - بدائع الصنائع: ج٢/٩٥.

٣١ - بداية المجتهد: ج٢/٦٣ - ٦٤.

٣٢ - هذا طرف من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٣٣ - فتح الباري لابن حجر: ج١٠/٤٣٦ عند شرحه الحديث رقم ٥٢٥١.

٣٤ - المغني: ج٤/٤٣٦ - ٢٣٤.

٣٥ - الفتاوى الكبرى: ج٣/٢٤٩ رقم المسألة ٥٤٥.

٣٦ - الحديث أخرجه النسائي بسنده إلى محمود بن لبيد قال: «أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟! حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله؟ (ينظر سنن النسائي: كتاب الطلاق، باب الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ، رقم الحديث ٣٤٠١).

٣٧ - الفرقة بين الزوجين: ٣٢ - ٣٣.

# متى نعرف كيف نختلف؟!

بقلم: منى السعيد الشريف



للحياة والطبيعة بعض القوانين والسنن التي أرساها الله تعالى، ولا يمكن أن تتغير أو تتبدل مهما تعاقبت عليها الدهور، والتي يقف الإنسان بكل ما أوتي من علم وقدرة عاجزاً عن التدخل فيها أو تعديلها ولعل ذلك من لطف الله ورحمته فلو تدخل الإنسان في تلك القوانين والسنن وعدلّها لأفسدها وفسدت معها الحياة... ومن تلك النواميس والقوانين سنة الاختلاف والتباين في كل شيء على وجه البسيطة، ولو نظرت بعين المتأمل لاستطعت أن تلمس هذا الاختلاف في كل مخلوقات الله ليتركها تعالى آية وبيّنة للقدرة تسكن قلب وعقل كل عبد مؤمن... بل إن الاختلاف قد يكون ضرورة ملحة في بعض الأحيان، ولنا أن نتصور كيف يمكن أن يكون شكل الحياة لو تشابه الليل والنهار مثلاً، ولم يكن بينهما هذا التباين... ولو عدنا إلى طبائع الناس وأمزجتهم لوجدناها أكثر اختلافاً وتبايناً فعلم النفس يقرر أن كل شخصية ظاهرة خاصة لا تتكرر، فلكل إنسان إذاً مبادئه وطبيعته ونظرته الخاصة للأمور وتلك العوامل هي التي تحدد سلوكياته ومنهجه في الحياة، لذا فمن الطبيعي جداً أن تختلف وتتباين الآراء أو تتفق، ومن المهم أن نتفهم ذلك ونكون على استعداد لتقبله والتعامل مع هذا الاختلاف بمرونة وتفهم وإلا أدخل الإنسان نفسه في دائرة مفرغة من المشكلات، ولكن هل تتوافر لدينا دائماً تلك المرونة؟!... وإن كنا سلمنا بأن الاختلاف شيء طبيعي وسنّة في طبائع البشر، فهل تعلمنا كيف نختلف مع بعضنا بعضاً بشكل إنساني متحضر ودون أن تتمزق ما بيننا من علاقات ومودة؟ - للأسف - فالإجابة في معظم الأحيان تكون بالنفي، لأن بعضنا يعتقد أن من خالفه في الرأي قد قلل من شأنه ونال من كرامته ولعل ذلك من المشكلات التي نواجهها أحياناً مع رؤساء العمل والقيادات الذين يرى بعضهم أن من خالفه في الرأي قد ناصبه العداء.

ولعل الأمر هو خطأ في طريقة التربية التي ننشئ عليها أطفالنا منذ البداية فنحن في معظم الأحيان نطلب من الطفل أن ينفذ كل أمر دون نقاش أو يمتنع عن فعل دون أن نوضح له أسباب ذلك، وإذا ما اعترض أو طلب التفسير نقذف له بالجملة المعتادة «إنك مازلت صغيراً ويجب أن تسمع كلام الكبار دون مناقشة». فيرسخ في ذهن الطفل بهذه الطريقة أن الكبار كل آرائهم وأقوالهم لابد أن تسمع وتنفذ وأنه حين يكبر لابد وأن يكون مثلهم مسموع الكلمة، محترم الرأي لا أحد يجرؤ على مخالفته، ويعتبر ذلك من معالم نضوجه وتمام قوة شخصيته، وقد يحدث العكس تماماً فينشأ الطفل ضعيف الشخصية، مذبذب الآراء، لا يستطيع أن يتخذ قراراً لأنه تعوَّد أن تُرسم له خطواته، وأن تُملى عليه قراراته من الآخرين، لكن الأسرة التي تتيح للطفل أن يناقش ويفهم لماذا يقوم بهذا الفعل أو يمتنع عن ذاك هي أسرة تحترم عقل الطفل وتنمّي فيه روح المرونة والتفهم لأنه سوف يدرك أنه عرضة أن يقابل من يختلف معه ولابد أن يحترم رأي الآخرين ويناقشه ويتفهمه وأن هذا الاختلاف لا يعني العداء أو الخصام، بل هو على العكس يعني الحوار أكثر، والنقاش أكثر، حتى نصل إلى نقطة تقارب أو اتصال، وما أحوجنا إلى أن نغرس ذلك في نفوس أبنائنا، ليتعلموا أنه مهما كانت منطقية قضيتهم وحتميتها في نظرهم، فهي خاضعة للنقاش وتباين الآراء، وأن ذلك لا يضر العاقل الناضج، بل على العكس يمكن أن يثري فكرته وقضيته، ولِمَ لا وقد ناقش الله تعالى إبليس وحاوره حين أعرض عن تنفيذ أمر الله تعالى بالسجود لآدم - عليه السلام - وسجّل القرآن ذلك رغم أن الله هو المستحق أن يأمر فيطاع دون نقاش، ولكنه درس رباني لنا.

يقول تعالى في في الآية ٧٥ من سورة ص: (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين).

فكما نرى عن طريق هذا الحوار سجل القرآن لنا فساد منطق إبليس وبطلان حجته بأسلوب موجز بليغ، وقد تجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحابة رضوان الله عليهم أنماطاً مختلفة من البشر، فكان منهم صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وكان منهم عمر الفاروق الشديد الصارم، وأبوبكر الصديق الرقيق الأسيف، ولكنه استطاع صلى الله عليه



وسلم أن يحتوي كل هذه النماذج المختلفة من البشر بمرونته وسعة صدره، وأن يؤلف بينهم ليصنع منهم قلب رجل واحد، ويعطي النموذج الفريد لما يجب أن يكون عليه القائد والمربي..

نعم.. لقد أعاد الإسلام بناء هذه العقول والقلوب مرة أخرى، ليحول هذا المجتمع الهمجي القائم على مبدأ القوة والعصبية والحمية، إلى مجتمع حضاري يؤمن بمبدأ الشورى واحترام الرأي الآخر ويأمر الله عز وجل بها نبيه الكريم: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) آل عمران:١٥٩، يأمره بذلك وهو الرسول المؤيد بوحي السماء، ليكون المثل والعبرة للآخرين، لقد كان إرساء مبدأ الشورى في المنهج الإسلامي قفزة حضارية هائلة ورقي بالفكر الإنساني لا يستطيع أحد إنكاره، وخصوصاً بعد أن وجد خير من يطبقه، فكان صلى الله عليه وسلم لا يترفع أبداً عن مشورة الصحابة أو النزول على رأي واحد منهم إن رأى فيه الخير، كما حدث في غزوة بدر، حين نزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأي الحباب بن المنذر وغيَّر مكان نزول الجيش، وفي غزوة أحد حين أخذ برأي الشباب بالخروج لملاقاة العدو خارج المدينة، وكذلك في غزوة الأحزاب أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصالح عُيينة بن حصن، والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة حتى ينصرفا بقومهما، حتى يتسنَّى للمسلمين إلحاق الهزيمة بقريش، فاستشار السعدين في ذلك فقالا: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيهما... وغيرها الكثير والكثير من الأمثلة التي نحن في أمسِّ الحاجة لدراستها والتمثُّل بها.

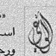
وإن كنا في حاجة إلى احتواء الشباب والقرب من مشكلاتهم، فلن يتسنى لنا ذلك إلا بمزيد من القرب منهم وفتح باب النقاش والحوار معهم، والمزيد من الاهتمام والاحترام لآرائهم وأفكارهم.. وإن كنَّا نرغب في المزيد من القرب والتفاهم في علاقاتنا الشخصية والاجتماعية، فلنعي جيداً أننا لن نجد الآخرين كما نحب ونهوى دائماً، ولكن لابد وأن يحدث الاختلاف والتباين، ولكن علينا أن نتعلم أولاً كيف نُبقي الود والحلم في النفوس شمعة مضيئة لا تطفئها رياح الانفعال والغضب... علينا أن نتعلم كيف نختلف؟

مع المهتديات

# ماريز كولا الفلبينية: شرح لي الإسلام فتزوجته



بقلم: ليلى الشافعي



«ماريزكولا الفلبينية» أصبحت اسمها مريم تحكي قصتها ورحلتها إلى الإسلام فتقول:

سأبدأ قصتي عندما التقيت بنور الإسلام، كان هذا في أواخر العام ١٩٨٠م عندما قررت أن أجد وسيلة للسفر إلى الخارج، عندئذ قابلت أحد المسلمين الذي كان يعمل بوكالة توظيف، والتي كانت تشترط تحول المتقدمين للعمل إلى الإسلام، ليكون ذلك أسهل لهم للسفر، فوافقت مضطرة أن أكون مسلمة، ولكني لم أعشق الإسلام بقلبي.

علمونا كيف نؤدي الوضوء، وكيف نصلي ونصوم، وكيف نرتدي الحجاب، وبعض المعلومات عن الإسلام حتى لا يكتشف من يستخدموننا أننا لسنا مسلمات، أقمت في دبي مدة سنتين، وكنت أشعر بالراحة كوني مسلمة وأعيش في جو إسلامي، وعندما عدت إلى وطني كان من السهل أن أنسى الإسلام.

وتضيف «ماريزكولا»، نتيجة لاستمرار حياتي في مجتمع مسيحي أصبح لي أصدقاء كثيرون لهم معتقدات مختلفة، كذلك جربت الانتماء إلى عقائد مختلفة، ومما رأيته ومارسته لم أقتنع كثيراً بتلك العقائد... وفي العام ١٩٩٢م قدمت إلى الكويت والتحقت بجامعة المجتمع المسيحي الفلبيني، ولحسن الحظ حصلت على عمل، وكانت سيدتي وزملائي في العمل دائماً يسألونني لماذا لا تريدين أن تصبحي مسلمة، وعندئذ أخبرتهم بتجربتي كمسلمة في أثناء إقامتي في دبي، وعلمت منهم أن الارتداد عن الإسلام خطيئة كبرى، وقد شغل هذا الأمر تفكيري لفترة طويلة... وكان لي زميل بدأ يشرح لي كثيراً عن الإسلام، وكلما شرح لي أكثر كلما زاد تعلقي واهتمامي بالإسلام، وانتهى بنا الأمر إلى الزواج، واقتناعي بالإسلام ليس بسبب زواجي بمسلم، بل لاقتناعي بأنه الدين الحق، إن الهداية تأتي فقط من الله سبحانه وتعالى فهو الوحيد الذي يعلم ما في القلوب، ولهذا فأنا لا أهتم لما يقوله الناس طالما أن قلبي مخلص في اقتناعه للإسلام، وعندما بدأت ارتداء الحجاب كنت أشعر في بداية الأمر بالتردد والخجل، وكنت أرتديه في أثناء عملي فقط، وكانت صديقاتي لا يعلمن عنه شيئاً، وبالتدريج اعتدت على ارتداء الحجاب وأصبح شيئاً عادياً في حياتي.

وفي العام ٢٠٠٠م التحقت بلجنة التعريف بالإسلام، ودرست قواعد الإسلام، وأتممت الدراسة بنجاح وحصلت على شهادتي... وبعد أشهر عدة، حضرت ابنتي من زوجي السابق إلى الكويت لتعيش معنا، وقد قمنا أنا وزوجي بشرح تعاليم الدين الإسلامي لها، والحمد لله في أقل من عام اعتنقت الإسلام.

وإن شاء الله سأحاول إقناع أبي بالإسلام في القريب العاجل، حيث أقوم بإرسال الكتب والنشرات الإسلامية إليه من اللجنة، وكل ما يحتاجه هو شخص يشرح له تلك التعاليم الحقة، وأحمد الله الذي هداني إلى طريق الإسلام، ومنحني زوجاً مسلماً وأحمده على كل نعمائه

# الخجل لدى الأبناء



بقلم: سليمان الرومي - كاتب كويتي

**الولد الخجول ولد وجل، يفقد إمكاناته حالما يوجد أمام الآخرين، فيتردد ويرتبك ويحاول بشتى الوسائل أن يحوّل الانتباه عنه وأن يحتجب عن الأنظار، إن القيام بأي مهمة، مهما كانت، يصبح لديه صعباً أو مستحيلاً حالما يجد نفسه في جماعة، إنه يخفق في ما هو بصدد القيام به إذا شعر أنه هدف لمراقبة الآخرين.**

**وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال، ولا ينكر ما للبيئة من أثر كبير في الخجل أو تعديله، فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم، ويجتمعون معهم يكونون أقل من الأطفال الذين لا يخالطون الآخرين ولا يجتمعون معهم.**

هناك أعراض للخجل وهي على النحو التالي:

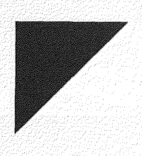
- الانطواء والانزواء، سواء كان في مكان وحده أو بالابتعاد عن الناس وعدم صحبتهم.
- أحلام اليقظة والشرود والسرحان.
- الحساسية الشديدة المتمثلة في الظن السيئ وعدم تقبل المزاح بطريقة عادية والتأثر الشديد من أي كلمة وتحوير الكلمات ليفهمها على غير مرادها كما تقتضيها حساسيته.

وقد يرى أبويه يتحدثان في موضوع سريٍّ فيظن أن الحديث عليه هو وهكذا مع باقي الناس.

- القلق الشديد، عدم الثقة في النفس نتيجة الإحساس بالنقص، توقع الخطر وإن كان بعيداً.
- الخوف من نقد الآخرين له، الجمود والخمول في الوسط المدرسي، اللامبالاة في بعض الأحيان.
- الامتناع عن الاشتراك مع الاقران في أنشطتهم، وبالتالي عدم الاندماج في الحياة فلا يتعلم من تجاربهم.
- التمارض لجذب الأنظار إليه، الأنانية ومحاولة فرض رغباته على من حوله.

### أسباب الخجل

- إخفاء الأبوين ابنهما عن أعين الزائرين خوفاً من الحسد مثلاً.
- التدليل الزائد ويظهر أثره عندما يكون الابن خارج المنزل، فلا يجد المعاملة الناعمة المدللة المميزة التي يجدها في البيت، فيهرب لينزوي وخصوصاً من أقرانه الذين هم في سنّه ولم يتعلم التنافس والتعامل معهم على مستوى متكافئ.
- القسوة الزائدة، كالإكثار من زجر الطفل وتأنيبه وتوبيخه لأتفه الأسباب ومحاولة تصحيح أخطائه بأسلوب قاس خصوصاً أمام الآخرين يثير عنده مشاعر عدم الثقة ويشعره بالنقص ما يؤدي إلى خجل الطفل وانزوائه عن المجتمع.



- اعتقاد الأب أن دوره في سني حياة الطفل الأولى أقل أهمية عن دور الأم، فينشغل في عمله ولا يحيط ابنه بجو من الدفء العاطفي والحب والتقدير ولا يتصل بابنه كثيراً وهذا يجعل الطفل عندما يقلد شعورياً أو لا شعورياً ينقاد إلى أمه فعندما يكبر ويكتشف أن تشبهه بأمه أصبح غير مقبول ينشأ خجولاً ويصبح غير قادر على مجاراة أقرانه من الأولاد والشبان.

- الشعور بالنقص إما لعاهة بارزة فيه كالشلل أو ضعف البصر أو الثأثأة واللجلجة أو السمنة أو غير ذلك. أو ربما تكون الأسباب مادية كهزال جسمه نتيجة سوء التغذية أو ملابسه الرثة نتيجة فقره أو قلة مصروفه أو نقص أدواته وكتبه المدرسية، وقد يشعر بالنقص لعدم وسامته أو سوء منظره أو ضعف قدراته العقلية وتحصيله الدراسي أو جهل الأبوين وسوء معاملتهما له كالتشديد في عقابه لأقل سبب أو التدليل الزائد لدرجة تجعله يشعر بالقلق والخجل عندما لا يلاقي العناية والتدليل نفسه من مجتمع خاص من رفاقه.

## علاج الخجل

عدم إخفاء الأبناء عن المجتمع ومحاولة خلطهم بالرفقاء الصالحين، ومن يخشى الحسد يكفيه أن يرقي أولاده بما يقيهم شر الحسد بدلاً من إخفائهم بما يلي:

- يكثر من قول «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».
- يحفّظهم سورة الإخلاص والمعوذتين ويأمرهم أن يقرأوهما يومياً في الصباح والمساء، وقبل النوم أو ضع يدك على رؤوسهم واقرأها أنت إن كانوا صغاراً.
- أكثر من الدعاء لهم بأن يحفظهم الله من كل مكروه وسوء ومن شر حاسد وحاقد وتوكل على الله.
- التوسط في المعاملة بين التدليل والقسوة ويعاقب ويؤنب ويشجع مع شدة في غير عنف ولين في غير ضعف.
- اهتمام الأب بأبنائه منذ ولادتهم كالأم تماماً وإحاطتهم بجو من الحب والتقدير والدفء العاطفي ولا يشغله عن ذلك كثرة أعماله.
- إبراز جوانب التميز عند الطفل الخجول وإشعاره بالثقة في النفس، وإن كان ذا عاهة يلقن دائماً أنه ليس الوحيد في ذلك ومثله فلان وفلان والمتفوقان المشهوران ويذكر له أمثلة مثل الصحابي عمرو بن الجموح الذي كان أعرج وجاهد في سبيل الله واستشهد وخلّدت وغيره كثير.
- عدم مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظاً منهم سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي من حيث الوسامة أو القدرات والاستعدادات الاجتماعية لأن مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي به إلى الخجل.
- لا تدفع الطفل للقيام بأعمال تفوق قدراته، فليس معنى تشجيع الطفل وبث الثقة في نفسه أن يدفع إلى القيام بأعمال تفوق طاقته الجسمية وقدراته العقلية أو اللفظية، بل ندفعه إلى الأعمال التي في استطاعته لنكسبه شعوراً بالأهمية والتقدير في نظر نفسه والآخرين من حوله بدلاً من الانزواء والخجل والبعد عنهم.
- يجب تدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال.
- تشجيع الطفل على ممارسة أحد الألعاب في النادي أو ممارسة هواية ما كالرسم أو الزخرفة أو الكمبيوتر أو غير ذلك.
- الإكثار من ذكر أمثلة من السيرة النبوية وقصص الصحابة والصالحين التي تساعد على الجرأة والشجاعة.

وهذه بعض الأمثلة التاريخية والأحاديث النبوية التي تعطي للمربين جميعاً القدوة الصالحة في تربية السلف الصالح أبناءهم على الجرأة، ومعالجة ظاهرة الخجل في نفوسهم.

١ - روى البخاري وغيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما - وكان دون الحلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة».

٢ - دخل على عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - في أول خلافته وفود المهنئين من كل جهة، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام، غلام صغير لم يبلغ الحلم وعمره إحدى عشر سنة.

فقال له عمر: ارجع أنت، وليتقدم من هو أسنّ منك، فقال الغلام: أيد الله أمير المؤمنين، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام ولو أن الأمر - يا أمير المؤمنين - بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا.

فتعجب عمر من كلامه وأنشد:

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده
صغير إذا التفت عليه المحافل

فيؤخذ من هذه الأمثلة التي سردناها أن أبناء السلف كانوا يربونهم على التحرر التام من ظاهرة الخجل ومن بوادر الانكماش والانطوائية، وذلك بسبب تعويدهم على الجرأة ومصاحبة الآباء لهم لحضور المجالس العامة وزيارة الأصدقاء، ثم بالتالي تشجيعهم على التحدث أمام الكبار، ثم دفع ذوي النباهة والفصاحة منهم لمخاطبة الخلفاء والأمراء، ثم استشارتهم في القضايا العامة والمسائل العلمية في مجمع من المفكرين والعلماء ●



نساء مؤمنات

# نفيسة العلم والمعرفة والتقى والصلاح

بقلم: ميرفت نواف خليل

إنها حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب من النساء المؤمنات اللواتي أعزهن الله بالإسلام، ووثب بها ووثبت به مع إشراقة نوره على يد سيد الأنبياء والمرسلين، محمد صلى الله عليه وسلم، والذي أعاد للمرأة عزتها وكرامتها بمنحها حقوقها وأهليتها وجعلها عنصراً فاعلاً في المجتمع ونهضته وسلامته وحقق لها مكانة رفيعة أزال عنها وصمة انتقاص المرأة فقدمها الله سبحانه وتعالى في الذكر الحكيم عندما بين فضله على عباده في هبته للذكور والإناث حيث قال عز من قائل: (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور) الشورى:٤٩.

ولدت بمكة المكرمة العام ١٤٥هـ في بيت فضل وعلم ودين وحسب ونسب، وسلكت طريق التقوى والصلاح عندما حفظت كتاب الله دستور المسلمين، وتفهمت تفسير آياته البينات من خلال تفاسير أئمة عصرها المجتهدين الأعلام الصادقين، ثم أقبلت على أحاديث جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم تستوعبها وتنهل من معينها وتعتبرها دليل عمل لها ولغيرها وذلك بعقلية نفاذة وقلب مشرق بحب المعرفة الدينية والخبرة الإسلامية والعلم والإيمان العميق بالله الواحد الأحد.

وبفضل هذا كله استطاعت أن تحب الذات القادرة عن علم ومعرفة فتخلص في جهادها عن خشوع ونبل وثقة وإيمان وخضوع بما أمر الله به وتبتعد عما نهى عنه فزهدت في الدنيا باعتدال وجعلت من حياتها مرحلة تزود للآخرة بالعمل الطيب المستمر، فلم تقعد ولم تهن ولم تتواهن أو تتواكل بل أخذت من دنياها لدينها وحصنت حياتها بسياج الدين لتحمي روحها المبرأة من بهرج الوجود، فعملت للدنيا كأنها تعيش أبداً وللآخرة كأنها ستموت غداً فكانت نعم العابدة والعاملة والزاهدة التي لم تنس الأخذ بحظها المقسوم في حياة أحل الله طيباتها للناس جميعاً وتلك هي حلاوة الإيمان التي لا يحس بها إلا المؤمنون حقاً.

فالعلم والمعرفة شعارها حيث كانت دارها موئل العلماء أهل الفضل فهي راوية صدق ومحدثة علم فهي نفيسة العلم والمعرفة.

تزوجت بابن عمها إسحق المؤتمن بن الإمام جعفر الصادق، انتقلت معه إلى مصر واستقرت في القاهرة في دار متواضعة، حياتها كلها نسك وتعبد وخلوص روحي، وهي تعرف أن حياة الإنسان في دنياه إنما هي ابتلاء لإيمانه ومدى تمسكه بدينه وإن الحياة الدنيا دار عمل صالح يجنيه العاملون في يوم الآخرة مدركة قوله تعالى: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) فصلت:٤٦، وإن الآخرة هي دار النعيم الأبدي، فعملت لكي تنال الجزاء في الآخرة، فقد شغلتها الآخرة عن الأولى وامتلأ قلبها الخاشع بذكر الله وحبه ومخافته لتكون في ظلال الرحمن قريرة العين برضاه (وللآخرة خير لك من الأولى) الضحى:٤.

كانت كثيرة الاستغفار والبكاء والتهجد آناء الليل وأطراف النهار، تردد بضراعة وإخلاص وابتهال: إلهي وسيدي متعني وضاعف فرحتي برضاك عني. كانت لا ترفق بنفسها فلا تنام الليل ولا تفطر في النهار، قالت عنها زينب بنت يحيى: «قمت بخدمة السيدة نفيسة أربعين سنة فما نامت الليل ولا أفطرت النهار ولقد قلت لها ذات يوم: أما ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبات لا يجتازها حتى الفائزون. أجل، لقد سلكت السيدة نفيسة طريق الزهد والإخلاص والإيمان والعبادة دون تعثر أو ملل أو تفكير في الراحة مرددة مناجاة جدها سيدنا علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - الذي كان من عادته التهجد طوال الليل وكثير الاستغفار والتأمل

والبكاء، أجل مرددة قوله: يا دنيا غري غيري إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوقت فعمرك قصير، ونوالك حقير، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق. إنه يشفق من هول الرحلة إلى الآخرة، وهو المبشر بالجنة، فكيف بحفيدته المؤمنة العابدة «نفيسة العلم والتقى والصلاح»، والتي اجتباها ربها برضوانه أضاء بصيرتها بنور قرآنه، وهي التي استقبلت الإمام الشافعي في بيتها وناقشته في الفقه والأحاديث وأصول العبادة ، وكانت إذا حان وقت الصلاة صلى بها وقالت فيه: رحم الله الشافعي لقد كان يحسن الوضوء.

نفيسة تستوقف موكب الحاكم المصري أحمد بن طولون

من جرأتها وعدم سكوتها على الظلم والجور استوقفت موكب ابن طولون الذي شكا إليها الناس من جوره بالرعية، فترجل عن جواده عندما نادته باسمه أسرع إليها موقراً لها وهو يرتجف منها، وقالت له: ملكتم فأسرتم فكان منكم الجور والعنف وقطع الأرزاق وقد علمتم ان سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ولا سيما الصادرة عن قلوب أوجعتموها وأكباد أذقتموها قسوة الجوع وأجساد حكمتم عليها بالعري بعد الكساء، ومحال أن يموت المظلوم وأن يبقى الظالم، فاعملوا ما شئتم فنحن صابرون، فجوروا ما حلا لكم الجور، فإنا بالله مستجيرون واظلموا ما طاب لكم فنحن إلى الله متظلمون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الشعراء:٢٢٧.

فأقبل ابن طولون على نفيسة المؤمنة الشجاعة يترضاها ويعدها خيراً للرعية وقد وفى بوعده وسار في الناس سيرة العدل والبذل والعطاء، ونجدة المحتاج، تلك كانت عيشتها في مصر، زهد وتواصل واتصال دائم بالناس والتعرف إلى حاجاتهم، والتوسط لهم والدفاع عنهم لدى ولاة الأمور، ساعية إلى فعل الخير ومنفعة المجتمع، حتى دبَّ الوهن في جسدها، وأصابها المرض الذي اعتبرته طريقاً إلى الآخرة، حيث اللقاء بربها والحياة الأكثر خلوداً في ظلال النعيم وفي جوار أرحم الراحمين، فتخيرت صحن دارها قبراً حفرته بنفسها لنفسها وصلت فيه مرارا، وتلت فيه كتاب الله واستطابت ثراه حيث انتقلت إلى رحمة الله وهي صائمة والناس يتوسلون إليها بالافطار، ولكن عبق الخلد وروائح الجنة، وزاد التقوى وتحريك فمها بذكر الله وقراءة قرآنه الكريم يمنعها من الإفطار، وكانت آخر كلماتها: سألت الله أن ألقاه صائمة، فما أجدر سيدات هذا العصر من نساء المسلمين الاحتذاء بهذه السيدة الطاهرة العابدة المؤمنة الزاهدة، التي أحبت الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وجميع البشر لأنها صاحبة عقيدة وعلم وعمل وهو دين الرحمة والإنسانية فكانت حقاً تمثل المرأة التي هي دعامة المجتمع ولا يزال المجتمع ناهضا مكينا ما نهضت به فإن هي وهنت دونه تخاذلت عنه وتهاوت أعمدته وتصدعت جدرانه ●

# المرأة الصالحة من تكون؟؟

بقلم: فتحية صديق شندي

قد يتبادر إلى ذهن الكثيرات أن المرأة الصالحة هي تلك التي «تصلي وتصوم وتحج وتعتمر وتتصدق بفضول أموالها وترعى المساكين والمحاويج وفقط»، وهذا خير كله فهو جزء من منظومة العبادات والشعائر التي طولب بها المسلم والمسلمة سواء بسواء، وحسن أن ترعى المسلمة جانب ربها في «الأقوال والأفعال والنيات» لكنَّ الأحسن أن تجمع بين ذلك وبين مرضاة بعلها ومسرته، فالمرأة الصالحة من وجهة النظر العادلة هي تلك التي تفعل ذلك كله وتزيد عليه حسن تبعلها لزوجها، إذ لو قامت بالشعائر الظاهرة التي ذكرناها وتركت جانب الرعاية والعناية ببعلها لأضافت إلى همومه هموماً، ولأحزانه جراحاً فهو ما تزوج إلا ليسكن إليها من عناء الحياة وشدتها، وما اختارها، دون غيرها إلا ليريح رأسه على صدرها ويلقي بكلكله عندها وما رضيها إلا لأمر خفي عنده أنه سيكون أكثر حظاً وأوفر قدراً من غيره الذي لم يحسن اختياراً أو يبق اصطباراً لو فطنت مثل هذه المرأة أن العبادة في الإسلام تشتمل على إحسان الأعمال والأقوال لنهضت تخدم بعلها وتزف نفسها كل يوم إليه، وليس من الرشد أن تحسن العلاقة التي بينها وبين خالقها ثم هي لا ترعوي أو تهتم بشريك تلازمه وأنيس ترافقه وسمير تحادثه وحبيب تجالسه ووالله فليس هذا بالنصف!.

فلمن يبث شكواه، ولمن يحكي شجونه ويبث أشواقه وحنينه؟

ومن الذي سيأخذ بيده ويربت عليه مشجعاً له على كفاحه وكدحه، ومن الذي سيمسح عنه حبات العرق تتقاطر على جبهته السنية ومحياه الوضيء وتقف بين يديه ترجوه أن يدعو الله لها «لا تنسانا من صالح دعائك»، ومن إذاً تلك التي تستحث أبناءها أن يلبسوا أحسن ثيابهم ويصلحوا هندامهم لأن أباهم قادم من سفره، فيراهم في أحسن مظهر وأطيب مخبر، ومن إذاً تلك التي تجلس ليلها تضاحكه، وتقضي جل وقتها تمازحه وتسري عنه وتلاعبه لتكون بين يديه «أماً وزوجة واختاً»، ومن هي التي تبكي لفراقه، وتقلق لتأخره وتبتهج لقدومه وتسعد بحديثه، وتفرح بقربه، وتناقشه خططه، وأفكاره، ومستقبله وتحرز ماله وترعى ولده، وتجعل من بيتها الجنة الفيحاء والدوحة الغنَّاء وإلا ما الذي يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعتبرها الكنز الدائم والسر القائم «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: المرأة الصالحة»، أصلحت دنياها بدينها، فجمعت بين الحسنيين فلله درها... ولله أمها، ولله أبوها، ولله جدها فهي لعمري أندر من الكبريت الأحمر، ودونها خرط القتاد، فآه آه شوقاً لها وتحناناً إليها ●

صرخة في وجه العالم المتحضر...

# من ينقذ أطفال العالم؟!

بقلم: الطيب أديب

الأطفال هذا العالم البريء بإمكاننا أن نجعل منهم العالم والمفكر والمبدع، أو نصنع منهم لصوصاً وشذاذ آفاق، فرغم أن كل الرسالات السماوية والقوانين الوضعية أوصت برعايتهم وحسن تربيتهم وتوجيههم توجيهاً صحيحاً ليكونوا لبنة صالحة للمستقبل، إلا أن التغيرات المادية البحتة وانهيار الأخلاق والقيم التي اجتاحت العالم هذا العصر العجيب، دفعت بالأطفال إلى هاوية التشرد والعبودية والإباحية بعيداً عن عالمهم الظاهر البريء!.

تذكر الإحصاءات الدولية أن هناك ١٣٠ مليون طفل في العالم من دون تعليم، و١٠٠ مليون طفل يعملون في ظروف خطيرة، و١٣ مليون طفل يموتون بسبب سوء التغذية والأمراض، ومليون طفل أجبروا على العمل في الدعارة، وما يقرب من ٣٠٠ ألف يحاربون في الجيوش النظامية والجماعات المسلحة.

## أعمال شاقة

رغم أن قوانين العمل تمنع تشغيل الأطفال في أي أعمال، إلا أن كثيراً من دول العالم تخالف ذلك، وقد بلغ عدد الأطفال الذين يعملون في أعمال شاقة نحو ١٠٠ مليون طفل ما بين الخامسة والرابعة عشرة، منهم ٣٢٪ في أفريقيا، و٦١٪ في آسيا، ونصفهم يعمل يوماً كاملاً، وبعضهم يعمل ما بين ١٢:١٥ ساعة يومياً.

وحددت الاتفاقية رقم ١٣٨ التي تبنتها منظمة العمل الدولية الحد الأدنى لعمل الطفل ١٥ عاماً، أو ١٨ عاماً للأعمال الخطيرة، واختلفت بعض الدول في تحديد العمر فجعلته من ١٧ - ١٨ عاماً، كما في الولايات المتحدة الأميركية وبوليفيا وكندا، وحددته مصر والسنغال وبعض الدول ١٢ عاماً.

ويعمل الأطفال في مجالات كثيرة، فأطفال لوكسمبورج يعملون في الجزارات، وأطفال ساحل العاج يعملون في التعدين، وفي المكسيك يعملون في صناعة الأحماض، وفي تايلاند يعملون في الملاهي الليلية، أما أطفال الهند فيعملون في أعمال شاقة وخطيرة، كأعمال المتفجرات، وصناعة الزجاج، وهنا نحو ٥٠ ألف طفل يعملون في أفران الزجاج المرتفعة الحرارة.

## أطفال الحروب

يوجد أكثر من ٣٠٠ ألف طفل تحت سن ١٨ عاماً يجندون في الجيوش كمحاربين أو جواسيس أو يستخدمون للكشف عن الألغام، وخلال السنوات العشر الماضية، قتل ملايين الأطفال في الحروب بسبب سوء التغذية والأمراض الخطيرة كما حدث في سيراليون، والسودان، والعراق وغيرها.

## شبكات الدعارة

من أبشع الجرائم التي ترتكب في حق الأطفال انتهاك كرامتهم وإذلالهم جسدياً بالاعتداء عليهم جنسياً، وقد تزايدت ظاهرة استغلال الأطفال جسدياً في أعمال الدعارة وبخاصة في جنوب شرق آسيا، وأميركا اللاتينية، وأفريقيا، وأوروبا، وأميركا الشمالية، ففي كندا نحو من ٣٠٠ ألف طفل دون الثامنة يعملون في شبكات الدعارة، وفي مدينة «كالجاري» الكندية تمتلئ الشوارع بأعداد غفيرة من الأطفال والمراهقين، وفي الفترة بين ١٩٩٢م: ١٩٩٤م، قامت الشرطة الكندية بالقبض على مئات القواد واعتقلتهم في محاولة للقضاء على هذه الظاهرة.

أما أطفال الشمال الأميركي، كما تذكر التقارير الأمنية والأبحاث الاجتماعية، فيدخلون عالم الدعارة تحت إلحاح وضغوط من قبل القوادين، فهناك أكثر من ٥٠٠ ألف طفل هاربون من أسرهم تعرضوا لاعتداءات جسدية وجنسية في بيوتهم، أما الأعمال الإباحية التي يدفعون إليها من قبل القوادين، فتتمثل في تصوير الأفلام الإباحية، ونادي العراة، وسد حاجات السياح، ونظراً لانتشار الظاهرة وكثرة الأرباح التي تسببها، فقد زاد عدد الذين يعملون في هذا المجال، وصارت مناطق الريف الأميركي مرتعاً خصباً لهؤلاء السماسرة.

وقد أعلنت منظمة «اليونسيف» أن نحواً من مليون طفل في العالم يقعون ضحايا لسياحة الجنس والدعارة المنظمة التي تديرها شبكات دعارة عالمية، والتي لها صلة بالسياحة، وتم تداول أكثر من ٢٥٠ مليون نسخة من أفلام دعارة الأطفال في العام ١٩٩٠م، ودخلت شبكات الإنترنت في السوق لكونها وسيلة سهلة للحصول على الصور والإعلان عن تجارة الأطفال جنسياً، وفي تقرير أعده الإنتربول في السوق لكونها وسيلة سهلة للحصول على الصور والإعلان عن تجارة الأطفال جنسياً، وفي تقرير أعده الإنتربول جاء فيه أن ألمانيا هي المنتج الرئيس لأفلام الفيديو التي تصور دعارة الأطفال، وأن بلاد شمال أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة، هي أكثر المراكز لترويج وتوزيع هذه التجارة التي تفوق أرباحها مليار دولار سنوياً!.

## عواقب وخيمة

إن إلحاق الأطفال بالأعمال الشاقة والخطيرة والزج بهم في ساحات القتال ودفعهم إلى ممارسة الرذيلة والمتاجرة بأجسادهم نظير الأرباح، ينذر بعواقب وخيمة على العالم كله، لأن هؤلاء الصغار هم مستقبل هذا العالم، فإن لم تتكاتف الجهود الدولية لإنقاذ الأطفال الأبرياء من هذا الجحيم الذي يعيشونه سيكون مصير البشرية مظلماً، ويحل الدمار على العالم كله!!



الاقتصاد الإسلامي

إعداد:
معن خليل

# مكتب للاقتصاد الإسلامي في كلية الشريعة

أنشأت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت مكتباً للدراسات الاقتصادية الإسلامية. وقال عميد الكلية الدكتور محمد الطبطبائي: «إن التجربة الناجحة التي حققتها المصارف الإسلامية في الكويت والمنطقة، إضافة إلى توجه عدد من المؤسسات المالية التقليدية إلى النظام المالي الإسلامي، تستدعي وجود مكتب متخصص في مجال الاقتصاد الإسلامي، وإن إنشاء هذا المكتب يسير وفق الخطة الإنمائية للكلية هذا العام، والتي تهدف إلى تفعيل دور الكلية في الجانب البحثي والاستشاري في كل المجالات بما فيها الاقتصاد الإسلامي» ●

# بريطانيا ترحب بإنشاء بنك إسلامي

قالت الهيئة التي تتولى تنظيم القطاع المالي في بريطانيا: إنها ترحب بطلبات لفتح بنك للمعاملات الإسلامية، وأنها أجرت محادثات في شأن الكيفية التي يمكن أن يفي بها مثل هذا البنك بلوائحها التنظيمية. وفي تصريحات أدلى بها في مؤتمر عن التمويل الإسلامي قال «هاوارد» ديفيز رئيس هيئة الخدمات المالية: إن السوق تعاني من نقص في الأوعية الاستثمارية الخاصة بقطاع التجزئة المصرفية الإسلامية التي من الممكن أن تخدم ما يصل إلى مليوني مسلم في المملكة المتحدة ●

# البنك الإسلامي للتنمية يرصد ملياري دولار

تعهد البنك الإسلامي للتنمية، بتأمين مبلغ ملياري دولار على مدى خمس سنوات مقبلة تذهب لدعم جهود التنمية في الدول الأفريقية الأقل نمواً، المنتسبة لهيئة أعضاء البنك وتهدف هذه الخطوة التي أقرها الاجتماع السنوي الـ٢٧ لمحافظي مجموعة البنك في ختام أعماله أخيراً في عاصمة «بوركينا فاسو»، رفع مستوى الأداء الاقتصادي من خلال نشر المشاريع التنموية في الدول الأفريقية. في غضون ذلك، وقَّع البنك الإسلامي للتنمية مذكرة تفاهم مع مجلس التعاون الخليجي، بهدف تعزيز وتدعيم مجالات التعاون المشترك بينهما. ●

## مؤتمر عالمي للاقتصاد الإسلامي

تنظم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي خلال شهر مارس المقبل لمتابعة ورصد المتغيرات الاقتصادية العالمية وتقويم مسيرة الاقتصاد الإسلامي ●

# الاستثمار الإسلامي في العالم يصل إلى ٢٣٠ مليار دولار

قال خبير اقتصادي دولي: إن قطاع الاستثمار الإسلامي في العالم يعد حالياً من أسرع القطاعات نمواً، حيث وصلت استثماراته خلال عشر سنوات إلى نحو ٢٣٠ مليار دولار بمعدل نمو سنوي قدره ١٥٪.

وأعلن «كريس مولينجر» المدير التنفيذي للمنتدى الإسلامي العالمي عن إقامة المؤتمر المالي الإسلامي العالمي الثالث في دبي في شهر فبراير المقبل، حيث سيتم بحث أحدث التحديات التي تواجه القطاع المالي الإسلامي ومدى تأثر الشركات الحكومية بالموضوعات القانونية والسياسات الاقتصادية والفلسفية.

وقال «مولينجر» إن قطاع المال الإسلامي استطاع في عدد من الدول الحصول على ما نسبته أكثر من ٣٠٪ من حصة أسواقها، حيث أصبح من غير الممكن تجاهل هذا القطاع من قبل عالم المال بشكل عام ●

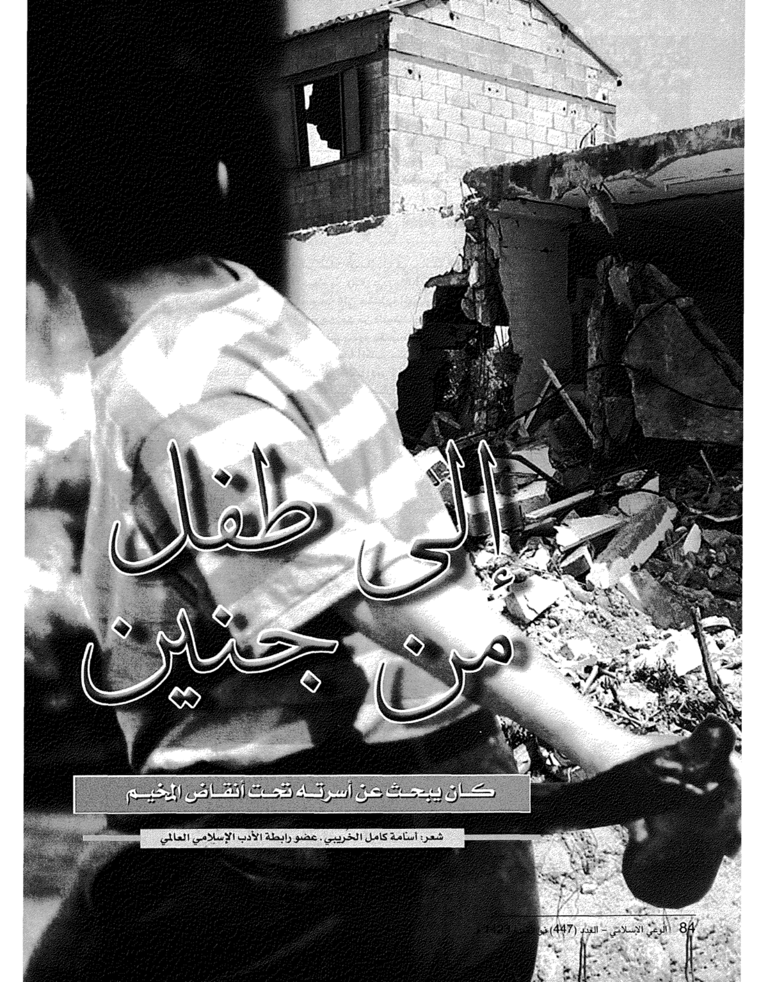
## من هنا وهناك

- قال مسؤول في بنك دبي الإسلامي إن البنك يعتزم تنويع وتوسيع نطاق خدماته التمويلية العقارية المقدمة لمواطني دولة الإمارات ودول مجلس التعاون الخليجي، وكذلك الأجانب المقيمين في البلاد.
- أعلن «مصرف البحرين الشامل» عن تأسيس شركة جديدة تحت اسم «شركة الشامل للصناديق الاستثمارية» وهي شركة صناديق بحرينية حصلت على موافقة مؤسسة نقد البحرين وتأسست في ٢ سبتمبر ٢٠٠٢م كشركة مساهمة بحرينية مقفلة.
- تخضع سوق الاكتتاب الأولى في دولة الإمارات إلى اختبار جديد هو الثاني من نوعه منذ العام ١٩٩٧م، إذ أعلنت شركة دبي الإسلامية للتأمين وإعادة التأمين «أمان»، وهي شركة قيد التأسيس، أنها بصدد طرح ٥٥٪ من رأس مالها المدفوع البالغ ٦٠ مليون درهم (١٦,٥ مليون دولار) للاكتتاب العام على مواطني دولة الإمارات
- أعلن بيت التمويل الكويتي عن تقديمه تسهيلات استثنائية للمرة الأولى إلى جميع منتسبي الهيئات التعليمية في مهرجان خاص بهم، وذلك إيماناً منه بالدور التربوي للمعلم في تنمية المجتمع.
- سمحت الحكومة الباكستانية للبنوك التجارية العاملة في البلاد، بمباشرة خدمات مصرفية طبقاً للشريعة الإسلامية وبعيداً عن الفوائد البنكية ●

# إلى طفل من جنين

## كان يبحث عن أسرته تحت أنقاض المخيم

شعر: أسامة كامل الخريبي . عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمي



في أيِّ بحرٍ من بحار الهَوْلِ تبعث ناظرَيْك؟
في أي موجٍ من دماء القصف تُتْعبُ راحتيك؟
وبأي آذانٍ تواجه ما يُرَوِّع مسمَعَيْك؟

● ● ●

أتُراك تبحث في الركام على أبيكْ؟
أتراك تسأل في الحطام على أخيكْ؟
عن وجه أُمِّكَ.. عن زميلك.. عن ذويكْ؟

● ● ●

عن كِسْرَةِ الخبز التي حرموك منها من شهورْ؟
عن قطرة الماء التي قطعت عن الشعب الأسير؟
عن بُقْعَةِ الضوءِ التي حُجِبَتْ عن الليل الضرير؟

● ● ●

فَتِّشْ مَلِياً يا حبيبي بين أشلاءِ الضحايا
فَلَقَدْ تصادف وَجْهَ أُمِّكَ أو ذراعاً في البقايا
ولقد تصادف أُسْرَةً سُحِقَتْ وصارت كالشظايا

● ● ●

وَرَفَعْتَ شيئاً من ركام البيت كالجُبِّ المخيفْ
فرأيتَ مقبرة المئات من الضحايا والألوفْ
فَصُعِقْتَ مما قد رأيت وما تبادر للأنوفْ

دُفِنوا جميعاً تحت أنقاض المنازل نائمينْ
وأتت مُجَنْزَرةٌ لِتُكْمل قصة الموت المهينْ
ولكي تُدارى في الخفاءِ جريمة العصر المُشينْ

● ● ●

أهيَ القيامةُ... أم مشاهدها تبدَّت في «جنين»؟
أهي البشاعة قد تجلَّتْ في زحوف الغاصبين؟
أهي الإبادةُ حين تسْخَرُ من غُثاء المسلمين؟

● ● ●

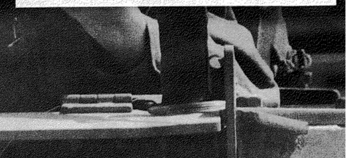
هذا الحُطامُ... حُطامُ أُمتك المقيدة القعيدةْ
هذا الركام رُكام أنظمة مُحنَّطة بليدةْ
وهو النهايةُ للخيانةِ والتَّنكرِ للعقيدةْ

● ● ●

هذا هو النِّفْطُ الذي مَنَّ الإله به علَيْنا
قد عاد طائرةً من الأعداءِ تهدم ما بَنَيْنا
قد عاد صاروخاً يُفَجِّرُ في المخيَّم إنْ أَبَيْنا

● ● ●

لا تَبْكِ أُمَّكَ أَوْ أَبَاكَ أو العروبةْ
وارفع إلى الرحمن كفَّكَ للضراعة والمثوبةْ
إنَّ الذي كتبَ البلاءَ هو الذي يمحو كُرُوبَهْ





# الطريق الطويل

بقلم: محمد مكين صافي

... «يا بني حاذر!.. لا تغريك همّة سيارتك عن مفاجآت الطريق!...».

لم تزل عبارة الوالد تتردد في سمعي وأنا أمضي فيما اختارته إرادتي من طريق... ذلك الطريق الطويل القائظ.. الممتد مستوياً مثل الكف أمام ناظريْ... المزروع رملاً أصفر إلى ما لا نهاية.. الساكن الصامت كأنه يتنصّت إلى سرٍّ أزلي لا يُدرك!.. وأنا أمضي فيه وأمضي.. بصبر لا أملك سواه.. وبيدين على المقود راسختين لا يجوز أن تفتُرا .. وبعينين لا تريدان أن تفارقا ما يتشكل في الأفق من مشهد جديد!.. وبطرْفٍ يرقب مؤشر الساعة يستحثّها كي تسرع في الوصول.. وبسريرة تنتابها مع دقات الساعة هواجس شتى.. وبقلب يخفق مع أدنى صوت نشاز ينذر بخلل ما.. فأترقب وأترقب.. وأتوجس وأحاذر.. وأسأل الله - في سرّي - أن ينجيني ومن معي من مفاجآت الطريق!.

«على الربان أن يكون طلْق المُحيا...» كثيراً ما قرأت هذه العبارة من قبلُ دون أن أدرك أهميتها... أما الآن فعليَّ أن أكون طلق المحيا... طافح البِشْر.. متفائلاً مهما لقيت... وعلى لساني ألا ينطق إلا بما يُدخل البهجة ويبعث الاطمئنان في قلب المسافرين.. وأي مسافرين!!.. إنهم أبنائي وأمهم!.. فالآن أي كلمة تكشف ما أحس به سوف تخيفهم.. وأي هفوة أو تهاون ستفقدني الكثير.. الكثير الذي لا يعوّض!.. يا للمهمة العسيرة التي اختارتها رغبتي ولا أراها توازي ما توقعته من خير... فوق أني ربان قليل الحيلة على ما يبدو... أجل.. ولكن يتوقع منه الكثير!..

- «بابا.. نريد شراباً بارداً!...».

- «حاضر!...».

- «بابا.. أصلح مكاني فهو غير مريح!..»..

- «حاضر!..»..

- «بابا.. هذه الأنشودة لا أحبها.. بدّلها أرجوك!..»..

- «حاضر!..»

- بابا بابا... الحمام!.. الحمام بابا!..».

- «حاضر.. حاضر.. حاضر!...».

ولم ترحم ارتباكي - بعدُ - تلك الشاحنات التي كانت تزعق حولنا فتفعل في أعصابي الأفاعيل... ففي كل مرة تقابلنا فيها برعونتها غير المستحبة - بل المخيفة - ... وفي كل مرة يصادفنا فيها مرتقى صعب... كنت أحس كأن يداً توشك أن تخلع قلبي أو تخطف وعيي... هناك... وفي ذروة المرتقى... وفجأة .. تبرز إحداها من حيث لا أراها مزمجرة راعدة... ليبرز معها السؤال الخاطف المخيف: ماذا لو انحرفت أكثر صوبنا؟!... إنني أملك مقودي فمن يضمن مقود ذلك «الغول» الذي يهجم نحونا دون بصيرة؟!... ويتضخم في داخلي الخوف رغماً عني!... وأهمس مرتجفاً: الرحمة!.. إنها تقترب لا تبالي بي ولا بمن أحمل!.. بل إنها تكاد تلاصقني.. بل توشك أن!.. وأصرخ في سريرتي التي أخشى أن يكتشف أحدٌ سرَّها: «يا الله!...»..

ياه!.. كانت لحظات مثل الومض لكنها تساوي دهراً بأكمله!.. لحظات لم أكن أملك فيها سوى أن أتشبث بالمقود أكثر... وأدوس بقدمي على «زند البنزين» بأقصى ما في رغبتي للتخلص من اللحظة المرعبة!.. وفجأة.. وقبل أن أدرك تماماً كيف.. تنزلق الشاحنة الرهيبة مبتعدة عنّي وعن الحمل البريء الذي أحمل... تنزلق وتسمح لنا أن نكمل دربنا كما نشتهي... فينزل مثل الماء البارد على جسدي الملتهب هياجُ الأولاد: «هيه!.. البابا سائق ماهر.. البابا سائق ماهر!...»..

فأحس بعد التوتر بارتخاء عجيب.. وبأن الله سلّم هذه المرة.. وبأنني جاوزت بهم المرتقى بسلام.. وأفرح!.. من كلّ قلبي أفرح.. حتى إنني أكافئ نفسي - من فرط الفرحة - برفع صوت المذياع حتى يصدح بالأناشيد أعلى!.

وعندما وصلنا.. أو هكذا ظننتُ!.. وانقضى الطريق الذي عشته ستاً وثلاثين ساعة بدقائقها الملتهبة.. كان عليَّ أن أبشر بذلك أبي كما أوصاني.. فهرعت إلى الهاتف أناديه: «أبي.. لقد وصلنا وانتهت الرحلة - والحمد لله - بسلام!..»..

فبارك لي وهنأني وصمت قليلاً ثم قال: «أسأل الله القدير أن يكرمك بالسلامة فيما تبقى من الرحلة!...»..

دهشتُ مما قال!.. بل شدّتني - رغم الشدة - عبارته الغامضة إلى حيرة بعيدة من دون أن أدرك سرها.. فسألته: «أبي!.. عن أي رحلة تتحدث.. فأنا لن أعيد التجربة بعد اليوم على الإطلاق؟!..».. فأتتني

حشرجة صوته التي أعرفها عند كل أمر ذي بال وقال: «بل ستمضي في التجربة حتى النهاية!... فالله أسأل أن يكرمك بالسلامة... وحسن الوصول!..» فألحُّ عليه ليزيدني: «أي تجربة تريد.. أرجوك؟!..».. فيأتيني صوته كأنه من عالم آخر: «هناك.. حيث الزاد قليل.. والحمل ثقيل... والسير طويل.. عندها .. لن يكون الهمُّ متى تصل.. لأنك ستصل لا محالة.. إنما الهمّ الأكبر يا بني إلى أين ستصل أنت ومن معك!... فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز!.. فتجهز.. وأعدَّ من الآن «راحلتك».. وتخفف من أحمالك ما استطعت.. فالدرب عسير والناقد بصير يا ولدي... أسأل الله لك حسن العاقبة!...».

صمتُ ولم أدر بمَ أجيب!.. بل فاتتني عبارت الوداع الواجبة له!.. فلقد سرقتني كلماته من كل ما حولي.. ومن الإنهاك الذي أفضت إليه مسيرة الأمس.. ومن مهمتي التي لم تنتهِ بعد.. فالحقائب مبعثرة بعدُ في الصالة.. ورغائبُ الأولاد المتصايحة تكره الانتظار!... سرقتني كلماتُ الأب العميقةُ حتى من نفسي!.. ومضتْ بي أسرة كأنها تأتيني للمرة الأولى... أو كأنني ما عرفتُ معناها إلا اللحظة!... واستولتْ عليَّ فكرةُ الرحيل من جديد.. وعادني الهاجس نفسه الذي داخلني أمس في أثناء الطريق... على أنه لم يكن هاجس الوصول وحده... وإنما فوقه هاجس جديد يلحّ عليَّ ويسألني: إلى أين الوصول ويحك!... وهل ستغلب اللجة العميقة... وهل ستصبر على طول المسير؟!... وهل ستعبر بمن معك - كما نجحت بالأمس - إلى شاطئ النجاة!.

وعاودتني ذكرياتُ الطريق الذي قطعته أول أمس بكل دقائقه اللاهبة والمرعبة.. وبكل ما كلَّفني من طاقة وجهد وأعصاب... وبكل ما أعددتُ له من قبلُ من الزاد... وعاودني معه الهمُّ من المنعطفات التي واجهتنا فيه.. والمفاجآتُ التي اعترضتنا من حيث لا ندري... وعاودتني صورة تلك الشاحنة وهي توشك أن تبتلعنا - مثل فوهة جهنم - في إغماضة عين من سائقها!.. تذكرتُ صورتها الرهيبة فتنهدتُ وهمستُ في سرِّي مرة أخرى: «يا لي من منهك لا تنقضي همومه ومتاعبه!... ويا لي من طول المسافة... وقلة الزاد!... ومشقة السفر!...».

وانتحيتُ عن الجمع الصاخب جانباً ورحتُ أتمتم: ولكنْ لابد من متابعة السفر!... ولابد - كما في سفرة الأمس - من التحضير لكل شيء... ومن توقع كل الاحتمالات.. لابدَّ من إعداد العدة للمسير الطويل كما قال الوالد... ولابد من تحضير الزاد بما يكفي الطريق بطوله وبما يكفي المسافرين أجمعين... ولكن كيف؟!.. ومن أين لي؟!.. يا للمشقة!.. يا للمشقة!!.

وجاءني صوت من خلف شرودي يهمس: «لقد كان الله معنا!...» جاءني فهزَّني وأعادني فجأة إلى حيث أنا.. كان همسَ ابنتي وهي تناجي أمها: «لقد كان الله معنا يا أمي... فقد أحسست أن أبي يتعرض لمواقف حرجة كان يمكن أن!... لولا أن الله سلَّم!...».. نظرتُ إليها متمعناً فيما قالت... فأحمر وجهها ودارتهُ خلف ظهر أمها... لكن همس فطرتها تغلغل في داخلي مثل النسيم البارد وقت القيظ اللاهب.. أجل.. أجل.. لقد كان الله معنا... وسيبقى معنا.. ولئن كان الدرب طويلاً فإن الزاد وفير بإذن الله.. إنه هنا.. في الفطرة السليمة التي تعرف اتجاهها... وتذكرت قول ربنا تعالى في الآية (٣٠) من سورة الروم: (فطرة الله التي فطر الناس عليها... لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)!... أجل ذلك هو الدين القيم.. إنه بعينه تلك الفطرة السليمة التي أنطقت ابنتي بما قالت... الفطرة التي علينا أن نحمي نقاءها من غبار الطريق... ومن «الغول» الذي يتربص في ثنايا الطريق!... وها هي تعرف خالقها... وتعرف كيف تصل إليه في هينة ويسر... وكل ما علينا هو أن نتركها تتحرك دون معوقات نحوه سبحانه!.

ورنوت من خلال شرودي فرأيت الأولاد يتركون ما هم فيه ويبادرون إلى الصلاة قبل أن تفوتهم.. فشدني المشهد المحبب مع كثير من الرضى... وأحسستُ بأن الله سيبقى معنا برغم مشقَّات المسير.. وما عليَّ - أنا الراعي - سوى أن أحاذر - وأنا أقود المركبة - من مفاجآت الطريق.. وأن أحميهم من المتاعب ما استطعت.. وأبعد عنهم مغريات «الأبالسة» من خلف المنعطفات!..

وتذكَّرتُ أنني على وضوء فانخرطتُ مع «الرعية» في جماعة.. حتى عاودتْ نفسي المنهكة سكينةٌ كنت في أمسِّ الحاجة إليها... ورحتُ أحلِّق مع ما أعدَّ لنا المولى الكريم من زاد الطريق طائراً في سياحة طالما اشتاقتها روحي!... وتركت للآيات الكريمة أن تنساب في وجداني فتغسل بوحيها العجيب كل ما خلفته وعثاء السفر!... حتى إذا انتهينا سمحت لنفسي أن تسترخي كما تشاء بعد أن اطمأنت إلى كرم المولى... وأنس الطريق... ووفرة الزاد.. وتركتُ لنفسي أن أستمتع بحديث الأولاد وهم يراجعون في شوق بعض مشاهدات الطريق.. ذلك الطريق الذي لن يكون - كما أوحى إليَّ تعبي - آخر تجربة.. بل سأشد الهمّة وأناديهم ورائي ليستعدوا كي نكمل - بعد الاستراحة - بقية الطريق الطويل! ●



## ثمرات الفكر

إعداد: محمد هاني

# الإنترنت في التعليم

عن مكتبة العبيكان بالرياض صدر للدكتور «يحيى لال» أستاذ الاتصال التربوي والتكنولوجيا والمشرف العام على مركز الوسائل وتقنيات التعليم في جامعة أم القرى مؤلَّف جديد عنوانه «الإنترنت في التعليم وواقع البحث العلمي». والكتاب هو اتجاه نحو تنمية الثروات وتعزيز الإنتاج لأن الإنترنت ما هو إلا من أساسيات التكنولوجيا والبحث العلمي ووسيلة حيوية للمعرفة والتطبيق وركز المؤلف من خلال الكتاب على أهمية توجيه الفكر نحو الإنتاج ●

# دراسة في الإسلام الهندي

يبحث هذا الكتاب «سلام أميركا» لمؤلفته «أمينة محمد عارف»، دراسة في الإسلام الهندي ويقدم صورة ديموغرافية واقتصادية للمهاجرين إلى الولايات المتحدة وطبيعة ممارساتهم الدينية مركّزاً على قضايا إعادة اكتشاف هوية الجماعة لدى المهاجرين من الجيلين الأول والثاني، وتؤكد هذه الدراسة أنه بدلاً من الصورة المقبولة التي تربط الإسلام بالعنف، يمكن للدين الإسلامي أن يلعب في الواقع دوراً يرتبط بتحقيق الاستقرار بالطريقة ذاتها التي تصرفت بها أديان الأقليات الأخرى، وبحيث لا يبدو الإسلام مساوماً على قدرة المهاجرين على المساهمة في المجتمع الأميركي. الكتاب يقع في نحو ٤٠٠ صفحة، وقامت بنشره دار انثيم برس ـ الأميركية ●

# المسيح المُهان وأفريقيا المغتصبة

عن دار القلم في باريس صدر كتاب «المسيح المهان وأفريقيا المغتصبة» للكاتب «أساني فاساسي» وهذا الكتاب المميز الذي يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط يغوص في التاريخ الوسيط وبالضبط إلى يوم ٨ يناير من سنة ١٤٥٤م، وهو اليوم الذي أصدر فيه «البابا نيكولا الخامس» فتواه الشهيرة بغزو أفريقيا واستعباد أهلها، الفتوى الملعونة لم يترجمها أحد من قبل من اللاتينية إلى الفرنسية، وذلك ما قام به صاحب الكتاب وهو من أبناء أفريقيا وسبق له أن كتب في الموضوع نفسه تحت عنوان: «الانقضاض على أفريقيا المنهكة».

الفكرة الرئيسة للكتاب تدور حول سبل التحرر الأفريقي من الهيمنة الغربية عليها، وذلك ما لن يتحقق إلا بسبيل واحد حسب الكاتب، ألا وهو الاستثناء وليس الاستثناء الثقافي وحده، ولكنه الاقتصادي والسياسي والأكاديمي والرياضي والمالي والتجاري والقانوني والدبلوماسي والسياحي والإنساني... إلخ، أي كل أنواع الاستثناء التي تجعل أفريقيا والأفريقيين في معزل عن طرق الانقضاض والهيمنة الغربية.

وذلك هو الهدف الذي ينبغي أن يجعله الأفارقة نصب أعينهم مهما طال الزمن وأخذ ذلك من الوقت عشر سنوات، أو مئة سنة، أو أكثر، كما يلح على ذلك الكاتب غير ما مرة، فعلى الأفارقة أن يسارعوا إلى وضع كل الآليات التطبيقية لمنع ومقاطعة القوانين الغربية، المسماة دولية، التي تجثم فوق التراب الأفريقي مع العلم أن تلك القوانين آتية من القوانين السوداء، ومن قوانين نابليون الذي أسس الاسترقاق وتجارة العبيد.

كتاب «أساني فاساسي» صوت قوي يُضاف إلى قائمة أصوات كثيرة بدأت تعلو وتعلو، وتشير بأصابع الاتهام إلى الجذور الدينية والدنيوية الأولى للحداثة والعولمة الغربية، حداثة جعلت الغرب مركزاً والباقين أتباعاً، ورفعته سيداً والآخرين عبيداً، ونصّبته حاكماً والأهالي مسخرين له، والكاتب بخلفيته الإسلامية الواضحة «وفرانكفونيته البليغة» يصل بالقارئ إلى درجة اليقين والاقتناع بالمشروع التحريري الكبير، ولا يملك المرء النزيه إلا أن ينخرط في المعركة الشريفة دون أن يتردد أو يتأخر ●

### إيطالي وألماني وأميركي وياباني فازوا في العلوم

# سوداني ومغربي فازا بجائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية

قال منظموا جائزة الملك فيصل العالمية: إن أميركياً ويابانياً وألمانياً وإيطالياً فازوا بجوائز في مجال العلوم والطب.

وتعد هذه المسابقة السنوية التي منحت للمرة الأولى العام ١٩٧٩م من أكبر المسابقات في العالم العربي وتبلغ قيمة الجائزة الواحدة ٢٠٠ ألف دولار أميركي.

وقالت مؤسسة الملك فيصل الخيرية: إن الدكتور «إكسل أولرخ» الألماني الجنسية الذي يعمل بمعهد «ماكس بلانك» للكيمياء الحيوية والدكتور «أومبرتو فيرونيزي» بالمعهد الأوروبي لمكافحة السرطان بميلانو في إيطاليا فازا مناصفة بجائزة المؤسسة في فرع الطب عن موضوع سرطان الثدي.

في فرع العلوم اقتسم الجائزة الدكتور «ماريون فردريك هوثرون» الأميركي الجنسية بجامعة «كاليفورنيا» والدكتور «كوجي ناكانيشي» الياباني الجنسية بجامعة «كولومبيا» في نيويورك. وقالت المؤسسة إن «هوثورن» هو أحد أصحاب الأبحاث الرائدة في مكافحة السرطان، فيما يعمل «ناكانيشي» في مجال سبل علاج فقدان البصر بين كبار السن.

وفي موضوع الدراسات التي تناولت التاريخ الاقتصادي عند المسلمين في فرع الدراسات الإسلامية، اقتسم الجائزة الدكتور عزالدين عمر السوداني الجنسية والدكتور إبراهيم أبوبكر حركات المغربي الجنسية.

وتم تأجيل الإعلان عن الفائزين بجائزة خدمة السلام إلى ما بعد عيد الأضحى المبارك، فيما حجبت جائزة فرع الأدب العربي وموضوعها الدراسات التي عنيت بتعريف المصطلحات الأدبية والنقدية ●

## صدر حديثاً



### الجماعات السياسية الإسلامية والمجتمع المدني

اسم المؤلف: أحمد حسين حسن.

دار النشر: الدار الثقافية للنشر.

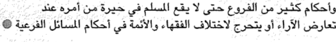
يهدف الكتاب إلى التعرف إلى طبيعة العلاقة بين جماعات الإسلام السياسي بأنماطها المختلفة ومرجعياتها الفكرية والمذهبية المتنوعة، ومؤسسات المجتمع المدني، حيث كشف أبعاد عملية بناء النفوذ السياسي والتغلغل الفكري، وذلك من أجل تحقيق الهيمنة الاجتماعية والأيديولوجية لجماعات الإسلام السياسي على مؤسسات المجتمع المدني بوصف ذلك يشكل خطوة أولية وضرورية لتأسيس كل من المجتمع والدول الإسلاميين.

### مصادر التشريع الإسلامي

اسم المؤلف: د.عباس شومان

دار النشر: الدار الثقافية للنشر

يعني هذا الكتاب بدراسة التشريع الإسلامي والوقوف على أطواره منذ عهد النبوة إلى عصرنا هذا، وما يترتب على ذلك من الوقف على عظمة التشريع الإسلامي والفرق بينه وبين سائر التشريعات الوضعية والوقوف على جهود السلف الصالح من الفقهاء المجتهدين، ومعرفة طرق استنباط الأحكام ومصادرها وأسباب الخلاف بين الفقهاء وأحكام كثير من الفروع حتى لا يقع المسلم في حيرة من أمره عند تعارض الآراء أو يتحرج لاختلاف الفقهاء والأئمة في أحكام المسائل الفرعية.





### الديانات السماوية وموقفها من العنف

اسم المؤلف: عدد من الكتاب

دار النشر: الزمن

لماذا تلتصق تهمة الإرهاب بالإسلام؟ وما حقيقة موقف الإسلام من العنف؟ وهل ثمة دين سماوي يبرر العنف ويشرعه؟ وهل يشكل العنف جوهر الأديان السماوية الثلاث؟ وما طبيعة العلاقة التي ينسجها المتدينون بين العنف ومعتقداتهم الدينية؟ ثم كيف نعيد بعد أحداث ١١ سبتمبر «أيلول» صياغة الحدود «الإبستمولوجية» والتاريخية بين مفاهيم «الإرهاب» و«الجهاد» و«الانتحار» و«الاستشهاد؟».

وهناك أسئلة كثيرة أخرى يحاول كتاب «الديانات السماوية وموقفها من العنف» الإجابة عنها.

وقد صدر الكتاب أخيراً عن دار النشر «الزمن» ويشتمل على عدد من المقالات لأسماء على الصعيدين العربي والدولي، منهم برهان غليون، وأبو زيد المقرئ الإدريسي، وعبدالهادي بوطالب، وفيليب بيك.

## أخبار ثقافية

- تصدر عن إحدى دور النشر البيروتية خلال الفترة المقبلة، أول موسوعة عربية شاملة للعلاج بالأعشاب الطبية في جزئها الأول، أنجزها الدكتور داود جاسم الربيعي، الذي يعمل استاذاً للجغرافيا في جامعة صنعاء بالجمهورية اليمنية. وتتميز الموسوعة الجديدة بأنها تحتوي على تصنيفات دقيقة للأعشاب الطبية ضمن مجموعات متخصصة مع ذكر تسمياتها في البلدان التي تنمو على أراضيها، والأجزاء العاملة في كل عشبة وطريقة وزمان استخدامها والآثار الجانبية المحتملة لكل منها والفترة الزمنية للعلاج الفاعل لها، وهذه المواصفات لم تحتو عليها موسوعة سابقة حديثاً أو قديماً ما يجعلها فريدة من نوعها بالفعل.
- قال وزير الثقافة اليمني: إن اليمن جاهزة لاستقبال صنعاء عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٤م مشيراً إلى أن هذا الحدث يعد حدثاً تاريخياً يعتز به كل اليمنيين.
- صدر عن دار النشر «بيتر لانغ» في نيويورك كتاب وعنوانه «مرايا عربية وكهنة غربيون» للدكتور محمد الدعمي باللغة الإنكليزية، والكتاب يقع في سبعة فصول هو دراسة لتاريخ وتطور الفكرة الغربية عن العرب والإسلام منذ العصر الوسيط وحتى العصر الحالي عبر استقصاء طرائق تمثل الماضي العربي الإسلامي في كتابات المفكرين الأوروبيين والأميركيين وينتهي الكتاب بمقارنة بين هذه المداخل الغربية والمداخل العربية الإسلامية المعاصرة لهذا التاريخ.
- حذرت دراسة أجرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونيسكو» من أن نقص عدد المعلمين في جميع أنحاء العالم يؤدي إلى تردي التعليم وحصول كارثة تعليمية.
- أصدرت دار الكتب والوثائق القومية المصرية مجلداً جديداً تضمن عدداً من الوثائق التي تبرز إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الطبيعية، وقد حاول القائمون على إعداد المجلد تقديم صورة كاملة عن كل مؤلف وتاريخ كتابته ومؤلفه وأهم ما قدمه في الطب العربي.
- تم أخيراً وضع حجر الأساس لكلية الإمام الأوزاعي في مدينة صيدا اللبنانية وهذا هو الفرع الرابع للجامعة في لبنان بعد بيروت، وعكار، والبقاع، والتاسع ضمن سلسلة مراكز الجامعة في لبنان والخارج.



## حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبدالجبار

### من هدي كتاب الله

قال تعالى:

**(ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد. ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب)**

الرعد: ٣١، ٣٢.

### من هدي رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا:

**«اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»**

رواه مسلم

## نتيجة الإسراف في الكلام

من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه كان من أهل النار.

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، فأحذر كثرة الكلام إلا من حق توضحه أو خلل تصلحه أو كلمة تفسِّرها أو مكرمة تنشرها فإنه يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه:

«عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك ويقول رحم الله عبداً تكلم فغنم أو سكت فسلم»

## اختلاف الأسماء باختلاف الأحوال

- لا يُقال «ثرى»: إلا إذا كان ندياً وإلا فهو تراب.
- لا يُقال «نفق»: إلا إذا كان له منفذ وإلا فهو سرداب.
- لا يُقال للبخيل «شحيح»: إلا إذا كان مع بخله حريصاً.
- لا يُقال «وقود» إلا إذا اتقدت فيه النار وإلا فهو حطب.
- لا يُقال «فرو» إلا إذا كان عليه صوف وإلا فهو جلد

## كلمات فيهن صلاح الملك

دخل رجل على هشام بن عبدالملك فقال: يا أمير المؤمنين احفظ عنِّي أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك، قال: ما هنَّ؟

قال: لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب وأن للأمور بغتات فكن على حذر

## الناقة والسنور

**كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش، فقالت له: لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل الله تعالى، فخرج إلى الشام... فكسب ثلاثمئة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة، وكانت زعرة فأضجرته واغتاظ منها ومن زوجته، حيث أمرته بالخروج، فحلف بالطلاق ليبيعها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم وأخبر زوجته، فعمدت إلى سنور فعلقتها في عنق الناقة وقالت: أدخلها السوق وناد عليها من يشتري هذا السنور بثلاثمئة درهم والناقة بدرهم، ولا فرق بينهما، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول: ما أحسنك ما أفرهك لولا هذا السنور الذي في عنقك**

# يد الرسول صلى الله عليه وسلم

عن عطاء مولى السائب بن يزيد قال:

رأيت مولاي السائب بن يزيد لحيته بيضاء، ورأسه أسود، فقلت: يا مولاي ما لرأسك لا تبيضُّ؟

فقال: لا يبيضُّ رأس أبداً، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان فسلم وأنا معهم فرددت عليه السلام من بين الغلمان، فدعاني، فقال لي:

ما اسمك؟

فقلت: السائب بن يزيد فوضع يده على رأسي

وقال: بارك الله فيك، فلم يبيضُّ موضع يده ●

## في فضل الصفح

قيل لرجل: ما فائدة الصفح؟ قال: هو أول منزلة من التواضع، وهو يحسِّن الخُلُق، ويذهب بالصغار، ويحلي المرار، ويؤمن البدن من الاقشعرار ●

## يغلبن الكرام

قال صعصعة بن صوحان لمعاوية: كيف ننسبك للعقل، وقد غلبت عليك امرأتك فاختة بن قرظة؟ فقال معاوية: «إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام» ●

## لأجل تصحيح لغتك

يقولون: تقدم إليه بكذا، وهم يقصدون: رغب إليه فيه وسأله قضاءه ومثله قوله: تقدمت إلى السيد الوزير طالباً نصفتي والمعنى على العكس، فإن «تقدم إليه» بمعنى أمره وأوعز إليه.

تقول: تقدم الرئيس إلى مرؤوسه بأن يكتب محرراً في كذا وكذا ●

## من نوادر البخلاء

قال دعبل:

كنا عند سهل بن هارون فلم نغادره حتى كاد يموت من الجوع، فنادى غلامه وأمر بإحضار الغداء فحمل الغلام قصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل، فتأمل الديك فإذا به بلا رأس. فسأل غلامه:

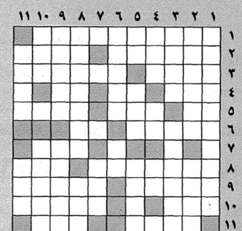
أين الرأس؟

فقال له: إنه رماه

فقال: والله إني لأكره من يرمي برجل الديك فكيف برأسه، ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد، وفيه فرقة الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل، فيقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم نر عظماً أهش تحت الأسنان كعظم رأسه، وهل ظننت أني لا أكله فعندي من يأكله؟ ●

## الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو رية

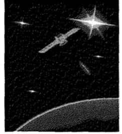
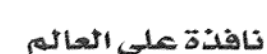


### أفقياً ورأسياً:

١ - الوقف الذي أصله ثابت وريعه لعمارة بيوت الله.
٢ - أتون - يحسبه الظمآن ماء.
٣ - وحدة مساحة أرضية - من ملابس المنعمين في الجنة.
٤ - سلام وأمان - متشابهان - للتخيير.
٥ - حرف امتناع لامتناع - للتسويف - أصابه بالذعر.
٦ - مفردها منسف - صوت يدل على الدهشة والاستغراب.
٧ - متشابهات.
٨ - قيادة تعليمية حضارية مشتقة من أستاذ.
٩ - من الزواحف - من أفضل الأسماء في البحر.
١٠ - بيت - مجموعة من الجزر في المجال الأمريكي.
١١ - من الحيوانات التي أصيب بعضها بالجنون - من أسماء العسل.

### حل العدد السابق

| | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ١١ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | م | ح | م | و | د | | ح | ن | ط | ي | |
| ٢ | ح | د | و | د | | ا | ل | د | ر | و | س |
| ٣ | م | و | ر | د | و | ن | | | ي | ر | و |
| ٤ | و | د | د | ت | | ت | ك | | د | و | ق |
| ٥ | د | | و | | ق | م | ر | ي | | | خ |
| ٦ | | ا | ن | ت | م | | ا | | ع | م | ي |
| ٧ | ح | ل | | ك | ر | ا | م | | ر | ر | ر |
| ٨ | ن | د | | | ي | | | س | و | ق | ي |
| ٩ | ط | ر | و | د | | ع | ر | و | ض | | |
| ١٠ | ي | و | ر | و | | م | ر | ق | | م | ر |
| ١١ | | س | و | ق | خ | ي | ر | ي | | ر | ز |


# حصيلة جرائم الاحتلال منذ بدء الانتفاضة: ٢٦٤٨ شهيداً و ٢٩٩٤١ جريحاً و ١١١١٦ منزلاً مدمراً

كشف تقرير أعدته الدائرة السياسية في وزارة الخارجية الفلسطينية أن إجمالي عدد الشهداء نتيجة المجازر الإسرائيلية على مدى عامين بلغ ٢٦٨٤ شهيداً منهم ١٩٤٢م مسجلون إضافة إلى ٦٦٣ شهيداً لم يتم تسجيلهم نتيجة الحصار الشديد وتقطيع الأوصال والمفقودين في مخيم جنين كما يضاف إليهم نحو ٧٩ شهيداً آخرين نتيجة التصعيد الأخير لأعمال القمع والإرهاب الإسرائيلي خلال شهري سبتمبر وأكتوبر عام ٢٠٠٢م.

كما يفيد التقرير أن الجرحى خلال العامين الماضيين بلغ ٢٩٩٤١ جريحاً بالإضافة إلى ١٦٣ خلال التصعيد الأخير وأن عدد الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال ١٢ ألف معتقل يضاف إليهم ١١٦ خلال التصعيد الأخير ويبلغ عدد المعتقلين من الأطفال ٥٠٥ لا يزال منهم ٣٥٠ في المعتقلات حسب وزارة الأسرى، وعدد المعتقلات ٥١ كما بلغ عدد المرضى من الأسرى نحو ٢٥٠ من بينهم ثلاثون مصابون بأمراض صعبة. وحول الخسائر المادية يفيد التقرير أن عدد الأشجار التي تم اقتلاعها بفعل آلات الحرب الإسرائيلية ٦٨٤٠٩١ شجرة وإجمالي مساحة الأراضي التي تم تجريفها بلغ نحو ٥١١٦١ دونماً وعدد المنازل والمنشآت الحكومية والمنشآت العامة والخاصة التي تم تدميرها ١١١١٦ منشأة ومنزلاً، وعدد المنازل التي هدمت بالقصف بشكل كلي ٢٦٤٢ منزلاً، ويضاف إليهم نحو مئة منزل نتيجة التصعيدات الأخيرة كما بلغ عدد المدارس الفلسطينية التي تم إغلاقها بأوامر عسكرية سبع مدارس بينما وصل عدد المدارس التي عُطلت فيها الدراسة نحو ٨٥٠ مدرسة وعدد المدارس التي تعرضت للقصف والاقتحام نحو ٢٤٥ مدرسة والتي تحولت لثكنات عسكرية نحو ١١ مدرسة ويفيد التقرير بأن عدد الطلاب الذين استشهدوا برصاص الجيش الإسرائيلي بلغ نحو ٢٣٦ طالباً وعدد الطلبة والطالبات أقل من ١٩ عاماً أصيبوا برصاص الاحتلال بلغ نحو ٢٥٦٠ طالباً.



وبلغ عدد المخازن الزراعية المهدمة جراء القصف ١٩٠ مخزناً وعدد مزارع الدواجن وأدواتها التي هدمت مئة مزرعة، كما بلغ عدد حظائر الحيوانات المهدمة ٤٢، ونفقت ٣٥٤٧ رأساً من الأغنام والماعز و٥٧٤ بقرة وإتلاف ٦٠٨١ خلية نحل وقتل نحو ١٣٩٩٢٤٤ من الطيور من مزارع الدواجن وهدم نحو ١٦٩ بئراً كاملاً بملحقاتها وتجريف نحو ٩٠٤٩ شبكة ري وهدم ٦٧٣ بركة وخزان مياه، كما بلغ عدد المنشآت الصناعية التي تم تدميرها ٣٩٧٧ منشأة يضاف إليها ١٣ منشأة وورشة خلال التصعيد الأخير ●

# منبر متحرك في المسجد الحرام

أعلن الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي «صالح الحصين» أنه سيتم إقامة منبر متحرك للمسجد الحرام بتكلفة تقدر بنحو ٥,٨ ملايين ريال.

وقال: إن تنفيذ المنبر يأتي انطلاقاً من الحرص والرعاية والاهتمام الذي يوليه باستمرار خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام والمسجد النبوي، حيث يتم تصميم المنبر وتنفيذه بشكل يجمع بين الأصالة المتمثلة بنسيج غني بالزخارف الإسلامية من الرخام «حجر الكرارة» وبين تقنية متطورة تكفل تحريك المنبر بمرونة عالية داخل فناء المسجد الحرام وأروقته.

ويتكون الهيكل الإنشائي للمنبر في إطار من مقاطع الحديد المضاد للصدأ لاستقبال أنواع الأحمال، مع مقاطع مفصلة لتركيب الملحقات الميكانيكية والكهربائية وأجزاء التغليف من الرخام.

ويحتوي المنبر على «محرك كهروميكانيكي» بقوة (٥) كيلوواط، يزود بالطاقة عن طريق بطاريات قابلة لإعادة الشحن تسمح بتحريك المنبر بسرعة قصوى قدرها (١) متر في الثانية، وله عجلات مجهزة بإطارات من المطاط الصلب، ويتم توجيه حركة المنبر عن طريق عجلة مزدوجة ترتبط بلوحة التحكم، وتبلغ التكلفة الإجمالية للمنبر خمسة ملايين وسبعمئة وخمسين ألف ريال، وتم تنفيذه بوساطة إحدى المؤسسات الوطنية المتخصصة وصمم على أرقى المواصفات العالمية ●

## انخفاض أعداد الطلبة العرب في الجامعات الأميركية

أظهرت إحصائية نشرت أخيراً انخفاض أعداد طلبة البعثات من دول الشرق الأوسط الدارسين في الجامعات والكلية الأميركية بنسبة ١٢٪ في العام الحالي، نتيجة الإجراءات الصارمة التي اتخذتها واشنطن حيال منح تأشيرات دخول إلى أراضيها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وذكرت الإحصائية التي أجراها المعهد العربي الأميركي أن عدد رعايا الدول الشرق أوسطية المسجلين في الكليات والمعاهد الأميركية بلغ ٨,٨٠٠ آلاف شخص تعذر على ٦٠٠ منهم أي ما يعادل ٦,٨٪ الانتظام في العام الدراسي الحالي لعدم تمكنهم من الحصول على تأشيرات دخول.

وعدد المنتسبين إلى الجامعات والمعاهد في العام الماضي بلغ عشرة آلاف.

وقد تعين على معظم الطلبة الذين ينتمون إلى دول شرق أوسطية الانتظار ثلاثة أشهر قبل تمكنهم من الحصول على تأشيرات.

وأوضح المعهد أن الإحصائية أجريت بمشاركة السفارات والمؤسسات العربية في العاصمة الأميركية واشنطن وهي أحد أهم المصادر المانحة للبعثات الدراسية العربية ●

### موجهة إلى أوروبا وأميركا

## الأزهر يبث قناة إسلامية بالإنكليزية

قال وزير الأوقاف المصري الدكتور «محمود حمدي زقزوق»: إن بلاده تدرس مع الأزهر مشاورات بشأن إطلاق قناة إسلامية تبث برامجها باللغة الإنكليزية للتعريف بالإسلام وتصحيح الصورة التي عمد الإعلام الغربي إلى تشويهها.

وذكر الوزير «زقزوق» في تصريح له أن المسألة باتت وشيكة وأنه تجرى دراسة البرامج التي ستبثها القناة والتي ستوجه إلى أوروبا وأميركا.

وأوضح أنه يجري دراسة سبل تدبير نفقات المحطة والتي ستصل تكلفتها إلى نحو ٩٠ ألف دولار سنوياً قيمة استئجار القناة من القمر الصناعي، مشيراً إلى أن هذه المبادرة تأتي استجابة لمطلب الشارع الإسلامي الذي يرى أن مصر بأزهرها الشريف أجدر من يقوم بهذه الرسالة ●

## العالم احتفل باليوم العالمي لمكافحة الإيدز

احتفل العالم يوم ٢٠٠٢/١٢/١م باليوم العالمي لمكافحة الإصابة بفيروس نقص المناعة المكتسب «اتش. أي. في» المسبب لمرض «الإيدز»، تحت شعار «أحب لغيرك من العيش ما تحب لنفسك» وذلك بهدف الدعوة إلى التحرر من الإحساس باليأس والإحراج من المرضى والرغبة في الانزواء.

وتراوح إحياء هذه المناسبة في دول العالم بين إقامة ندوات خاصة للتوعية من المرض القاتل والمظاهرات الداعية إلى تعزيز جهود مكافحته وكذلك تسليط الضوء على المعوقات التي تحد من انتشاره.

وفيما اعتبرت منظمة العفو الدولية أن حقوق الإنسان تشكل عنصراً أساسياً في الحرب ضد الايدز، أعلن مدير الوكالة الدولية لمكافحة الايدز «بيتر فاين» أن خشية المصابين من التعرض للتمييز هو العائق الرئيس أمام السيطرة على انتشار الايدز وخصوصاً في أفريقيا التي يعيش فيها نحو ٣٠ مليون مصاب.

عربياً أكد مسؤولون دوليون أن المصابين بفيروس الايدز يزيد عددهم في الدول العربية سنوياً بمعدل ٨٠ ألف مصاب ليصل مجموعهم حالياً إلى نحو ٧٥٠ ألف مصاب.

ودعا هؤلاء المسؤولون إلى رعاية المصابين بالأيدز وعدم النظر إليهم على أنهم منبوذون من المجتمع كونهم يحملون هذا المرض وتخفيف العبء عنهم بتحسين الرعاية الصحية وعدم حرمانهم من حقوقهم الأساسية مثل الغذاء والمأوى والطرد من الوظائف التي يعملون بها.

وقال ممثل البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة في مملكة البحرين الدكتور «خالد علوش» في مؤتمر صحافي عقده في المنامة لمناسبة اليوم العالمي للأيدز إن المصابين بهذا المرض يُنبذون من مجتمعاتهم ومن أسرهم ولا يجدون العلاج المناسب، كونهم حاملين لهذا الفيروس على الرغم من أن احتمالات العدوى شبه معدومة إلا في حالات الاتصال الجنسي ●

## إطلاق أول إذاعة عربية موجهة للأطفال

بدأ البث التجريبي لأول إذاعة عربية موجهة للأطفال متزامناً مع بدء قناة المجد الفضائية بث برامجها باللغتين العربية والإنكليزية في مدينة دبي للإعلام، وأوضح، فهد بن عبدالرحمن الشميمري رئيس مجلس إدارة شركة المجد للبث الفضائي والمالكة للقناة، أن إذاعة «دال» للأطفال ستكون ضمن القنوات الإذاعية على القمر الصناعي «نايل سات» و«عربسات»، وستقدم الإذاعة باقة متنوعة من البرامج الإذاعية المشوقة والمبتكرة للطفل العربي موجهة للجنسين حتى سن الثانية عشرة من خلال برامج دينية وثقافية واجتماعية وتربوية، وتمزج بين المرح والتسلية والبرامج المفيدة ومنها الأناشيد والمسلسلات المتعة الهادفة، إضافة إلى المسابقات الإذاعية ذات الجوائز القيمة ●

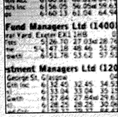
## بعد هولندا... بلجيكا تسمح بزواج مثليي الجنس!

تبنَّى مجلس الشيوخ البلجيكي اقتراحاً بقانون يسمح بالزواج بين مثليي الجنس، جاعلاً من بلجيكا الدولة الأوروبية الثانية بعد هولندا التي تسمح بهذا الزواج.

وأقر اقتراح القانون بأغلبية ٤٦ صوتاً مقابل ١٥، وقد دعمته أحزاب الأكثرية البرلمانية الحاكمة في بلجيكا منذ ١٩٩٩م «قوس قزح» وهي الحزب الليبرالي، والحزب الاشتراكي، وحزب أنصار البيئة.

وينص القانون على أن يكون للمتزوجين من مثليي الجنس حقوق الزوجين نفسها من جنسين مختلفين، وخصوصاً على صعيد الملكية والإرث، باستثناء الحقوق المرتبطة بالتبني والبنوة.

ويحتاج الاقتراح إلى موافقة مجلس النواب قبل وضعه موضع التطبيق ●




ترجمات

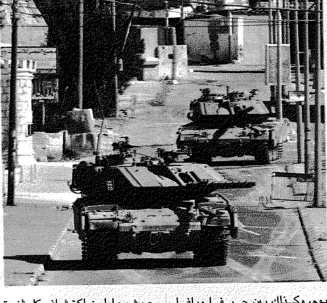
إعداد: عبدالمنعم أحمد

# الكيان الصهيوني يعيد الضفة الغربية ١٥٠ عاماً إلى الوراء!



في العام ١٨٦٩م شق في فلسطين التاريخية الشارع الأول بين يافا والقدس، إلا أن الاتصال بين المدن والقرى كان يتم من خلال المسالك الترابية والطرقات الضيقة، وكان الناس ينتقلون من مكان إلى آخر وينقلون حاجاتهم سيراً على الأقدام أو على الدواب، حيث الاقتصاد قائم أساساً على الزراعة والتعليم المتواضع والذي يمتزج بصورة جيدة في خارطة الطرقات الفلسطينية هذه التي وصفها المؤرخ «بني موريس» في أحد كتبه «المتنصرون المتباهون تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي» ووفقاً لذلك يمكن التخمين أن مشاعر شراكة الوجود والأصول بين التجمعات السكانية البعيدة كانت ضعيفة في ذلك الحين.

العلاقة بين المدن والقرى في الضفة الغربية تقترب أكثر فأكثر مما كان سائداً قبل ١٥٠ سنة، بالسير على الأقدام في الطرق والمسالك الترابية، أو امتطاء الحمير أو استبدال وسيلة عصرية بالجمال وهي «التراكتورات» الزراعية وذلك من أجل ضمان الحصول على أمور أساسية: المياه وبعض الخضراوات والأدوية والدراسة، كما أن المسافات بدأت تتجسد في صورة ما كان سائداً في القرن التاسع عشر، فالوصول من جنين إلى رام الله يستمر أياماً عدة، والمسافة بين الخليل وبيت لحم تتطلب نصف يوم، وكذلك بين حيفا ويافا «والأقارب والأصدقاء القاطنون هناك» شطبوا من الخارطة العملية، وإن كان جمالها ومغزاها يكتسبان أحجاماً أسطورية في الوعي، وإذا كان على الناس قبل ١٥٠ سنة أن يحذروا من لصوص الطرقات فعليهم اليوم أن يخشوا الدوريات العسكرية الإسرائيلية والإغلاقات الفجائية للشوارع التي تقف وراءها مجنزرة أو دبابة تقوم بتسجيل مخالفة مرور لمن يخرق الأمر العسكري بالإغلاق الداخلي وحظر الحركة من دون تصاريح من الإدارة المدنية، هناك أكثر من مليوني مخالف للقانون يعيشون في الضفة الغربية، وجيش كامل من الساهرين على النظام والقانون، حيث يحاولون اكتشاف كل ثغرة في الجدار، وكل إغلاق صخري تمت إزالته، وكل درب جانبي قام مشاة مجهولو الهوية بالسيطرة عليه، هؤلاء المطبقون للقانون والنظام يراقبون ما يحدث في «فلسطين السفلى» المكونة من راكبي الحمير «والتراكتورات»، من أعلى شوارعهم العصرية الواسعة التي تخدم عدداً يسيراً من السيارات الإسرائيلية، ويراقبون المجريات بوسائل الرؤية المتطورة من خلال «أرض إسرائيل العليا»، وتترافق مع الإغلاق الداخلي - أي العملية المناهضة للعصرنة من خلال العودة للوراء في وسائل المواصلات - وسيلة حديثة هي الإقامة الجبرية في المنازل المفروضة على نصف مليون إنسان منذ أكثر من شهرين.

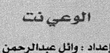


السنة الدراسية بدأت، وقد رفع حظر التجول عن المدن خلال ساعات النهار - باستثناء جنين والخليل - حتى يتمكن الطلاب من التوجه إلى المدرسة «يركضون بسرور» بعد أن كانوا حبيسين طوال عطلة الصيف في منازلهم، ولكن فرض حظر التجول مرة أخرى على معظم المدن ودفن التلاميذ واليائسون خلف جدران المنازل الصغيرة أو في الشوارع والأزقة مرة أخرى.

الإغلاق الداخلي والإقامة الجبرية في المنزل، لم يكتفيا فقط في تقليص المسافات والآفاق حتى الحد الأدنى، وإنما أديا إلى إعادة الاقتصاد إلى الوراء، فمستوى النظافة والصحة، والتعليم تدنى كثيراً «وهذه مسألة مؤكدة على الرغم من المحاولات الفلسطينية الرسمية التفاخر بنتائج الطلاب في الثانوية»، ولأن أغلبية السكان يعيشون في المدن اليوم فلا توجد لديهم أراض زراعية كما يملك سكان القرى حيث يتمكنون من توافر الغذاء الأساسي منها.

كما أن من يستطيع أن يزرع بعض الخضراوات في قريته أصلاً لا يتمكن من الوصول إلى أرضه بسهولة حتى يرعاها ●

عن صحيفة «هآرتس» الصهيونية

الوعي نت

إعداد: وائل عبدالرحمن

# من أجل تعلم اللغات العالمية

إلى هواة اللغات مجموعة متواضعة من المواقع المنوعة التي نأمل أن تلقى استحسان من يهمه الأمر.

**www.cyberitalian.com/**

تعلم الايطالية من دون معلم عبر شبكة الإنترنت هذا الموقع مفيد لمن يرغب في تعلم الايطالية وإجادة النطق بها.

**www.globalserve.net/ihayes/lang/german/index.gtml/**

موقع آخر لتعلم اللغة الألمانية، مناسب للمبتدئين في تعلم هذه اللغة وفيه قسم جيد للتدريب على القراءة.

**www.cusd.claremont.edu/tkroll/EastEur/index.htm/**

موقع لتعلم جمل مفيدة باللغات الأوروبية الشرقية كالألبانية والتشيكية والبولندية والروسية والسلوفاكية، زيارة هذا الموقع قبل السفر إلى هذه البلدان يعد عملاً ذكياً وعملياً.

**www.umr.edu/amigos/**

كل ما يلزمك تعلمه للبدء بالتحدث بالإسبانية. موقع ستكتشف من خلاله كلمات مشتركة بين العربية والإسبانية.

**www.arabic2000.com/school/**

تعلم اللغة عبر الإنترنت أو عن طريق برنامج أعد خصيصاً لأجهزة الكومبيوتر. ليس مجانياً وهو مفيد للجالية العربية التي تعيش في بلاد الاغتراب.

**library.advanced.org/12447/**

موقع شيق ومفيد للراغبين في تعلم الفرنسية، يعتمد أسلوب التعليم بالمتعة والتسلية، فيه درس للمبتدئين وألعاب لتعليم هذه اللغة الأوروبية المهمة.

**www.sf.airne.ne.jp/ts/japanese/index.htm/**

هل خطر ببالك تعلم اليابانية يوماً ما؟ فهذا الموقع سيوفر عليك البحث عن معهد لتعلمها، إنه جيد ومهم لمن يريد خوض غمار تعلم هذه اللغة العريقة ●

## معلومات عن حاسبك الآلي

من أفضل الأدوات التي تعطيك جميع المعلومات التي تحتاج إليها عن الحاسب الآلي من قطع وبرامج ونظام تشغيل ومواصفات، إنه برنامج موجود مع نظام التشغيل «ويندوز» برنامج System information موجود داخل مجموعة Accessories وسهل الوصول إليه من System tools وهناك الكثير من الأدوات المهمة والمفيدة في هذا البرنامج التي تستطيع جعل جهاز الكمبيوتر في أحسن حالاته.

- النافذة الرئيسة عند تشغيل البرنامج توفر جميع المعلومات المهمة عن جهاز الكمبيوتر وتنقسم إلى خمسة أقسام بشكل هيكلي. تستطيع الحصول من هذه الأقسام على ما تريد من معلومات مفصلة من خلال الضغط على علامة «+» بجانب أي منها.

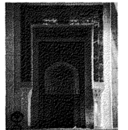
- أولاً هناك Hardware Resources ويوضح كيف تتصل الأجهزة المختلفة والقطع ببعضها بعضاً وبنظام التشغيل من خلال Com ports و DMA وغيرها من موصلات المعلومات.

- القسم الثاني وهو Components يوضح مكونات جهاز الكمبيوتر والقطع والأجهزة التي يحتويها. مثل قطع Multimedia وNetwork.

- القسم الثالث Software environment يوضح بيئة عمل النظام. حيث تستطيع معرفة أي البرامج تعمل تحت بيئة ١٦ بت ومن يعمل بنظام ٣٢ بت. كما تستطيع هنا معرفة البرامج التي تعمل حالياً في الذاكرة من خلال Running tasks. وأيضاً هناك البرامج التي تعمل في الذاكرة عند تشغيل جهاز الكمبيوتر وتستطيع معرفتها عن طريق الضغط على Startup programs.

أما القسم الرابع فيتعلق بمتصفح الإنترنت Internet Explorer حيث تستطيع الحصول على جميع المعلومات المتعلقة به.

- في النهاية هناك قسم Appli - cations حيث ستجد معلومات عن جميع برامج مايكروسوفت، وتستطيع في النهاية أن تطبع هذه المعلومات أو تحتفظ بها في أي وقت تريد، أو ترسلها لشخص متخصص لمراجعتها ●





هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

# شراء أسهم الشركات

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

**أنا أحد المساهمين بالتأسيس في شركة أجهزة للاتصالات، ولديَّ ٢٤٠٠ سهم وقيمة كل سهم مئة فلس، والسؤال:**

**١ - هل الاستمرار في المساهمة في هذه الشركة حلال أم حرام؟ فإذا كانت حراماً فماذا أفعل بالأسهم التي أمتلكها في هذه الشركة، وكيف أتخلص منها لتبرئة ذمتي أمام الله عزَّ وجل؟**

**٢ - سبق أن حصلت على أرباح من تلك الأسهم؟ فماذا أفعل بها إذا كانت المساهمة في هذه الشركة حراماً؟**

**ملاحظة: مرفق مع الاستفتاء عقد التأسيس والنظام الأساسي للشركة والتقرير السنوي للشركة لسنة ١٩٨٧م وكتيب المعلومات المالية للسنة قبل اعتماده من قبل الجمعية العمومية للشركة، وهذا التقرير تعده إدارة الشركات في سوق الكويت للأوراق المالية.**

- رأت اللجنة ما يلي:

أن الشركات التي ليس عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فلا مانع من التعامل معها أو المساهمة فيها، أما إن كان عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرَّمات فتحرم المساهمة فيها، ولو كانت تتعامل بالربا أو المحرَّمات على سبيل الندرة.

أما إذا تعاملت بالربا إقراضاً فعلى المساهم أن يتخلص من الربح الذي أصابه من هذا السبيل بإنفاقه بأي عمل من أعمال الخير على ألا يقضي به ديناً وألا يبنى به مسجداً وألا ينفقه على أهله ولا يحتسبه من الزكاة ●

# العمل في هيئة للاستثمار

**عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:**

**السؤال: أود العمل لدى هيئة للاستثمار، هل في ذلك بأس، مع العلم أنها تتعامل بالاستثمار بجميع أنواعه؟**

**السؤال الثاني: كنت أعمل لدى أحد البنوك الربوية واستمررت مدة سنة، فهل مجموع ما لديَّ الآن من مرتبات مال حلال أم حرام وعليَّ التخلص منه؟**

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن عمل المستفتي في الهيئة العامة للاستثمار مشروع ما لم يباشر كتابة الصكوك الربوية أو المعاملات المحرَّمة، فإن باشر ذلك فليصرف من مرتبه في وجوه الخير العامة ما يقابل نسبة ما عمله من عمل غير مشروع، وحصل على إيراد منه، مع الاستغفار والتوبة، وكذلك يفعل بالنسبة للمرتبات التي تقاضاها من البنوك الربوية.

والله أعلم ●

هاتف مباشر خدمة الفتوى

**149**

**يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء**

# شروط المضاربة في الصرافة

# استخدام اسم آخر بأجر عوضاً عن اسم صاحب المال

**عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:**

**أودعت مالي لدى صراف. هذا الصراف يجمع المال من مجموعة من المساهمين لإدارة محل للصرافة، وبعد ذلك يقوم بتوزيع الأرباح على المساهمين حسب التساوي، ولكن بعد فترة علمنا:**

**أولاً: أن بعض المساهمين يعطيهم الصراف مبلغاً أكبر من مبالغنا، وعند مواجهة الصراف بذلك انكر ذلك، ونحن نعلم انه يكذب، فهل هذا العمل حلال أم حرام؟**

# العمل في سوق البورصة

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

أرجو التكرم بالإجابة عن حكم العمل في سوق الأوراق المالية «البورصة» علماً بأن هذه المؤسسة تدير عملية تداول الأسهم.

وقد حضر بناء على طلب من اللجنة للإجابة عن بعض الاستيضاحات عن مستشار سوق الأوراق المالية، وسألته اللجنة عمّا يلي:

س١: ما طبيعة عمل سوق الأوراق المالية؟

فأجاب: هو عبارة عن مكان يلتقي فيه الناس يعمل حسب نظام معين من البورصة حيث يتم فيه البيع والشراء. وكذلك ملاحقة ومراقبة تنفيذ المشاريع والصفقات التي تتم داخل السوق «فهي سوق ورقابة في أن واحد».

س٢: بالنسبة للبند (٢) من المادة (١٢) الخاصة بإيرادات السوق ما نوع الإيرادات، وهل هناك ميزانية من الدولة للسوق؟

أجاب: السوق لا تعتمد في دخلها على ميزانية الدولة، وللدولة الوصاية عليه والإيرادات، وهل هناك ميزانية من الدولة للسوق؟

س٣: لو ثبت مماطلة أحد المدينين، هل يفرض عليه عقوبة مالية عن تأخير السداد؟

أجاب: أن العقوبات المالية لا تقع على المتعاملين، وإنما على الوسطاء والشركات فقط، وتنحصر في مصادرة الكفالات.

س٤: كيف يتم البيع؟

أجاب: البيوع تتم عاجلاً ومنجزاً وليس آجلاً، وأضاف: أن سوق الأوراق المالية لا يتعامل ببيع الأجل حالياً.

س٥: ما الفرق بين السهم والسند؟

أجاب: أن السهم فائدته معرضة للربح والخسارة. أما السند: فهو أداة قرض بفائدة محددة وثابتة.

- وبعد هذه الاستفسارات والبيانات أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز التعامل في سوق الأوراق المالية على أن يتجنب المتعامل تلك المعاملات التي تتصل بأسهم البنوك والشركات التي عملها الأساسي التعامل بالربا أو التي يكون موضوع نشاطها محرماً، وكذلك يبتعد عن التعامل بالسندات باعتبارها صكوكاً بقروض ربوية، وكذلك يتجنب التعامل بالأوراق التجارية بطريق الخصم. هذا بناء على أن السوق الموجودة في الكويت لم تنظم حتى الآن تداول البضائع من خلال العقود المجردة بصرف النظر عن وجود البضائع ولم تنظم أيضاً البيع الآجل ●

---

**الشي الثاني: من هؤلاء الأشخاص الذين يأخذون حصة أكبر من حصتنا يرضى أنه إذا دخلت معه في المساهمة باسمه تأخذ حصته نفسها الكبيرة ولكن يأخذ منك مبلغاً بسيطياً على أنه استعمل اسمه في إدخال أموالك المساهمة لكي تاخذ أرباحاً أكثر. أفتونا جزاكم الله خيراً.**

**وحضر المستفتي إلى اللجنة وأفاد أن الصراف يكتب في العقد أن الربح والخسارة مناصفة بينهما سواء كان المال كثيراً أم قليلاً، ولكنه عند العطاء يعطي صاحب المال الكبير أكثر من النصف ويعطي صاحب المال القليل النصف فقط.**

- أجابت اللجنة بما يلي:

التعامل بمهنة الصرافة، أو تسليم أموال للصرافين للعمل بها بنسبة من الربح جائز شرعاً على أن تكون الخسارة على صاحب المال فقط، والعامل يخسر جهده فقط، شرط أن يكون تعامل الصراف على الحلول والتقابض الفوري وليس على التأجيل أو التأخير. وبناء على ذلك، فإن أصل التعامل على النحو المبين في السؤال جائز شرعاً مع إلغاء شرط كون الخسارة مناصفة بل تكون كلها على صاحب المال، وإذا علم صاحب المال أن الصراف يتعامل بالأجل فعليه الانسحاب من التعامل معه.

وإذا علم أنه يعطيه أقل من حقه فله المطالبة والمحاسبة لاستكمال حقه.

ويجوز استثمار الأموال من طريق شخص آخر يتعامل مع الصراف إذا كان ما يعطيه لهذا الشخص نسبة من الربح لأنه من قبيل شركة المضاربة الثانية، أما إذا كان يعطيه مبلغاً مقطوعاً فلا يجوز شرعاً ●

---

## فتاوى معاصرة

## الأزهر: الاعتداء على حقوق الملكية الفكرية حرام شرعاً ومن أشد أنواع السرقات

قال المدير العام للدعوة في الأزهر الشيخ «إبراهيم عطا»: إن سرقة الأفكار والاعتداء على حقوق الملكية الفكرية من أشد أنواع السرقات التي حرَّمها الدين الإسلامي، مؤكداً أن الاتجار في النسخ المنسوخة لبرامج الكومبيوتر جريمة، وغير مشروعة مثلها مثل السرقات الأدبية والاختراعات.

وذكر الشيخ «عطا» أن هذه السرقات توجب العقاب كسرقة الأموال، مشدداً على أن الكسب أو التربح من الاعتداء على أفكار الآخرين في مجال المعلومات والمعرفة يعتبر كسباً حراماً نهى الإسلام عنه.

وأشار في هذا الإطار إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه وجبت له النار وحُرِّمت عليه الجنة».

وأوضح أن الإسلام حمى الأفكار والعقول والأموال والممتلكات الخاصة، موضحاً أن سرقة حقوق الآخرين المعتمدة على الإبداع ونسبها إلى المعتدي نوع من الكذب الذي نهى عنه الإسلام وتدخل في باب الغش.

وأكد الشيخ «عطا» أن الإسلام فرَّق بين الحلال والحرام، وأن السرقة هي نفسها سواء أكانت بين المسلم والمسلم أم بين المسلم وغير المسلم لأنها مفسدة للمجتمع محرماً نسخ برامج الكومبيوتر وتداولها سواء أنتجت في مصر أو في الخارج.

وقال إن الدين الإسلامي دعا إلى العمل المشروع من أجل الكسب الحلال ورغب فيه وربطه بالإيمان بالله سبحانه وتعالى مضيفاً أن الإسلام يحض على العمل الصالح ويرفض السرقة بكل أشكالها والغش بكل صوره والاستيلاء على جهوده وحقوق الآخرين ●

# النافذة الأخيرة

بقلم: د.عبدالعزيز بدر القناعي

## نحو حوار صادق

# الحقيقة وتعدد وجهات النظر



لقد خلق الله سبحانه وتعالى بني البشر لهم عقول متفاوتة، ومفاهيم متنوعة، وشاءت حكمته أن يجعل كل إنسان كائناً قائماً بذاته، يجب عليه أن يعمل فكره وعقله في كل ما يُطرح عليه.

فقد نعى القرآن الكريم على قوم ألغوا عقولهم وقالوا: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) الزخرف:٢٣.

وعلى هذا فإن الشريعة الإسلامية بعالميتها وخلودها واتساعها للزمان والمكان تشتمل على نصوص قطعية الدلالة، قطعية الثبوت، لا تحتمل التأويل، وبخاصة في جوانب العقائد... وهذه محل اتفاق بين العلماء، وتمثل الثوابت والأصول في الشريعة الإسلامية التي لا مجال للاجتهاد فيها، بينما هناك نصوص أخرى هي محل خصب لعمل الفكر الإنساني، ومن الطبيعي أن تختلف الآراء وتتعدد المذاهب في تفسير هذه النصوص تبعاً لاختلاف الفهم البشري.

فمن المهم جداً أن يدرك أي متحاورين، حول أي قضية من قضايا الأمة وقضايا الإسلام والمسلمين أن وحدة الحقيقة لا تنفي تعدد زواياها واختلاف الأنظار والعقول في تفسيرها، وهذا ما يؤكده تنوع العلوم والآراء والمذاهب لدى الفقهاء، والأصوليين والمجتهدين، والمفكرين بل واختلاف الصحابة في أمور كثيرة وردت فيها نصوص قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة، واستمر الاجتهاد الثري موصول العطاء على مر العصور إلا في زمن الجمود.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يسود حسن الظن، وأن تتسع صدور المتحاورين للخلاف في وجهات النظر والاجتهاد، فلا تضيق بالرأي الآخر، وأن تسود بينهم المودة وعفة اللسان وصون الكرامة، وبهذه الروح ننتفع بالحوار ونصل إلى النتائج المرجوة منه.

إن عفة اللسان والقلم والحرص على صون الكرامة والأخذ بحسن الظن في النيات والمقاصد من أهم ما يجب أن يسود أطراف الحوار.

ولا يجوز بحال من الأحوال أن يتذرع أحد المتحاورين بضيق صدره ونفاد صبره وهو يحاور ومهما كان موقف محاوره وإن كان يدافع عن الإسلام ومبادئه وأحكامه... فمن غير اللائق شرعاً وعقلاً أن تصل حواراتنا إلى مستوى السباب والقذف والتحقير وغير ذلك. قال سبحانه: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥.

وفي الحديث أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله: «ادع على المشركين» فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة» أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» أخرجه البخاري عن عبدالله بن مسعود في كتاب الإيمان.

إننا في زاويتنا هذه ندعو علماءنا ومثقفينا الذين يحملون الأقلام ويعتلون المنابر الدينية والثقافية أن يتوقفوا عند تراثنا الذي يرفعون راياته ويذودون عنه ليتأسوا بالأنموذج الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين.

فنحن أمة الإسلام يجب أن نكون أوعى الناس وأسعدهم بالحوار فيما بيننا، وأن نحرص على التناصح والتعارف على البر والتقوى لأن ذلك من صميم ديننا وحضارتنا وثقافتنا التي نعتز بها ●




# هدية العدد




عند الاشتراك أو تجديد الاشتراك




هذا العرض صالح داخل دولة الكويت فقط



# براعم الإيمان




اشترك الآن
واحصل على هديتك فوراً

مجموعة جوائز قيمة تحتوي على:

- ثلاجات • غسالات • طباخات
- فريزرات • وحدات تكييف
- أجهزة هاتف • أفران مكروويف
- أجهزة راديو • ساعات حائط
- لعب أطفال وغيرها الكثير





الجابرية - قطعة ٩ - شارع ٢٠ - منزل ١١ - هاتف: ٨٤٤٠٤٤ فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥